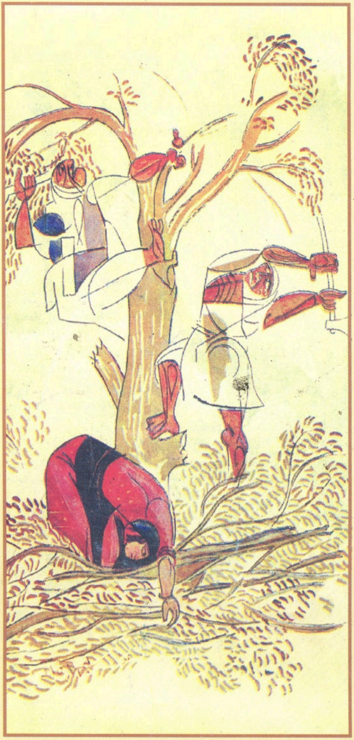
أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

العدد (٢١٣) مايو ٢٠٠٣

من السويس إلى بغداد



الحرب في الصور.. والكلمات

أمريكيون ضد أمريكا وعصابات نيويورك

أنا شيمل صديقة الإسلام

أمل دنقل .. لاتصالح

فرانز فانون: في العنف

إريك فروم: النزعة التدميرية

أدب ونقد

رئيس مجلس الادارة: د.رفعت السعيد

رئيس التحرير: فريدة النقاش

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب /الأهالي القاهرة / هاتف ٢٩/ ٢٨/ ٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها

البلاد العـــربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة

شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر

يمكن إرســـال الأعمـــال على العنـــوان البريدي أو البريد الالكتروني:

adabwanaqd@yahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الانترنت: adabwanaqd.4t.com

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن عشر صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

[redacted]

محتويات العدد

● أول الكتابة ....المحررة ٥
●الحرب فى الصور والكلمات ..أمريكيون ضد أمريكا /ملف/ إعداد وتقديم : على عوض الله كرار
● الضرب فى العراق شعر .... إسلام الشيخ ١٦
● الهتاف و...إعداد ع. ع ١٧
● إعلان الضمير ..هذا لا يتم باسمنا/ترجمة.........................: د. حامد عمار ٢٠
●نداء من المحاربين الأمريكيين القدماء..٢٣
● الحرب الخاسرة /عاموس عوز/ ....ترجمة :عبد الوهاب الشيخ ٢٥
● أمريكا / شعر : ألين جنسبرج/............................ ترجمة : أحمد مرسى ٢٦
● أكثر من فيتنام واحدة/ اونستوجيفارا / ....ترجمة : يوسف درويش ٢٩
●النزعة التدميرية / اريك فروم/ ....ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ٣١
● فساد المصير / مقتطفات من هيسة/ ....ترجمة : أسامة منزلجى ٣٥
● فلنشارك بمظاهرة ضد الحرب/ تشن ين/.................... ترجمة : عبد العزيز السيد ٤٠
● لنمارس الحب لا الحرب /..جيرنش كنترمان٤٣
● القتل كعقيدة / سينما /...محمد عبد الرحيم ٤٤
● بلوغ القمة /شعر/ها فيفا بيدايا/............................... ترجمة :عبده وازن ٤٧
● أنا مارى شيمل/ تحية....................................... د. عونى عبد الرءوف ٤٩
● ابن رشد مفكر من طراز فريد/ رواد التنوير/ ....عبد السلام نور الدين ٦٨
● **الديوان الصغير**
● فى العنف / فرانز فانون/ ....إعداد وتقديم : عبد الحميد البرنس ٧١
● تحديث العقل العربى/ مساحة فكر /......................... د. عاطف أحمد ١٠٤
● لا تصالح / ....أمل دنقل ١٠٨
● جماهيرية أمل دنقل / قوس قزح /............................حلمى سالم ١١٢
● ويقتل أبناءه الشعر / شهادة/.................................عبد المنعم عواد يوسف ١١٤
● فتحى زين العابدين سلام عليك / موسيقى/ ....أشرف السركى ١٢٠
● الغموض فى نصوص النقد العربى الجديد/ دراسة /.......د. سمير حجازى ١٢٤
● موقف أمين العالم من الأيديولوجية / دراسة / ....سامح الموجى ١٢٩
● حدائق النساء / ندوة / صفاء النجار / ١٣٧
● مشهد ليلى / قصة /.. رنا حايك ١٤٠
● كتب/ متابعات / إعداد... " أحمد الشريف ١٤١
* فى النهاية أيضا ستكون الكلمات / رأى / ....ع. ع ١٤٤

لوحة الغلاف للفنان العراقى الرائد جواد سليم ، صاحب «نصب الحرية» وعديد من الأعمال فى النحت والرسم



أول الكتابة

« كلكم مهزومون وليس العراق وحده » هكذا قال أحد الساسة الأمريكيين فى إدارة " بوش " الأب حين انتهت حرب الخليج الثانية بتحرير الكويت وإخراج الجيش العراقى منها سنة ١٩٩١ ثم فرض الحصار على العراق ، والآن ما أشبه الليلة بالبارحة كلنا مهزومون بسقوط بغداد فى أيدى الاحتلال الأمريكى البريطانى سقطت بغداد عاصمة ألف ليلة وليلة كتاب العرب الذى ابتدعوا فيه الحكى دون أن يقلدوا أحدا بعد أن جرى إنهاك الشعب وسحقه بين سندان الاستبداد الصدامي الوحشى ومطرقة الحصار والعقوبات الدولية . وقد جرى احتلال العراق وتدمير بنيته التحتية ونهب متاحفه وجامعاته وآثاره تحت سمع وبصر المحتلين حتى أن ثلاثة من مستشارى " بوش " الثقافيين استقالوا احتجاجا .

يكفى المرء أن يتابع على شاشات التليفزيون الحال المزرية التى يعيش فيها سكان المدن والأحياء الفقيرة فى العراق والتى كانت واحدة من أغنى الدول العربية بل ومن أغنى دول العالم. ثم يقارن ذلك بالبذخ السفيه الذى عاش فيه صدام وعائلته، وبالمليارات التى جرى تهريبها للخارج ، أو يستمع إلى حكايات أصحاب الملايين الذين اغتنوا من التجارة فى قوت الشعب وفى محنته ، وأساليب النظام البعثى الذى لاحق أنفاس شعبه وكتمها ودفع بأربعة ملايين عراقى إلى المنفى بينهم خيرة مثقفيه من كتاب وشعراء وعلماء ومسرحيين وفنانين .

ولكن وفى مواجهة هذا الطرد الجماعى للمثقفين من وطنهم قام النظام الفاشى بتقديم الرشاوى لنفر من المثقفين العرب كتبوا المدائح لصدام ونظامه غير عابئين بمحنة العراق وغربة مثقفيه وكآبة واقعه.

بينما كان هناك من أيد النظام العراقى ودافع عنه بين المثقفين العرب باسم القومية دون أن يكون مرتشيا أو مأجورا ، وكان المنطق الذى يجادل به هؤلاء يتأسس على فكرة ماتزال شائعة فى حياتنا العربية وتحتاج الى مراجعة نزيهة تقول هذه الفكرة إن على الجميع أن يساندوا النظام الذى يقف فى مواجهة الإستعمار أيا كانت خلافاتهم معه حتى لو كانت هذه الخلافات جوهرية شأن الحريات، وأنه فى هذا السياق تظل قضية الديمقراطية والحريات العامة من حرية التعبير للتنظيم للاعتقاد للنشر مؤجلة حتى يتحرر الوطن من الأجنبى .

وقدثبت فساد هذه المقولة فى الممارسة العَملية فاضافة إلى حقيقة أن نظام " صدام حسين " كان قد قدم خدمات جليلة للاستعمار العالمى حين حارب إيران وحين غزا الكويت وحين راهن على انقسام البلاد بين سنة وشيعة وعرب وأكراد وتركمان وأشوريين وبذر بذرة الطائفية الخبيثة وقصف مناطق الأكراد بالكيماويات فان قمع الحريات العامة وتغييب الرقابة الشعبية على مؤسسات النظام فى كل التجارب التى لجأت إلى هذه المقايضة بين حرية الوطن وحرية المواطنين قد أسفرت فى آخر المطاف الحزين عن استشراء الفساد وتقزيم المشروعات الكبيرة، وتحويل المواطنين الى متفرجين ورعايا أذلاء وكان الفساد عنصرا أساسيا فى نزح ثروات البلاد وإعادة تقسيمها لصالح الأغنياء الجدد ، سواء أغنياء الحرب فى العراق أو كبار التجار والبيروقراطيين العسكريين فى الجزائر أو أغنياء البزنس الذين نهبوا أموال البنوك فى مصر أو هؤلاء الذين تاجروا بمدخرات المصريين تحت راية الدين باسم شركات

توظيف الأموال حين تحولت الدولة إلى غنيمة لأثرياء الانفتاح الاقتصادى الذين نبتوا كالفطر متحصنين بالنفوذ العائلى أو النفوذ النفطى الرجعى أو علاقات المصالح مع الحكام مستهينين بمصالح الشعب. وقد عجز الشعب عن الدفاع عن نفسه بسبب قمع الحريات وغياب الديمقراطية من جهة ، واستقواء الحكام بالقوى الأجنبية التى ربطوا مصالحهم بها برباط وثيق من التبعية من جهة أخرى فى غالبية البلدان العربية.

ظل منطق المقايضة هذا شائعا وقويا حتى بعد أن وقعت هزيمة ١٩٦٧ الفاجعة وحين طالب مثقفون وساسة بفتح ملف أسباب الهزيمة لاحقهم النظام الناصرى وقمعهم ولكن هذا المنطق أخذ يتراجع ويتآكل بعد أن نجح نظام السادات فى مصر فى القفز على السلطة واستخدام الصلاحيات الواسعة جدا لرئيس الجمهورية فى الدستور المصرى ، وهو دستور غير ديمقراطى يحصن سلطة الحاكم المطلق – استخدم هذه الصلاحيات لإحلال تحالف طبقى جديد فى الحكم مكان التحالف القديم منتصرا لكبار الملاك والرأسمالية التجارية البازغة التى كونت ثروات طائلة فى زمن قياسى من نهب الدولة والقطاع العام ، واستولت على قمة التنظيم السياسى الواحد الذى كان يحكم البلاد . وخاصمت الصناعة بادعاء أن الصناعة مقولة ماركسية تنمو فى ظلها الطبقة العاملة .

ومهد هذا التحول الذى بدأ بانقلاب قصر سنة ١٩٧١ أى بعد أربعة أعوام فقط من الهزيمة مهد الأرض لزراعة بذور الثقافة التجارية الإستهلاكية فى إرتباط وثيق بسياسة الانفتاح الاقتصادى القائمة على عبادة السوق وقانون المنفعة والتجارة فى كل شئ من التعليم والصحة للأسلحة للأغذية الفاسدة للمخدرات لأعراض النساء لمستقبل الوطن.

وما إن رحل السادات عن عالمنا ١٩٨١ مقتولا بأيدى الأصولية الدينية التى أطلقها ورعاها إلا وكان الانقلاب التام على توجهات التحرر الوطنى والتنمية المستقلة فى مصر قد استكمل أركانه بالصلح المنفرد مع إسرائيل والإرتماء فى أحضان أمريكا وجر المنطقة كلها إلى مستنقع التبعية بعد أن كان قد أجرى مجموعة من الإصلاحات الشكلية التى اتخذت طابعا ديمقراطيا ناقصا ومشوها ، ونشأ فى الواقع المصرى ماسماه الباحثون الأكاديميون بنظام الحزب الواحد فى قالب تعددى ، وهى الصيغة المنتشرة حتى الآن فى غالبية البلدان العربية التى عرفت أشكالا مبتورة من الديمقراطية قائمة على التعدد الحزبى ، وحيث الأحزاب عاجزة عن الوصول إلى السلطة لأن المعارضة هى معارضة أبدية والحزب الحاكم هو حاكم إلى الأبد.

وهكذا ركدت الحركة السياسية ، ونشأت الكتل الإجتماعية الجديدة فى ظل الفراغ السياسى ، وعجزت عن أن تبنى مؤسسات حزبية وجماهيرية تعبر عن مطامحها وآمالها ومشروعاتها تعبيرا أصيلا ، وجرى قمع التنوع الثقافى لا فحسب بالرقابة الحكومية التى لامثيل لها فى العالم وإنما أيضا بالأصولية الدينية ورقابة الركود الاجتماعى الذى انطلقت منه إتهامات الكفر والزندقة أحيانا والخروج على مايسمى بثوابت المجتمع أحيانا أخرى ، وذلك بعد أن انتعشت فى ظل الهزيمة كل أشكال الحركات الأصولية التى ساندتها الدوائر الاستعمارية بصورة مباشرة أحيانا كما فعل الأمريكيون مع جماعات الجهاد وطالبان فى مواجهة المد الشيوعى فى أفغانستان ، أو موضوعيا حين لعبت هذه الجماعات دورها فى تعطيل عقول البشر وغسلها لتقبل الأكاذيب والخرافات التى تنطلق باسم الدين أحيانا ،

خاصة وإن الامبريالية الأمريكية فى ظل المحافظين الجدد وحكم اليمين الجمهورى الذى يتبنى المسيحية الصهيونية كعقيدة قد أطلقت حالة من الهوس الدينى فى العالم وذلك على العكس من الواقع العلمانى القديم الراسخ فى أمريكا التى يضم شعبها أبناء لكل الديانات مع غير المتدينين.

وزاد الطين بلة فى كل أرجاء الوطن العربى هشاشة النمو الاقتصادى فأصبحت هزيمتنا مركبة ، وعلى العكس من دول جنوب شرق آسيا على سبيل المثال التى أطلق عليها وصف النمور الأسيوية حيث اقترن تغييب الديمقراطية وقمع الحريات العامة بنمو اقتصادى هائل تعددت أسبابه وبانت نتائجه فى ارتفاع مستوى المعيشة وتفتح القدرات الابداعية للشعوب التى أخذت تطالب بحقوقها الديمقراطية مستندة الى قدراتها الاقتصادية بينما تقدم الهند وهى أكبر ديمقراطية فى العالم مثالا فريدا على الكيفية التى تتساند بها الديمقراطية والتنمية فى بلد فقير الموارد كثيف السكان لخلق عملاق اقتصادى جديد بالاعتماد على الذات وتعظيم المدخرات الوطنية تماما كما تفعل الصين الشعبية التى ليست مدينة لأحد ويرشحها الاقتصاديون لتكون قوة كبرى خلال سنوات قليلة.

ولايجد الباحثون نموذجا للفشل أوضح أو أكثر فداحة من النموذج العربى حيث الثروات طائلة والتنمية متدنية والتبعية للأجنبى فاضحة وعن الاستبداد والقمع حدث ولاحرج.

فلماذا لانكون مهزومين جميعا . ولماذا لايكون احتلال " بغداد" مجرد تجل جديد لهذه الهزيمة التى لن يقبل أحد بعد الآن تزويقها أو التخفيف من وطأتها باسم النكسة أو التراجع المؤقت ..

ولن نكون مهزومين إلا إذا بدأنا نقاوم .. فلست مهزوما مادمت تقاوم .. والمقاومة ليست عملاً عسكريا فقط ضد قوات الاحتلال كما يحدث فى فلسطين وسوف يحدث فى العراق .. المقاومة هى أيضا رؤية للعالم ونمط حياة وعلاقات وأفكار وتصورات عن المستقبل واستشراف له وقد اقترح علينا الصديق الباحث " عبد الحميد البرنس " الذى اختار لنا الديوان الصغير من فانون وقدمه أن نستخدم تعبير المبادرة باعتبار المقاومة هى رد فعل.

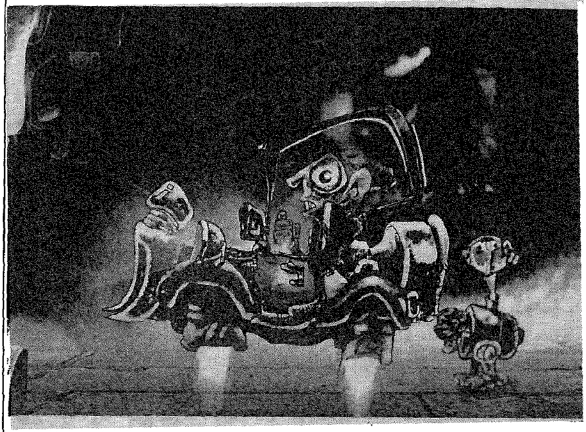
ولن يخرج العرب من هذه الهزيمة الشاملة خروجا كريما إلا بالمقاومة والمبادرة الشاملة أيضا على كل المستويات وفى كل الجهات ، والجبهة الثقافية واحدة منها بل لعلها أخطرها .. فهناك سوف تطرح كل الأسئلة المسكوت عنها عن المجتمع الطبقى الأبوى وضرورة تفكيكه متجاوزة عن الروح الاستهلاكية العدمية وعن الذهنية الأصولية الجامدة وعن روح النقد المقموعة ، عن التعليم والإعلام ، عن الدين والدنيا عن علاقاتنا بالحركة العالمية المناهضة للامبريالية والصهيونية والقوى الجديدة التى تساند قضايا تحررنا وتسعى لمعاونتنا حتى ننهض من كبوتنا ونحن لانفتأ نخذلها بأشكال استجاباتنا المتدنية والبطيئة للتحديات الكبرى ، باستكانتنا للطغيان ، وتعايشنا مع مؤسسات فاسدة بيروقراطية غير صالحة للحياة ، ونظم حكم انتهى عمرها الإفتراضى وتعفنت وفاحت رائحتها وعلى مايبدو فاننا قد اعتدنا الروائح الكريهة وأصبحت جزءا من حياتنا العادية التى هى بالموت أشبه، وهى النظم التى جعلت من أوطاننا فريسة سهلة للطامعين والغزاة والأفاقين واللصوص ومعدومى الضمائر.

والحصون تسقط من داخلها .. ومقاومة السقوط تبدأ أيضا من الداخل

ونحن مطالبون باطلاق المبادرة والمقاومة معا ..

المحررة


no comment
fedawy98@hotmail.com



الحرب فى الصور والكلمات

أمريكيون ضد أمريكا

إعداد وتقديم : على عوض الله كرار

يبدأ الملف بمقتطفات من مقالات الكتاب الرائع (إذا ما استمرت الحرب) للروائى الألمانى العظيم (هرمان هيسه) ، والتى كتبها بدءاً من عام ١٩١٤، وهو العام الأول من أول حرب خاضتها أمته ضد العالم ،إلى عام ١٩٤٨ ، عام زرع الثكنة العسكرية (إسرائيل) رسميا وسط الشرق الأوسط بفلسطين ،وكنقطة إرتكاز قوية للإمبريالية الأمريكية بشرق البحر المتوسط.

وهيسه يعلمنا – هنا – درساً – بسيطا هو : ياأيها المثقف .. ياأيها الأديب .. ياأيها الفنان ، إن وجدت بيتك الذى يأويك يحترق ، فهل ستستمر فى استكمال كتابة روايتك .. رسم لوحتك .. تستمر فى مداعبة فتاة رقيقة . أو زهرة ندية . أو غيمة تبشر بحياة خضراء على الأرض ؟ .. أتستمر هكذا حتى يقترب منك لسان من ألسنة الحريق ويلعقك من قدميك إلى يديك المسكتين بالقلم والورقة ؟!.

طبعا هيسه لم يقل هذا ، موقفه هو الذى قال . فطرته السليمة هى التى أخذت قلمه ، من وقت لآخر ، من عالمه الأثير : عالم الملائكة التى يحكى عنها المؤمنون أنها تركت ، لبعض الوقت ، مكانها وعملها ، لتحارب مع حق الخير فى امتلاك الجمال ، والحرب طرائق لاتحصى ، ومنها إضاءة ممرات جسد الإنسان ، كى تعرف الروح والذهن طريقهما إلى القلوب التى كادت تتيبس ، لهكذا إستأذن هيسه عالم الجمال المبثوث فى ثنايا رواياته ، وانطلق إلى حيث يؤدى فريضته الواجبة : إطفاء الحقد المتأجج فى نفوس أقلية تتربع على قمة مجتمعها .. هى لم تعد تتلذذ بالنظر إلى طبقاتها المتكومة فوق بعضها البعض، تحتها ، هى صارت كالطفل الذى رفعه أباه وأجلسه فوق كتفيه ، مدلدلاً قدميه على صدره ، وما أن تمر لحظات حتى يستشعر الطفل أنه هو الذى يقود أبيه ، ويستشعر كذلك بأنه يمتلك العالم الذى يحتويه بعينيه ، فهو الأطول قامة من كل الكائنات التى تمر من جواره ، وهو الذى يرى ما لاتراه عيون المارة ، وهو الذى تطول يده مشنة الخبز التى تحملها المرأة الطالعة لتوها من طابور الفرن المزدحم ، .هكذا تستشعر (الأوليجاركية / الأقلية الحاكمة) موقفها اللحظى ، فهى من هذا العلو الشاهق ترى خيرات الأمم الأخرى ، فينهشها الحقد ، فتسوق شعبها بعد تدجينه بشوفينية عمياء ، وتأجيج النار فى رواسبه القبلية ، وتدجيجه بالعدة والسلاح (وهى هنا على خلاف الحالة المسيطرة على الطفل) هى فحسب استلت من هذه الحالة خيطا ونسجته على هيئة حقد استبدلت به رئتيها .

وهنا ، فى أتون التلاحم مع الغزاة تتعرى الكلمة من أرديتها وأثقالها ، فتخلع عنها المجاز والتورية والإيحاء والرمز وكافة المحسنات الإبداعية والبلاغية إلا قليلاً بغية تلدين النص (لاهو طرى ، ولاهو ناشف يابس) ، فقليل من الجلوكوز فى دواء الشرب ، ولون جميل على قشرة كبسولة الدواء الملساء ، ييسران مرور مفردات التركيبتين غير المستساغتين ، عبر الفم والبلعوم والمعدة .

وطبعا يتطلب دخول المقالات النثرية فى مواجهة مع الآليات الهمجية حساً سياسيا رفيعا ، بدون هذا الحس لايكون لهذه المقالات مكان سوى صناديق القمامة ، وهذا الحس قد يعلو النص ، قد يتخلله ، قد يكون أرضيته ، قد يكون هيكله العظمى ، قد يكون ذائبا تماما فى النص فلا يرى ، وقد يظهر كقطع المكسرات الرمضانية فى لفظة أو جملة هنا ، وهناك .. مع كل نص أوقعته الأقدار فى مثل هذه الظروف الاستثنائية (الحرب على رأسها) توجد سياسة ما ، بشكل ما .



ويقول هيسه نفسه : « عندما أقول عن مقالاتى إنها(سياسية) فاننى دائما أضعها بين أقواس ، إذ ليس فيها من السياسة غير جوها العام الذى خلقت فيه » .

***

ويمتد الملف إلى مقتطفات أخرى ، قصيرة وطويلة ، من أدباء وفنانين وقادة ومفكرين وطلاب وطالبات وأطفال ، بطول العمق الزمنى (أريستوفان ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد حتى البنت أسماء البالغة من العمر سنتين اثنتين) ، وبعرض المكان : من ألمانيا إلى اليونان إلى نيويورك إلى ميدان التحرير وشارع الجامعة بالاسكندرية إلى فرنسا إلى دول الاتحاد السوفيتى إلى فيتنام إلى كوبا جيفارا إلى العراق إلى لندن .. لقد أردت التعبير عن العولمة الثورية النابتة من أسفلت الشوارع ، بهذه الطريقة : ملف كونى يفضح الفكر الاستعمارى ، ويكفى المقارنة بين تلك الرسائل : رسالة نابليون إلى أهل مصر ، ورسالة غزاة الاتحاد السوفيتى ، ورسالة الغزاة الأمريكان للعراقيين ، والفحوى واحد : لقد غزوناكم لنحرركم من الظلم !!

حكمة الأطفال

(إليكم هذا المقطع الأخير مما كتبته مايسة جميل بجريدة الحياة ، لندن فى ٨ إبريل تحت عنوان : تبدو المدينة جميلة فلماذا يقصفونها كل ليلة ؟)

*　*　*

ابن جارتى ، وهو فى السابعة من عمره ، يهرع عادة من المدرسة ليرابط أمام قناة « سى بيبيز» المخصصة للأطفال . لكنه حاليا يعسكر أمام شاشة « بى . بى . سى نيوز » وهى مخصصة للأخبار . ويتزامن ذلك ، وانتقال الكاميرات إلى بغداد التى يكون قد حل عليها الظلام ، تنتظر انطلاق صفارات الإنذار ليبدأ القصف وسأل الطفل والدته « يبدو أنها مدينة جميلة فلماذا يقصفونها كل ليلة ؟. وتبدأ جارتى فى البحث عن تفسيرات تناسب سنه ، فتقول :« لأن هناك رجلاً شريراً يجب أن يجدوه ويتخلصوا منه » .. ويسألها مجدداً : « وهل سيقصفون كل المناطق التى يعيش فيها رجال أشرار؟».

*　*　*

وإليكم هذا المقطع من النيوزويك ١٥ إبريل

... أحمد ياسين ، مترجمى القادم من وكالة الأنباء العراقية التابعة للدولة ، يقوم بعمله بدافع من ضميره ، ولكن حتى قبل أن تبدأ الحرب كان قد أنذرنى بأن أبناءه سيحتاجون إليه فى البيت أثناء القصف ، فابنته (إسراء) ، سنتان من العمر ، وابنه (عبد الله) ، ثلاث سنوات ، كان الرعد والبرق يرعبانهما وحين زرتهم فى البيت هذا الأسبوع ، وجدت أن الطفلين حولا تلك الأصوات إلى نوع من الترفيه ، فعند سماع القنابل تتساقط ، تبدأ (إسراء) بالرقص طالبة من الكبار الانضمام إليها بعزف الموسيقى عن طريق نقر الأثاث الخشبى بالأصابع . حين يصبح القصف مكثفا حقا نجدها قد نامت ، كما قالت (إيمان) زوجة (أحمد) ، وبينما كانت تتكلم سقطت البنت نائمة على الأريكة ، أما (عبد الله)، فيرفض تناول أى شئ آخر غير الشوكولاته طوال اليوم ، ويؤكد أنه يجوع وقت النوم . وتقول الأم : إنهما ينامان عميقا حالما يستغرقان فى النوم ، لم يعودا يخافان كما كان الأمر ذات مرة).

الضمير يتمرد

هذا ماحدث فى فبراير ١٩١٧

تلقت إحدى كتائب فوج الحرس سيمينوفسكى أمراً باخلاء شارع نيفيسكى. ولما انطلقت لتنفيذ مهمتها احتكت مع كتيبة من فوج فولهينسكى الذى وقف إلى جانب قضية الشعب . وتجابه الفوجان ، وارتعدت الجماهير ووقفت مذهولة تتساءل : ماذا سيحدث ؟ وفجأة شهد الجميع المشهد التالى : خرج الضابط العجوز الذى يقود كتيبة الحرس بحصانه من بين الصفوف ، وانتصب واقفا على ركابى جواده ، واتجه نحو رجاله قائلاً :« أيها الجنود ، إننى لاأستطيع إصدار الأمر باطلاق النار على إخوانكم ، ولكن سنى لاتسمح لى بأن أتخلى عن القسم الذى قطعته على نفسى » وأخرج مسدسه من غمده ، وأطلق النار على نفسه ، فسقط قتيلاً . فما كان من الجنود إلا أن لفوا جثمانه بعلم ، ووقفوا إلى جانب

الجماهير . وهكذا شهد هذا اليوم عدداً من حالات رفض الأوامر التى ارتكبها الضباط رغم ندرة وقوع مثل هذه الحوادث عادة بين صفوف الضباط وكانت حالات عصيان الأوامر مختلفة بشكلها ومضمونها نظراً لاختلاف أماكن وقوعها وتباين الظروف المحيطة بها.

من كتاب (٣٠٠ يوم من الثورة الروسية) – تأليف : جورج صوريا – ترجمة : أكرم ديرى ، المقدم الهيثم الأيوبى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٢ – ص :٣٣ ، ٣٤

* * *

وهذا ماحدث فى إبريل ٢٠٠٣

كشفت مصادر فرنسية أمس عن رفض طيار استرالى يشارك فى الحرب ضد العراق ضرب الأهداف التى حددتها القيادة العسكرية الأمريكية أوضحت مجلة « لونوفيل أوبسرفاتير » الفرنسية أن الطيار الاسترالى الذى كان يقود مقاتلة من طراز « إف – ١٨» رفض ضرب أهداف مدنية بالقنابل العنقودية لتعارض ذلك مع اتفاقيات جنيف الموقعة عام ١٩٧٧ ، والتى وقعت عليها استراليا.

* * *

وحدث فى ٨ إبريل ٢٠٠٣ م

ومنع متظاهرون استراليون مناهضون للحرب أمس سفينة حربية استرالية من مغادرة مرفأ سيدنى فى طريقها إلى العراق ، فربطوا أنفسهم إليها وألقوا جسما تحت الماء أمام السفينة وفاجأوا شرطة المسطحات المائية بينما كانت الفرقاطة سيدنى المزودة بصواريخ موجهة تتحرك؛ لمغادرة الميناء ورفع المحتجون لافتة كتب عليها « لا للحزب » وقالت جماعة « جرينبيس » فى بيان أنها منعت الفرقاطة من مغادرة الميناء باستخدام مجموعة من اليخوت والزوارق والسباحين والغواصين .

جريدة الحياة – ٩ إبريل ٢٠٠٣

يقتلون من أجل المال

هذه تعريفات سريعة أعدتها مجلة (نيوزويك) المؤرخة بـ ٨ إبريل عن القتلى والأسرى والمفقودين من الجنود الأمريكيين .. وسوف أضع خطا تحت جمل بعينها لما تحمله من دلالة تؤكد على أن المؤسسة العسكرية الأمريكية تقوم على فكرة الارتزاق ، لا فكرة الدفاع عن وطن أو عقيدة .. ورغم أنه لم يوجه إلى أسر هؤلاء الجنود السؤال التالى : ما الذى دفع بابنك إلى الالتحاق بالجيش ؟ إلا أن نحو ١٦ ٪ ممن ورد ذكرهم (٥٣ جنديا) قال القريبون منهم – طوعاً – إنهم التحقوا بتلك المؤسسة من أجل المال (فى الغالب لادخار مايكفى منه للالتحاق بالجامعة) « ولأن المؤسسة السياسية عملت عن قصد على إفقار طبقاتها الشعبية ، حتى لايكون أمامهم سوى طريق واحد للكسب هو : القتل ثم القتل ثم القتل .. وأعتقد أنه لو كان وجه هذا السؤال ، لأجاب عدد آخر باجابات مماثلة ، وبالتالى ترتفع النسبة المئوية لعدد الداخلين إلى مابين فكى الموت طمعاً فى الحصول على أنيابه الذهبية.

وأحض قراءنا أصدقاء (أدب ونقد) على الاقتراب بأعينهم نحو ذلك الجندى الأمريكى الذى ألقى بثلاث قنابل فى خيمة قيادته العسكرية ، ثم تمر أيام أخرى ، وتحمل إلينا الجرائد خبر جندى آخر قتل نفسه ببندقيته ، ثم تمر أيام أخرى ، فى عز القتال الضارى تنحى القيادة العسكرية العليا أحد قادتها الميدانيين انتابته لحظة إنسانية عابرة ، وكل يوم نسمع عن أمريكيين وبريطانيين قتلوا بنيران زملائهم ، أو عن مروحيات تصادمت ببعضها ، كذلك المدرعات ، وبما يعطى انطباعا قويا بحالة ارتباك ناتج عن ذعر تحلل أبدانهم فأصاب حواسهم وأذهانهم بالخلل.

أصدقائى ، أدعوكم للتجول قليلاً داخل تلك المقتطفات المطولة من تجربة الشعب السوفيتى ضد غزو متعدد الأطراف (ضمن الملف)

وكيف أن التفانى والصمود والصبر انعكس على القوات الغازية ، وتخلل البزات العسكرية إلى قلوب عدد غير قليل منهم ، فتصاعد الإنسان الذى هو متكوم فيها هلعاً من سيطرة الغباء على الذهن ، وحين لمح تشققات أصابت بنية هذا الغباء ، انطلق محاولاً المرور من بينها ، وإيقاف أياديه عن مواصلة قتال أصحاب الأرض .. وفيما بعد رصد المخرج السينمائى (ايزنشتاين) ماحدث من تمرد جماعى على المدرعة (بوتمكين) عام ١٩٠٥ (أيضا: ضمن الملف) فى فيلم مازال يعتبر حتى الآن واحداً من أهم الأفلام العالمية ..

* * *

* المجند : باتريك ميلر - ٢٣ عاما (أسير)

من سكان مدينة بارك يتى بولاية كانساس .. بعد عمله فى مجال لحام الأكسجين انضم إلى القوات المسلحة الصيف الماضى ، كوسيلة لمساعدته على سداد قروض الدراسة.

* * *

* الإختصاصية : شوشانا جونسون : ٣٠ عاما : أسيرة

اسمها يعنى الزهرة باللغة العبرية ، وهو من وحى عمتها التى تعمل ممرضة فى حى بروكلين بنيويورك . ومع أنها نشأت فى أسرة عسكرية إلا أنها لم تكن تتوقع قط أن تجد نفسها على خطوط المواجهة ، وتقول شقيقتها الصغرى: أنها تتمتع بروح المرح ، وهى جريئة ، ويمكن الوثوق بها . كان حلم شوشانا أن تكون طاهية ، لكن معاهد الطهى تكلف الكثير من المال ، وبالتالى فان وظيفة طاه فى الجيش كانت مناسبة ، وكانت على مايبدو وظيفة آمنة بشكل كاف.

* * *

وتلك فقرة فوق البيعة منحنا إياها عدد ١٥ إبريل من (نيوزويك) عبر مقال (جيرى آدلر) المعنون بـ (تحرير جيسيكا): وكانت قد وقعت مصابة وأسرتها القوات العراقية ، وأدخلتها مستشفى للعلاج ، وهى تبلغ من العمر (١٩ عاما) ، وإليكم تلك الفقرة : (.. وكانت قد انضمت إلى الجيش لأنها أرادت ، من جهة ، كسب المال لدخول الجامعة وكانت تعتزم التعليم فى صفوف الحضانة حين تعود إلى ديارها ومن جهة أخرى ، أرادت رؤية العالم)

* * *

أفبهكذا يتخلق مجتمع السوبر مان ، محتكراً كل القوى المادية والروحية ؟ .. دل وقعت خطبة

(العناكب) لنيتشه ، من القضاء الألمانى ، على عتبة البيت الأبيض ، فالتقطها أصحاب البيت وأورثوها – بالتتابع – لكل من ورث منهم ذاك البيت ؟ .. من فضلك ، برجاء الإطلاع عليها ضمن ماكتبه د. يسرى إبراهيم عن نيتشه الزرادشتى.

ذكرتهم النيوزويك الثامن من إبريل :

* * *

* السيرجنت : دونالد آر والتزر – ٣٣ عاما(مفقود)

من سكان مدينة كانساس سيتى بولاية ميزورى .. عملت حرب الخليج (٩١) على تغييره بشكل كبير ، وحين عاد إلى دياره ، يقول والده : نورمان ، كان يجلس ويرتعش بسبب الأهوال التى رآها

أخيرا قرر والتزر أن يترك الجيش قبل عامين ، وبعد تنقله بين وظائف عدة ، وطلاقه ، وزواجه مرة أخرى ، عاد هذا الرجل ، وهو أب لثلاثة أطفال ، لينخرط فى صفوف القوات المسلحة ، الصيف الماضى.

* * *

* الجندى : روبين إيستريلا – سوتو: ١٨ عاما(مفقود)

من سكان مدينة إلباسو بولاية تكساس . كان والده يعارض انضمامه فى القوات المسلحة ، لكنه كان يرغب فى دراسة الهندسة ، وكان الجيش من وجهة نظره الطريقة المثلى لتغطية نفقات دراسته.

* * *

* السيرجنت : مايكل إى بتز : ٣١ عاما (قتيل)

من فينتورا بكاليفورنيا : شجعته والدته : دونا بلمان على الانضمام للبحرية بعد عدد من السنوات الضائعة.

* * *

* نائب العريف : خوسيه جويتيرز – ٢٢ عاما (قتيل)

من لوميتا بكاليفورنيا كان يتيما بشوارع جواتيمالا سيتى . سمع عن أمريكا من قس فى أحد ملاجئ الأطفال ، وفى سن ال (١٤) ، وعن طريق المشى والتنقل عبر قطارات النقل ، جاء إلى كاليفورنيا ، حيث تمت تربيته فى ملجأ للأطفال . انضم لمشاة البحرية ليدخر مالاً للجامعة.

* * *

* الاختصاصى : جمال أديسون : ٢٢ عاما (قتيل)

من روزيل ، جورجيا .. مثل غيره من الجنود الأمريكيين الشبان ، فان أديسون ، الذى لديه ابن فى الثانية من عمره ، كان معنياً أكثر بالإلتحاق بالجامعة يوما ، من المشاركة فى الحرب.

* * *

* الاختصاصى : براندون أس توبلر : ١٩ عاما (قتيل)

من بورتلاند ، أوريجون .. كان توبلر يحلم بوظيفة فى أجهزة تطبيق القانون ، والحق بالاحتياط لادخار مايكفى من الأموال للإلتحاق بالجامعة .. تقول أسرته إنه كان شغوفا بركوب دراجته الهوائية ، وتسلق جبل تابور بورتلاند ، وشرب البيرة ، وكانت لديه قدرة متقنة جذلة على تقليد اللكنات الفرنسية والإنجليزية والاسكوتلندية . مات فى عاصفة رملية.

الضرب فى العراق

كلمات : إسلام خليل
غناء : شعبان عبد الرحيم

كفاية بقى تلاكيك .. خلاص الخلق ضاق
ماتشوفوا إسرائيل وتسيبوكوا م العراق
كفاية .. كفاية
هننزع السلاح . ومالو شئ جميل
هتفتش العراق .. روح فتش إسرائيل
شوف إسرائيل وجيشها .. وشارون بيعمل إيه
عمال يضرب ويقتل، طب ليه ساكتين عليه
سلاح دمار وشامل موجود هناك كتير
والضرب عينى عينك مبيحترموش كبير
شارون خلاها بركة والدم زى المطر
ويقولك العراق هى أكبر خطر
من يوم البرج وإحنا عايشين فى دوامه
لو ألف ماتوا فيه كام ألف بسببه مات
أدى العراق كمان من بعد الأفغان
ومحدش بكره عارف الدور على مين كمان
ضربوها وخربوها وبقالهم كام سنة
ولسا ياما تشوفوا من كتر الهيمنة
سيبوا العراق ياعالم خلاص معدش فيها
الضرب جاب أخرها وخلص على اللى فيها
تفتيش وفتشوها ملقوش سلاح دمار
ويرضوا بيضربوها بالليل والنهار
عايزين تقسموها ولا إيه بالضبط
ولأنتو بصراحة حطين عينكوا عالنفط
معدش حد غيرهم يتحكم فى البشر
والظلم والفساد على إيدهم انتشر
خايف صحيح عليهم بصراحة احتار دليلى
ولاأنت جاى تحقق الحلم الإسرائيلى
هنقضى عالإرهاب ونخرج المحتل
الضرب فى العراق مكنش عمره حل
شعب العراق غلابة مسكين هيعمل إيه
من أول الحكاية هو اللى مجنى عليه
لو سمعوا فى يوم كلامنا مكنش حد خش
ولاوجه الغريب لاعبهم وفى أول لعبة قش
بعتنا ميت رسالة وبقينا زى النحل
ياريته سمع كلامنا مكنتش تبقى وحل
الريس كان حسسها بعت له ميت مكتوب
مسمعش أى حاجة وحط فى ودنه طوب
نفسى أشوف العرب زى الهلال والقمر
ونفسى فى مرة واحدة ينجح لنا مؤتمر
كفاية بقى تلاكيك خلاص الخلق ضاق
ماتشوفوا إسرائيل وتسيبوكوا م العراق
بس خلاص

ملف

الهتــاف و . . . .

قالوا العراق حيسلم .. وم المقاومة احنا بنتعلم
ندر عليه ياأم القصر .. لاجى وأزورك يوم النصر
ياللعار وياللعار .. مصر ثمنها ٢ مليار
قصة حرق العربية .. تمثيلية أمن غبية
لاإله إلا الله .. وبوش عدو الله
يابوش صبرك صبرك .. فى بغداد راح تحفر قبرك
ياحكامنا اشتد الضرب .. عاوزين دولة تعلن حرب
ياالله يامعين .. انصر جيش المسلمين
درسك ياوطنى المحتل .. غير المدفع مافيه حل
حرب الشعب فى كل مكان .. ضد صهاينة وأمريكان
احمى بلادك ، احمى أرضك .. بوش وبلير هيهتكوا عرضك
احنا الحرب حطبها ونارها .. احنا الجيش اللى يحررها
بالمعونة يركعونا .. بالمعونة بيدبحونا
ياعراق ياحبيب .. صوتك أبداً مش هيغيب
لا إله إلا الله .. الشهيد حبيب الله
ياوزارة الداخلية .. المظاهرة دى سلمية
يابو دبورة ونسر وكاب .. غاوى ليه حبس الشباب (الطلاب)
ياأمريكا هنتحداكى .. وياعراق إحنا فداكى
ياأمريكا كفاية حشود .. الإسلام حيسود حيسود
يابوش لم حشودك .. بكره شباب الدعوه يدوسك

(من صحف : صوت الأمة والأهالى
والتجمع والعربى والحياة اللندنية)

* * *

تونى بلير ياتونى بلير .. بطل تلعب دور دوبلير
ياللا ياويلد . ياللا يابيلد .. نضرب جيش رامسفيلد .
حوش حوش ياسيد بوش .. شباب أمريكا فى النعوش
ياجيش أمريكا ماذا دهاك .. مش عارف وشك من قفاك

(من وجدان معد هذا الملف)

النكتة جنبا إلى جنب

رسالة على الموبايلات المصرية :
(ننصح بزيارة موقع شبكة CNN لرؤية صدام حسين وهو يستسلم لبوش بشرط الإقامة بالبيت الأبيض)

* * *

بعث بوش برسالة إلى صدام هى أغنية الفنانة اللبنانية نانسى عجرم : (أخاصمك آه . أسيبك لأ)

* * *

أجرى الرئيس العراقى فحصه السنوى ، وجلس ينتظر النتائج تحت القصف ، وأخيراً اتصل به الطبيب وقال له : عندى لك خبر سئ، وخبر أسوأ منه ، وسأله صدام : (ماهو الخبر السئ ؟) قال الطبيب : (أنك ستموت خلال ٢٤ ساعة) .. وصدم صدام بما سمع وقال للطبيب كيف يمكن أن يوجد خبر أسوأ من هذا ؟ .. ورد الطبيب أنا أحاول أن أتصل بك منذ أمس.

* * *

وجد سائق نفسه وسط زحام السير ، ودق رجل على زجاج سيارته وهو يحمل مابدا أنه أوراق ومنشورات .. قال الرجل للسائق إن الرئيس بوش خطف ،، والفدية ٥٠ مليون دولار ، وقد هدد الخاطفون بصب البنزين عليه وإحراقه إذا لم تدفع .. وسأل السائق عن معدل التبرع الجارى ، ورد الرجل : خمسة لترات بنزين إلى عشرة.

من صحيفتى : العربى والحياة اللندنية

* * *

بسبب الموقف الرائع للرئيس السورى بشار الأسد قدم مندوب الولايات المتحدة بالأمم المتحدة طلباً عاجلاً لدعوة مجلس الأمن وأخذ قرار بعدم الموافقة على تعيين أو انتخاب أى طبيب عيون لرئاسة أى دولة من الدول الأعضاء .

* * *

حافظ الأسد — الله يرحمه — لما التقى إن الذراع ألعربية أخذتها الأشعار الثورية وطارت ، أدخل



ابنه (بشار) كلية الطب ، وأوصاه بأن يتخصص فى طب العيون.

* * *

واحد بيقول لواحد صاحبه : الأمريكان ياصاحبى موتوا صدام حسين ثلاث مرات لغاية دلوقت) .. فقال له صاحبه : (ولسه له أربع ميتات أخرى) .. فسأله الأول : (ليه ؟) .. فقال له صاحبه : (الأمريكان افتكروه حيعمل قطه).

* * *

واحد بيقول لصاحبه : (أنت مش شايف العلاقة السرية الحميمة بين اسم بوش ، واسم صدام) .. فقال له صاحبه :(من فضلك فهمنى ؟) .. فقال له الأولانى : (بوش بالإنجليزية يعنى: ادفع .. وصدام يعنى زى ما انت عارف)... فأجابه صاحبه قائلا : (آه فهمت . يعنى الإتنين بيلعبوا على أساميهم) .. فرد الأولانى : (وعلشان كده . وزيادة فى الاحتياط . الأمريكان والصهاينة بيلموا كل الأطفال الرضع اللى اسمهم : أسد وفهد ونمر وفارس وضبع وجهاد وعبد الجبار وعبد القوى وغيرهم) .. فعلق صاحبه متعجبا :(الله . الله . همه بيعيدوا فيلم فرعون بقا) .. فقاله له الأولانى : (أمال إيه . هوه أنت فكرك شالوا عمرو موسى ليه ؟) .. فرد صاحبه (علشان اسم والده) .. فقال له الأولانى:(وكمان علشان اسمه هو) .. فعلق صاحبه : (وجابوا الرجل الذى يحمد ربه على كل شئ ، واللى هوه ماهر فى الفلتان من المآزق الإستراتيجية).. امتقع وجه الأولانى وقبل أن يأخذ ديله فى أسنانه ويجرى قال لصاحبه :(ياعم . انت كده دخلت فى السياسة . مع السلامة).

من وجدان معد هذا الملف

ملف

إعلان الضمير

هذا لايتم باسمنا

ترجمة : د. حامد عمار

بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٢٥ أصدر هذا الإعلان ووقع عليه أكثر من ٥٥ ألفا من الأمريكيين من المفكرين وأساتذة الجامعات وأعضاء الكونجرس فى الولايات والعلماء ورجال الدين والأطباء والمحامين ورجال المال والاقتصاد ، ومنظمات حقوق الانسان والهيئات النسائية والأدبية، ومختلف الأعراق والديانات . وفى هذا الإعلان . يؤكدون بوحى من ضمائرهم ضرورة التصدى بالاحتجاج والفعل للحرب غير الشرعية وغير الأخلاقية وغير المبررة التى تقوم بها الحكومة الأمريكية لغزو العراق ، وعلى تداعياتها فى داخل المجتمع الأمريكى وفى العالم أجمع وإليكم نص هذا الإعلان الذى كانت تسميته ماتصدر هذا المقال :

حتى لايقال إن شعب الولايات المتحدة لم يحرك ساكنا عندما أعلنت حكومته حربا بلا حدود ، وأسست إجراءات فاحشة جديدة للقهر.

فان الموقعين على هذا الإعلان يناشدون شعب الولايات المتحدة العمل على التصدى للنهج والتوجهات فيما تسسير فيه سياستها العامة منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والتى تمثل مخاطر جسيمة لشعوب العالم.

إننا نعتقد أن لكل الشعوب والأمم الحق فى تقرير مصيرها ، متحررا من الضغوط العسكرية للدول الكبرى . ونعتقد أن كل الأشخاص الذين تعتقلهم أو تضطهدهم حكومة الولايات المتحدة ينبغى أن يتاح لهم التعامل من خلال الإجراءات القانونية المتبعة لمقاضاتهم ، كذلك نعتقد بأن التساؤل والنقد

والاختلاف فى الرأى قيم جديرة بالتقدير والحماية . وندرك أن مثل هذه القيم والحقوق تظل دائما موضعا للنضال يستحق أن يدافع عنها.

ونعتقد أننا كشعب يحركه الضمير ، علينا أن نتحمل المسئولية إزاء ماتقوم به حكوماته ، ومن ثم فعلينا أولا وقبل كل شئ أن نعارض انتهاك صور العدالة التى تتم باسمنا . لذلك ندعو جميع الأمريكيين إلى مقاومة القهر والحرب التى تشيعها دون مسئولية إدارة بوش فى هذا العالم.إن هذه الحرب غير عادلة وغير أخلاقية وغير شرعية . وقد اخترنا أن ننضم إلى الصالح المشترك مع شعوب العالم.

لقد شهدنا كذلك الأحداث المفجعة التى هزت كياننا فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، وتملكنا الحزن لما أصاب آلاف الضحايا الأبرياء ، واضطربت عقولنا من مشاهد تلك المذبحة البشرية ، وحتى فى ذلك الحين تذكرنا المشاهد المماثلة فى بغداد ، وبنماستى ، ومعها مشاهد عقد مضى فى فيتنام ، وبذلك شاركنا ملايين الأمريكيين فى تساؤلهم المكروب عن السبب الذى يؤدى إلى مثل هذه الوقائع.

وما أن أخذ شعورنا يتصاعد بالحزن لأحداث سبتمبر ، إلا وتفاجئنا القيادات العليا لوطننا باطلاق إعلانها مفعما بروح الانتقام ، وصاغت لتلك الروح شعارا ساذجاً مفاده (مع الخير وضد الشر) ، والتقطته وسائل الإعلام بالأسلوب الملائم والمهدد . وقد بعثت لنا تلك الوسائل برسالة فحواها أن مجرد التساؤل عن مبررات ماتقوم به القيادات إما يقع فى دائرة الخيانة ، وأنه ليس هناك مجال للرأى والرأى الآخر فى هذا الشأن لأن القضية في جوهرها لاتحتمل أى تساؤلات سياسية أو أخلاقية . وإذا كان لها من إجابة فهى أنه سوف تكون حربا فى الخارج وكبتا في الداخل .

وباسمنا فرضت الحكومة جملة من مظاهر العنف فى المجتمع ، ومنها تحذير المتحدث باسم الرئيس بأن(على الناس أن يراقبوا ماذا يقولون) كذلك يجرى تشويه آراء المخالفين من الفنانين والمثقفين وأساتذة الجامعات ، ويتم الهجوم عليها وعدم نشرها . ثم إن مايسمى بقانون المواطنة (باتريوت أكت) وغيره من العديد من الإجراءات المماثلة على مستوى الولاية ، تمنح الشرطة صلاحيات جديدة هائلة للتفتيش والقبض ، تشرف عليها إذا كان ثمة إشراف ، وتتعامل معها محاكم سرية وإجراءات سرية.

وباسمنا اغتصبت السلطة التنفيذية أدوار ووظائف الفروع الأخرى للحكومة . ومن خلال الأوامر التنفيذية تعقد المحاكم العسكرية التى لاتعبأ كثيرا بالتدقيق فى الشواهد والقرائن ، وأحكامها غير قابلة للاستئناف فى المحاكم العادية . وهكذا تدان جماعات بأنها « إرهابية » بمجرد جرة قلم من الرئاسة.

علينا أن نأخذ بجدية مايتحدث به كبار رجال الدولة عندما يشيرون فى الخارج إلى حزب قد تمتد عقدا من الزمان ، وفى الداخل عندما يعلنون عن قيام نظام جديد . إننا نواجه بصراحة نظاما إمبرياليا جديدا فى التعامل مع العالم ، كما نواجه سياسة داخلية تصنع وتزيف عوامل لإثارة الخوف وتقلص الحقوق.

إن أحداث الأشهر القليلة الماضية فى مسارها المميت تفرض علينا أن نفهمها على حقيقتها كما هى ، وأن نتصدى لمقاومتها . وتدلنا دروس التاريخ على أن أولئك الذين ينتظرون وقوع الأحداث يشعرون بعدها أنهم تأخروا كثيرا فى مواجهتها.



لقد أعلن الرئيس بوش بأنكم « إما أن تكونوا معنا أو تكونوا ضدنا » ومن ثم فان جوابنا أننا لن ندعك أيها السيد الرئيس تتحدث باسم جميع أفراد الشعب الأمريكي. ولن نتنازل عن حقنا في التساؤل ، ولن تستسلم ضمائرنا في مقابل وعد أجوف بالسلامة ، ونقول (ليس باسمنا) لأننا نرفض أن نكون فريقا مع دعاة الحروب ، كما نرفض أي تفكير يوحي بأن الحرب تدار باسمنا ، أو بحجة رعاية مصالحنا . إننا نمد أيدينا إلى أولئك الذين يعانون من هذه السياسات في أرجاء العالم ، وسوف نعلن تضامننا معهم بالكلمة وبالفعل.

نحن الموقعين على هذا الإعلان ندعو الأمريكيين جميعا إلى الانضمام معنا لنقف في وجه هذا التحدي . وإننا نحيي وندعم التساؤل والاحتجاج الذي يجري في العالم اليوم ، وذلك مع إدراكنا بالحاجة إلى أكثر من ذلك بكثير لإيقاف هذه المأساة . وإننا نستلهم في هذا الصدد ، موقف أولئك الجنود الإسرائيليين الذين رفضوا الانضمام إلى آلة الحرب ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، مع مايمكن أن يعرضهم لمخاطر شخصية ، وكان نداؤهم « لابد أن يكون لهذا حدود ».

ملف

نـــداء مـــن المحاربين الأمـــريكيين القـدمـاء

نحن رجال القوات المسلحة الأمريكية المتقاعدين والاحتياطيين من كل الرتب والعقائد والمبادئ وفروع الأسلحة ، نعلن أننا نقف فى صف الأغلبية العظمى للإنسانية وفى مقدمتها الملايين من شعبنا الأمريكى ونعارض الحرب الشاملة التى تشنها الحكومة الأمريكية على شعب العراق.

وقد خاض معظمنا أكثر من حرب مدفوعين بما تعلمناه وماالقنوه لنا فى المدرسة أن الخدمة العسكرية واجب محتوم هدفه هو حماية الوطن والدفاع عنه. ولكن لم نلبث أن انقشعت عن أعيننا الغشاوة وأدركنا بطلان كل ماتعلمناه وأن ماخضناه كانت حروباً عدوانية باطلة ومثلها الواضح حرب العراق.

وقد وجدنا أن من أول واجباتنا أن ندعو رجال قواتنا المسلحة أن يتأكدوا من حقيقة الأهداف التى يكلفون بها والتى قد يضحون بحياتهم فى سبيلها وأن يتبينوا آثارها على وطنهم وشعبهم وعلى الانسانية عامة . ونحن نهيب بكل أعضاء القوات المسلحة الأمريكية . سواء كانوا فى الخدمة أو فى القوات الاحتياطية أو خرجوا من الخدمة – أن يحكموا ضمائرهم وأن يصدقوا مع أنفسهم وأن يرفضوا كل ماهو باطل ولايمتثلوا إلا لكل ماهو صحيح.

وقد حاربنا فى حرب الخليج السابقة وكانت الأوامر التى صدرت إلينا وكلفنا بها أن نطلق النار ونقتل من مسافات آمنة ، وتطبيقا لذلك دمرت معظم العراق وقتلنا من الجو مئات وآلافا من العراقيين الجنود أو المدنيين على السواء . وصدرت لنا الأوامر ألا تتردد فى حصد أرواح اللاجئين والهاربين سواء كانوا جنوداً أو مدنيين وامتدت الأوامر إلى تدمير الخنادق وسد منافذها والقضاء على من فيها .. أى دفنهم أحياء.

وفى تلك الحرب استعملنا كل ماهو محرم من الأسلحة مثل اشعاع اليورانيوم ومبيدات الحشرات وعقاقير تجريبية ومستودعات أسلحة كيميائية ومنها زيوت حارقة تدمر الانسان أو تعجزه للأبد. وابتدعنا ماسميناه « كوكتيل اشعاع» أنزل بالعراقيين مآسى لا شفاء منها . ولكن المأساة التى لاتقل وطأة أن امتدت آثار هذه الأسلحة إلى قواتنا وكان من نتائجها الأليمة أن واحداً من كل أربعة من مقاتلينا خرج من الحرب مصاباً بالعجز التام.

ولم نتعظ أو نتعلم شيئا من حربنا فى فيتنام ، وهناك صدرت الأوامر بالتدمير التام لكل مانصادفه من الجو أو على الأرض أو فى مياه النهر وحدث فى مذبحة ماى لاى أن ذبحنا خمسمائة امرأة وطفل وعجائز ولم يكن ذلك انحرافاً ولكن كان استراتيجية مقررة.

وقد استعملنا هناك غاز « ايجانت أورانج» الفظيع وجربنا فيهم كل مشتقاته وكنا على علم تام بالآثار البشعة والوحشية التى سوف تصيبهم أو تعجزهم طوال حياتهم وخلفنا ورائنا بشراً بالآلاف لاهم من الأحياء ولا من الأموات.

وقد ظلت أشباح الأطفال والنساء والرجال الذين أصيبوا تطارد رجالنا الذين شاركوا فى المأساة وانتهى الأمر بكثير منهم إلى الانتحار ليتخلصوا من العذاب المرير الذى لازمهم.

وأنتم أيها الجنود والضباط الذين تشاركون فى الحرب على العراق ، لابد أن تدركوا ولايخالجكم شك أنكم قوات احتلال وأن العراقيين يحملون لكم أشد الحقد والموت والكراهية وهم على حق فى ذلك ، فقد ذهبتم لغزو شعب واحتلال وطن وقهر بشر لايختلفون عنا فى شئ وكل مايريدونه هو أن يعيشوا فى أمان وأن يكلفوا أسرهم ويربوا أبناءهم وهم لايهددون الولايات المتحدة فى شئ قط ولانملك مانأخذه عليهم سوى أن حاكمهم ديكتاتور وعلينا أن نسأل : من تكون الولايات المتحدة الأمريكية لكى تعلم شعباً وتلقنه كيف يدير شئون بلاده خاصة إذا ماكان هناك كثيرون فى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها لايثقون بصحة أو شرعية انتخاب رئيسهم ؟

ونحن نندد كل يوم بصدام حسين ثم نعلن عليه الحرب لأنه حاول انتاج أسلحة الدمار الشامل ولكن نتغافل ولانذكر أننا كنا أول من باع له وأمده بكل وسائل انتاج الأسلحة الذرية والكيميائية والبيولوجية .

ونحن نتغافل عن أشد الجرائم بشاعة وفظاعة وهى العقوبات الاقتصادية اللاإنسانية التى نفرضها على العراق والتى أدت حتى الآن إلى وفاة أكثر من مليون عراقى معظمهم من النساء والأطفال نتيجة نقص الغذاء والدواء .. ونتيجة ماقامت به الولايات المتحدة الأمريكية من تدمير للبنية التحتية للعراق من مستشفيات ومحطات كهرباء ومحطات تنقية مياه بل وشملت العقوبات وقف استيراد قطع الغيار والأدوية والأجهزة الضرورية لإدارة المصانع ولتوفير أبسط ضرورات الحياة.

ولاشك أننا جميعاً لانختلف على أنه ليس هناك أى شرف فى ارتكاب جريمة قتل ، فهذه الحرب ضد العراق هى جريمة قتل وسفك دماء جماعية وليس لها أى وصف آخر.

وحينما تلقى قنبلة من طائرة مغيرة لتقتل أما بريئة وطفلها فان هذا ليس إلا جريمة قتل عمد . وحينما يموت الأطفال ضحايا للدوسنتاريا لأن قنبلة دمرت « المجارى» فهى ليست تدميراً لمنشآت العدو ولكن جريمة قتل عمد ، وحينما يموت رجل مسن لأن خطوط التليفون دمرت ولم يستطع استدعاء الإسعاف لإنقاذه من أزمة قلبية فهى ليست تدميراً لخطوط اتصال العدو ولكن قتل عمد . وحينما يختنق ألف فلاح بسيط فى خندق ردم عليهم وسدت منافذه وهم يدافعون عن وطنهم الذى ولدوا ونشأوا فيه فان هذا ليس انتصاراً ولكنه جناية قتل جماعى لاتغفر.

ونحن ننادى قواتنا فى العراق : إن هناك مسيرات حاشدة ومضاعفة سوف لاتنقطع ضد هذه الحرب . وهى استمرار للمسيرات قبلها ضد حرب فيتنام . وقد ضرب آلاف المحاربين هناك المثل والقدوة فى الشجاعة وتمردوا ورفضوا تنفيذ الأوامر ، ومنهم من ألقى به فى السجن بعدما رفض حمل السلاح ضد من أطلق عليهم اسم « العدو».

ونحن نذكر أن كثيرين ضربوا نفس المثل خلال حرب الخليج السابقة وترك الحرب واحتملوا الجزاء . وقد انتهينا نحن الموقعين على هذا النداء إلى أن الحروب العدوانية التى خضناها لم تحقق شيئاً ولابد أن ينتهى عصرها.

ونحن نؤكد أنه إذا ماصممت شعوب العالم على أن تنال حقوقها وحريتها فلابد أن يتقدم الصفوف من يعلنون أنهم مواطنون للإنسانية جمعاء ولن يكونوا جنوداً يقاتلون فى سبيل مطامع وطن ما.

ونهيب بكم إذا وصلتكم الأوامر لكى تركبوا السفن إلى الميدان أن تذكروا أن موقفكم سوف يعنى الحياة أو الموت لملايين من البشر فى الشرق الأوسط وهنا فى الولايات المتحدة.

إن اختياركم سوف يساهم فى تحقيق السعادة وإذا ماصدرت إليكم أوامر القتال فلابد أن تراجعوا أنفسكم وأن تستفتوا ضمائركم ولاشك أنها سوف تملى عليكم المقاومة .. وحينئذ سوف تنضمون إلى قوى إنسانية عارمة تعلن ولاءها السلام وأن لامستقبل للإنسانية بغيره .. وأن ترتفع أيدينا عن شعب العراق.

ترجمة

الحرب الخاسرة

عاموس عوز

ترجمة: عبد الوهاب الشيخ

إن أمريكا تكون قد ارتكبت خطأ كبيراً إذا ما مضت فى الحرب ضد العراق .فالتطرف الإسلامى لا يمكن أن يقضى عليه سوى إسلام معتدل ، والقومية العربية المتطرفة تستطيع التيارات القومية المعتدلة فحسب أن تكبح جماحها .كما أن نظام الحكم البشع لصدام حسين لا ينبغى أن يتم إسقاطه من الخارج وإنما بفعل القوى العراقية نفسها- وأمريكا وأوروبا والدول العربية المعتدلة لابد أن تساندها فى ذلك.

إن حربا أمريكية ضد العراق سوف تعد فى أجزاء عريضة من العالم نوعا من الإذلال والمهانة ، حتى إذا ما انتهت بانتصار ما، أحجبت الرغبة فى الانتقام .وقد تطلق موجة شديدة من التطرف تهدد الأنظمة الحاكمة فى الشرق الأدنى وما حوله .كما تعرض الآن التوازن العالمى للخطر وتشق معسكر الدول الديمقراطية.

لن يفيد انهيار البناء الهش للأمم المتحدة واتحاد الدول الديمقراطية فى النهاية سوى القوى المتطرفة ، التى تهدد السلام العالمى. فلا أحد يمكنه أن يقرر ، ما هى الآثار التى سوف تترتب على الحرب ، ولا حتى يتنبأ بمدى القتل والدمار ، ولا أن يقدر حجم الخطر الذى تمثله أسلحة الدمار الشامل أو القلق الذى له ما يبرره، من أنه قد يحل محل صدام فى العراق وغيرها خمسة أو عشرة من أمثال ابن لادن .

تعترى العالم اليوم موجة من العداء لأمريكا -ومعها تتصاعد موجة ضد إسرائيل:فكل من يرى فى أمريكا تجسيداً للشيطان الأكبر يجنح إلى اعتبار إسرائيل هى الشيطان الصغير . وإن العديد من المفكرين الشرفاء ذوى النظرة الصائبة والنزعة البراجماتية يقفون ضد الحرب ، رغم تأييدهم لحرب العراق الأولى(١٩٩٠) ومع ذلك فإن اليسار الأوروبى سواء الدوجماتى أو السينتمنتالى لا يتردد اليوم لحظة واحدة،فى أن يجمع شمله على اليمين الرجعى والعنصرى وينادى بتلك الشعارات التى استبقيت من بعض ترسانة الشيوعيين والنازيين-من أول «جبروت وول ستريت» وحتى« مؤامرة الصهيونية والرأسمالية العالمية» . وكلما سمعت هذا الكلام كان رفضى للحرب عرضة لامتحان عسير كل حين.

إن حملة الدعاية التى تجرى حالياً للحرب لا تمليها الرغبات الاستعمارية أو التهافت على النفط فحسب ، وإنما تحركها فى المرتبة الأولى تلك النزعة التطهرية الساذجة، التى ترغب فى استئصال شأفة الشر بالقوة ومع ذلك فإن شر النظام العراقى وكذلك شر ابن لادن تمتد جذوره فى الفقر الشديد ، واليأس والإذلال ،وربما بشكل أعمق فى ذاك الحقد الذى لا حدود له ، والذى تصحو عليه أمريكا منذ سنوات ، ليس فقط من جانب دول العالم الثالث، وإنما أيضا فى أجزاء عريضة من المجتمع الأوروبى.

لا ينبغى لمن هو محسود من الجميع أن يحاول محو هذا الحقد والكراهية بالهراوة . فلقد أفاد مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية كلاً من أمريكا والسلام العالمى بدرجة أكبر من جمع كافة الأسلحة القديمة والحديثة . صحيح أن الهراوة لابد منها ، ولكن للحماية من الأعداء والردع فحسب ، وليس لتحقيق مكاسب على ألا يسمح بالتلويح بها سوى للأمم المتحدة فحسب ، على الأقل لا محيد عن إجماع كبير للدول . وإلا فإن المرء يكون فى هذه الحالة لا يدعم سوى ما يريد فى الواقع التغلب عليه: الكراهية واليأس والسعى وراء الانتقام.

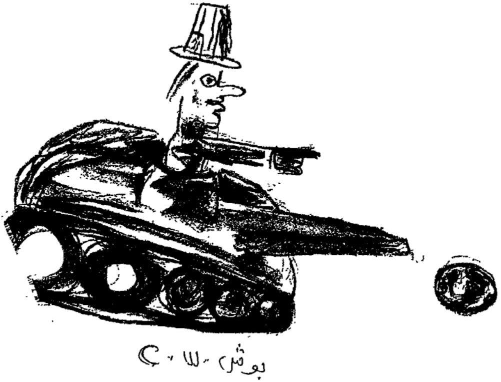
أمـــيركا

شعر : الين جينسبرج

ترجمة : أحمد مرسى

أميركا لقد أعطيتك كل شئ ، والآن أنا لاشئ.
أميركا دولاران وسبعة وعشرون سنتاً : ١٧ يناير ، ١٩٥٦
لا أستطيع أن أتحمل عقلى.
أميركا متى ستنهين حرب الإنسان ؟
فلتتكحى نفسك بقنبلتك الذرية.
أنا لا أشعر أنى بخير . لاتزعجينى.
لن أكتب قصيدتى حتى أكون فى حالتى الذهنية السليمة.
أميركا متى ستكونين ملائكية؟
متى ستخلعين ملابسك ؟
متى ستتطلعين إلى نفسك عبر القبر ؟
متى ستكونين جديرة بمليونك من التروتسكيين؟
أميركا لماذا مكتباتك العامة زاخرة بالدموع؟
أميركا متى سترسلين بيضك إلى الهند ؟
إننى ضقت ذرعاً بمطالبك المجنونة .
متى أستطيع أن أذهب إلى السوبر ماركت وأشترى ماأحتاجه بطلعتى الجميلة.
أميركا أنت وأنا الكاملان وليس العالم القادم.
آليتك شئ زائد عن الحد الذى أطيقه.
لقد جعلتنى أريد أن أكون قديسا .
لابد أن هناك طريقة ما لتسوية هذا الجدل.
« بوروز» فى طنجة لا أعتقد أنه سوف يعود ، إنه شئ شرير.
هل أنت شريرة أم أن هذا أحد أشكال المداعبات الخبيثة ؟
إننى أحاول أن أتطرق إلى لب الموضوع.
إننى أرفض التخلى عن حوازى.
أميركا كفى عن الدفع ، إننى أعرف ماأفعله
أميركا زهرات البرقوق تتساقط.
لم أقرأ الصحف لمدة أشهر ، كل يوم يحاكم شخص ما فى جريمة قتل.
أميركا إننى أشعر بسنتمنتالية ال Wob-blies
أميركا تعودت أن أكون شيوعياً عندما كنت

طفلاً لست آسفاً.
إننى أدخن الماريوانا كلما سنحت الفرصة.
أجلس فى بيتى لمدة أيام بدون انقطاع وأحدق فى الورود داخل الدولاب.
عندما أذهب إلى Chinatown أسكر ولا أطرح على الأرض أبداً.
مصمم على أن مشكلة سوف تحدث.
كان ينبغى أن تشاهدينى وأنا أقرأ ماركس.
محللى النفسى يعتقد أنى سليم تماماً.
لن أقرأ صلاة الرب.
لدى رؤى صوفية وذبذبات كونية.
أميركا لاأزال لم أقل لك ما الذى فعلته للعم ماكس بعد أن عاد من روسيا.
إننى أخاطبك.
هل سوف تدعين حياتك العاطفية تديرها مجلة تايم ؟
مجلة تايم تستحوذنى.
أقرؤها كل أسبوع.
غلافها يحدق فى كلما مررت خلسة بناصية محل الحلوى.
أقرؤها فى بدروم مكتبة بيركلى العامة.
إنها تحدثنى دائماً عن المسئولية . رجال الأعمال جادون.
منتجو الأفلام جادون.
الجميع جادون باستثنائى.
يبدو لى أنى أميركا.
إننى أتحدث إلى نفسى مرة أخرى.
آسيا تثور ضدى.
لم تتح لى فرصة الرجل الصينى.
ويستحسن أن أنظر فى مواردى الوطنية.
مواردى الوطنية تتكون من غرزتى ماريوانا وملايين الأعضاء التناسلية.
أدب خاص لم ينشر ، يسير بسرعة ١٤٠٠ ميل فى الساعة.
وخمسة وعشرين ألف مصحة أمراض عقلية.
لاأقول شيئاً عن سجونى ولا عن ملايين المنكوبين الذين يعيشون
فى آنية زهورى تحت ضوء خمسمائة شمس.
لقد ألغيت مواخير فرنسا ، والدور سوف يأتى على طنجة.
إن طموحى أن أكون رئيساً برغم أنى كاثوليكى.
أميركا كيف أستطيع أن أكتب ابتهالاً قدسياً فى مزاجك الأحمق؟
سأستمر مثل هنرى فورد إن مقاطعى فردية مثل أوتو مبيلاته وهى
علاوة على ذلك مختلفة الجنس جميعاً.
أميركا سوف أبيعك المقاطع الشعرية نظير ٢٥٠٠ دولار للمقطع
الواحد ومقطعك القديم أقل بمقدار خمسمائة دولار.
أميركا أطلقى سراح توم مونى
أميركا أنقذى الملكيين الأسبان
أميركا لاينبغى أن يموت ساكو وفانزيتى
أميركا أنا وأولاد Scottsboro.
أميركا عندما كنت فى السابعة أخذتنى أمى إلى اجتماعات خلية شيوعية
وباعوا لنا حفنة من الحمص لكل تذكرة ثمنها « نيكل» * ، وكانت
الخطب مجاناً ، كل شئ كان ملائكيا وسنتمتالياً تجاه العمال .
كان كل شئ مخلصاً لاتتصورين كيف كان



الحزب
شيئا جيداً فى ١٩٣٥ . كان سكوت نيرينج
رجلاً عجوزاً عظيماً
منشقاً حقيقياً . الأم بلور جعلتنى أبكى.
شاهدت مرة إسرائيل
أمتير غير متخف
لابد أن الجميع كانوا جواسيس.
أميركا أنت لاتريدين حقيقة أن تذهبى إلى الحرب.
أميركا إن الروس هم السيئون.
إنهم الروس ، إنهم الروس ، إنهم الصينيون.
وإنهم الروس.
روسيا تريد أن تأكلنا أحياء. روسيا مجنونة بالقوة – إنها تريد أن تأخذ سياراتنا من جراجاتنا.
تريد أن تقنص شيكاجو . تريد مجلة .Reades Digesyt
تريد مصانع سياراتنا فى سيبيريا . وتريد أن تدير بيروقراطيتها الكبيرة محطات بنزيننا.
هذا شئ غير حسن . أوج. هو سيجعل الهنود يتعلمون القراءة.
هو يحتاج إلى زنوج سود ضخام . هاه . وهى تجعلنا نعمل جميعاً ست عشرة ساعة فى اليوم . النجدة.
أميركا إن الأمر جد خطير.
أميركا هذا هو الانطباع الذى خرجت به من مشاهدة جهاز التلفزيون
أميركا هل هذا شئ سليم ؟
الأحرى بى أن أتطرق إلى المسألة مباشرة.
حقا أنا لاأريد أن ألتحق بالجيش أو أصنع مخارط فى مصانع قطع الغيار الدقيقة ،
إننى على أية حال قصير النظر وعصابى.
أميركا إننى أسند كتفى الغريب إلى عجلة القيادة.



أكثر من فيتنام واحدة (مقتطفات)

أرنستو جيفارا

ترجمة : يوسف درويش

كان من شأن حرب كوريا أن عم الجزء الشمالي من تلك البلاد بعد معركة ضارية امتدت سنوات طوال خرابا لم تسجل الحرب الحديثة مثيلاً له . لقد دكت كل المواقع بالقنابل ، وتجردت البلاد من المصانع والمدارس والمستشفيات ، وبات دون مأوى عشرة ملايين من السكان.

* * *

تدخلت فى الحرب الكورية تحت ظل علم الأمم المتحدة المخادع عشرات البلاد تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ، واشتركت فيها جحافل من الجنود الأمريكيين ، وجند الأهالى فى جنوب كوريا ليكونوا الوقود لمدافعهم.

* * *

لقد مضى مايقرب من سنتين حين صار الأمريكيون يلقون قنابلهم بانتظام على فيتنام فى محاولة جديدة لقمع نضالية الجنوب ، وإجباره على الاشتراك فى مفاوضات يحتلون فيها مراكز القوة كان الضرب بالقنابل قليلا فى بادئ الأمر متظاهراً بأنه الرد الإنتقامى على الاستفزازات المزعومة المنسوبة إلى الشمال ، إلا أن تلك العمليات أخذت بعد ذلك تزداد ضراوة وانتظاما حتى تحولت على مر الأيام إلى حملة جبارة أخذت فى شنها القوات الجوية الأمريكية رامية من ورائها إلى القضاء على كافة أشكال الحضارة فى المنطقة الشمالية من البلاد.

***

إن التضامن الذى يعبر عنه العالم التقدمى للفيتنام يثير فى ذهننا السخرية المريرة التى كان يحس بها المتصارعون الرومان من تشجيع العامة من الشعب لهم . ليس الأمر أن تتمنى فوز ضحية العدوان ، بل ينبغى عليها مشاركته المصير والسير معه حتى الموت أو النصر.

* * *

يشهدنا العالم على صورة منه شديدة التعقيد ، فلاتزال مهام التحرر ترقب بلاداً فى أوروبا القديمة التى وإن كانت على قدر من النمو تجعلها تئن تحت وطأة سائر التناقضات الرأسمالية ، إلا أنها على حالة من الضعف والهوان بحيث لاتقدر على السير فى طريق الإمبريالية، أو خوض هذا الطريق . سوف تتخذ التناقضات فى هذه

البلاد قريبا طابع الانفجار.

* * *

علينا أن ندرك أن الإمبريالية تشكل فى آخر الأمر نظاما عالميا يمثل آخر مرحلة للرأسمالية ويستدعى القضاء عليه أن تدخل فى مواجهة عالمية ، يجب أن يكون هدف تلك المعركة الاستراتيجى القضاء على الإمبريالية . أما بالنسبة لنا نحن الشعوب المستغلة (بفتح الغين) والمتخلفة ، فعلينا إزالة القواعد التى تتعيش الإمبريالية منها : بلادنا المقهورة التى يستمدون منها بأبخس الأثمان الأموال والمواد الأولية والفنيين والعمال ، ويصدرون إليها أموالا أخرى - وسائل التسلط - والأسلحة والسلع على اختلاف أنواعها ، لنكون التابعين لهم فى خضوع مطلق.

* * *

علينا أن نقوم بتنفيذ مهمة ذات طابع عام يتحدد هدفها التكتيكى فى استدراج العدو من المحيط الذى يعيش فيه لإجباره على القتال فى الأماكن والمواقع التى يتعارض أسلوب حياته مع أسلوب الحياة فيها . يجب ألا نقلل من قوة العدو ، فالجندى الأمريكى له من القدرات الفنية ، وتسانده الوسائل الضخمة التى تجعل أمره مخيفا . أما مايفتقده أساسا هذا الجندى فهى تلك الأرضية الفكرية التى يتميز بها مستوى أعدائه الحاليين الجنود الفيتناميون .. لن نستطيع التغلب على الجيش الأمريكى إلا بقدر ماندك روحه المعنوية دكا بما ننزل من هزائم ، ومانسقيه من الآلام المتكررة.

* * *

لاشك أن البلد الذى سوف تختتم به قائمة التحرير سيحصل على حريته دون معركة مسلحة ، وبغير الآلام التى تسببها الحرب الطويلة القاسية التى تشنها الإمبريالية ، إلا أنه قد يتعذر على هذا البلد تجنب تلك المعركة المسلحة أو تجنب نتائجها رذا أخذ النزاع طابعا عالميا حيث تتساوى الآلام إن لم تصبح أكثر شدة . ليس فى مقدورنا أن نتنبأ بالمستقبل ، ولكن يجب ألا نستسلم لموقف من الإغراء الجبان النذل فى أن طليعة شعب يتطلع إلى الحرية ، ولكنه يتهرب من المعركة التى تقتضيها تلك الحرية ، وينتظر النصر كالمتسول على قارعة الطريق.

* * *

علينا أن نخوض الحرب فى كل مكان يخوضها العدو : فى مواقعه وفى أماكن اللهو التى يؤمها يجب أن تكون الحرب شاملة ، علينا ألا نتركه يستريح دقيقة واحدة فى ثكناته وخارجها فقلنهاجم العدو حيث يوجد . يجب أن يشعر العدو بالملاحقة فى» كل مكان يطرقه ، عندئذ يفقد هذا العدو روحه المعنوية شيئا فشيئا ويصبح أشد وحشية ، إلا أن بوادر الخور تبدأ تترسم على ملامحه.

* * *

حين تأذن ساعة القتال تشكل الخلافات الحالية بالصورة التى عليها موطناً للضعف ، إلا أنه من العبث أن نحاول عن طريق الكلام تسوية تلك الخلافات بوضعها الراهن .. سوف يقضى التاريخ عليها شيئا فشيئا ، أو سوف يضفى عليها المضمون الحقيقى.

* * *

يعانى جنود الإمبريالية من المتاعب فى الفيتنام بشأن مستوى الحياة كما تصوره الدعاية الأمريكية مايلاقيه هؤلاء الجنود الذين يقاتلون على أرض معادية ، ومايواجهونه من حظر السير على أرض العدو ، والموت الذى يترقب من يتخطون قلاعهم المحصنة ، ومن يتعرضون لعداء مستمر من الشعب بأسره . تنعكس تلك الأمور جميعها على الحياة الداخلية فى الولايات المتحدة مما يجعل الكفاح الطبقى يبرز فوق أرض الإمبريالية ذاتها ، هذا العامل الذى تهدئ الإمبريالية من شأنه حين تكون فى عنفوان قوتها.

* * *

لاشك أننا سوف نستطيع رؤية ماهو قريب منا ومضئ إذا تفتحت وازدهرت على ظهر البسيطة أكثر من فيتنام ، اثنان أو ثلاثة أو عديد منها ، مع ماتجر وراءها من الموت والمآسى المفجعة ، وماتحمل معها كل يوم من بطولات وماتلقنه من الضربات للإمبريالية فتضطرها إلى تشتيت قواتها تحت وطأة الحقد المتزايد الذى تضمره لها شعوب العالم فى قلوبها.

مجلة الطليعة- يونيو ١٩٦٧ - مؤسسة الأهرام

ملف



النزعة التدميرية

اريك فروم

ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد

لقد ذكرنا من قبل أن النزعات المازوكية – السادية يجب تفرقتها وتمييزها عن التدميرية بالرغم من أن النوعين ممتزجان معا . التدميرية مختلفة حيث إن هدفها ليس هو التكافل الإيجابى أو السلبى بل هدفها استئصال موضوعها . لكنها كامنة أيضا فى عدم القدرة على تحمل العجز والعزلة الفرديين . إننى أستطيع أن أهرب من الشعور بعجزى إزاء العالم الذى هو خارجى بتدميره . وتأكدوا أننى إذا نجحت فى إزالته فاننى أظل وحيدا ومعزولا ، ولكن عزلتى عزلة محببة لاتسحقنى فيها قوى الأشياء المهيمنة الموجودة خارجى . تدمير العالم هو آخر المحاولات وأشدها بأسا لإنقاذ نفسى من كونى مسحوقا منه . السادية تهدف إلى تجسيد الموضوع ، التدميرية تهدف إلى إزالته . السادية تميل إلى تدعيمه بغية أى تهديد من الخارج.

وأى ملاحظ للعلاقات الشخصية فى ساحتنا الاجتماعية لايخطئ فى تأثره بقدر التدميرية الموجود فى كل مكان ، وهى لاتدرك شعوريا هكذا بقدر ماتبرر بعدة طرق . وكحقيقة قائمة ، لايوجد شئ لن يستخدم فى التبرير العقلى للتدميرية . فيستخدم الحب والواجب والضمير والوطنية كأقنعة لتدمير الآخرين أو النفس . وعلى أى حال ، يجب أن نفرق بين نوعين مختلفين من النزعات التدميرية . هناك النزعات التدميرية الناشئة من موقف معين ، كرد فعل على هجمات موقعة على حياة الفرد وتكامله أو على حياة الآخرين وتكاملهم أو على الزفكار التى يعتنقها الإنسان هذا النوع من التدميريةهو الملازم الطبيعى والضرورى لتأكيد الإنسان للحياة.

وعلى أى حال فان التدميرية التى هى هنا موضع بحث ليست هذه العداوة العقلانية – كما يمكن أن يسميها الإنسان عداوة " رد الفعل " – بل السعى الحثيث الدائم داخل الشخص الذى لاينتظر سوى فرصة للتنفيس. فاذا لم يكن هناك " داع" موضوعى للتعبير عن التدميرية ، فاننا نسمى الشخص مريضا ذهنيا أو عاطفيا (بالرغم من أن الشخص نفسه يقيم عادة نوعاً من التبرير العقلى) . وفى معظم الحالات نجد أن الدوافع التدميرية يجرى تبريرها بطريقة تجعل عددا من الناس على الأقل أو الجماعة الاجتماعية كلها تشترك فى التبرير العقلى ومن ثم تجعله يبدو (حقيقيا) لعضو فى مثل هذه الجماعة . ولكن موضوعات التدميرية اللاعقلانية والدواعى الخاصة لاختيارها ليس لها أهمية ثانوية ، فالدوافع التدميرية هى هوى فى داخل الشخص ، وهى تنجح دائما فى أن تجد موضوعا فاذا لم يستطع الأشخاص الآخرون أن يصبحوا موضوع تدميرية الفرد لأى سبب كان ، فان نفسه تصبح بسهولة الموضوع . وعندما يحدث هذا بدرجة ملحوظة ، يكون المرض الجسمانى هو فى الغالب النتيجة أو قد تبذل محاول للانتحار.

لقد افترضنا أن التدميرية هى هرب من الشعور غير المحتمل بالعجز حيث إن هدفها هو محو جميع الموضوعات التى يقارن بها الفرد نفسه . ولكن فى ضوء الدور الهائل الذى تلعبه النزعات التدميرية فى السلوك الإنسانى ، لايبدو أن هذا التفسير تفسير كاف ، فالظروف ذاتها ظروف العزلة والعجز مسئولة عن مصدرين آخرين للتدميرية : القلق وانجراف الحياة بالنسبة لدور القلق لاحاجة إلى كثير يقال عنه . إن أى تهديد ضد المصالح الحيوية (المادية والعاطفية) يخلق القلق (١٢) والميول التدميرية هى أشيع رد فعل على مثل هذا القلق. والتهديد يمكن أن يحوط فى موقف معين بأشخاص معينين ، وفى هذه الحالة ، تنشأ التدميرية ضد هؤلاء الأشخاص . والقلق يمكن أن يكون أيضا قلقا دائما – وليس من الضرورى أن يكون – شعوريا – نابعا من شعور دائم مماثل للتعرض للتهديد من جانب العالم الخارجى . هذا النوع من القلق الدائم ينتج من وضع الفرد المعزول والعاجز وهو مصدر آخر لاختزان التدميرية التى تتطور فيه .

وهناك نتيجة أخرى مهمة للموقف الرئيسى نفسه هو ماأسميته بانجراف الحياة . إن الفرد المعزول والعاجز تغلق أمامه أبواب تحقيق امكاناته الحسية والعاطفية والعقلية ، وهو ينقصه الأمان الداخلى والتلقائية وهما الشرطان لمثل هذا التحقق . هذا الانغلاق الباطنى يتزايد بالمحرمات الحضارية بشأن اللذة والسعادة ، مثل تلك المحرمات التى جرت من خلال الدين والأكثر منها الخاصة بالطبقة الوسطى منذ فترة حركة الإصلاح . واليوم اختفت المحرمات الخارجية ، غير أن الانغلاق الباطنى ظل قويا بالرغم من الاستحسان الشعورى للذة الحسية.

هذه المشكلة الخاصة بالعلاقة بين الانجراف للحياة التدميرية قد مسها فرويد برفق ونحن بمناقشتنا لنظريته سنتمكن من التعبير عن بعض الاقتراحات الخاصة بنا .

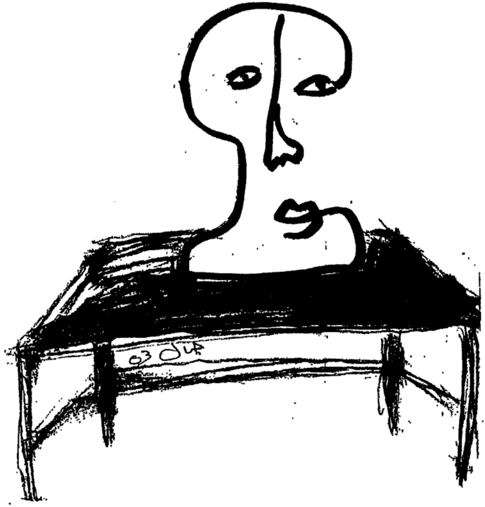
لقد أدرك فرويد أنه أهمل ثقل وأهمية الدوافع التدميرية فى افتراضه الأصلى من أن الدافع الجنسى ودافع الحفاظ على الذات هما الدافعان الرئيسيان للسلوك الإنسانى . ولما آمن بعد ذلك بأن الميول

التدميرية لاتقل أهمية عن الميول الجنسية ، شرع فى افتراض أن هناك نوعين رئيسيين من النزعات فى الإنسان : نزعة موجهة نحو الحياة وهى متطابقة بشكل أو بآخر من اللبيدو الجنسى وغريزة موت هدفها التدمير الخاص للحياة . ولقد افترض أن هذه الغريزة يمكن أن تمتزج بالطاقة الجنسية ومن يث يمكن توجيهها ضد النفس أو ضد الأشياء الكائنة خارج النفس . زيادة على ذلك ، افترض أن غريزة الموت كامنة فى الصفة البيولوجية الموروثة فى كل الأجهزة الحية ، ومن ثم فهى جزء ضرورى غير قابل للتغير من الحياة.

إن فرضية غريزة الموت كافية بقدر ماتدخل فى الاعتبار الثقل الكامل للنزعات التدميرية التى أهملت فى نظريات فرويد المبكرة . لكنها ليست كافية حيث إنها تستند إلى تفسير بيولوجى لايدخل فى الحسبان بما فيه الكفاية إن قدر التدميرية يتباين تباينا هائلا بين الأفراد والجماعات الاجتماعية . فلو كانت فرضيات فرويد صحيحة ، لكنا توصلنا إلى أن قدر التدميرية إما ضد الآخرين أو ضد الفرد ثابت بشكل أو بآخر . ولكن ما نلاحظه بالفعل هو بالعكس : فليس ثقل التدميرية بين الأفراد فى حضارتنا وحده يختلف بقدر كبير ، بل كذلك نجد أن التدميرية ليس لها ثقل متساو بين الجماعات المختلفة وهكذا – على سبيل المثال – نجد أن ثقل التدميرية فى شخصية أعضاء الطبقة الوسطى الدنيا فى أوروبا أكبر بكثير بصفة قطعية عما هى عليه بين الطبقة العاملة والطبقة العليا . ولقد عرفتنا الدراسات الأنثروبولوجية بشعوب تتميز بقدر كبير بصفة من التدميرية على حين أنها تبين أن شعوبا أخرى تتميز بنقص مماثل للتدميرية سواء على شكل عداوة ضد الآخرين أو ضد النفس.

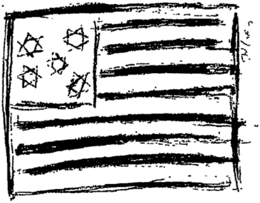
ويبدو أن أى محاولة لفهم جذور التدميرية يجب أن تبدأ بملاحظة هذه الفروق نفسها والشروع فى التساؤل عما يمكن ملاحظته من العوامل المختلفة الأخرى وما إذا كانت هذه العوامل تساهم فى الاختلاف بالنسبة لقدر التدميرية.

هذه المشكلة تقدم من العصوبات مايتطلب تناولا تفصيليا خاصا بها لانستطيع أن نبذله هنا . وعلى أى حال ، أحب أن أقترح أين يبدو أن الجواب كامن . يبدو أن قدر التدميرية الموجود فى الأفراد متناسب مع القدر الذى يتقلص عنده توسع الحياة . لانشير بهذا إلى الإحاطات الفردية لهذه الرغبة الغريزية أو تلك بل نشير إلى إنجراف الحياة كلها وإنغلاق باب تلقائية النمو والتعبير عن قدرات الإنسان الحسية والانفعالية والعقلية . إن للحياة ديناميتها الباطنية الخاصة بها ، إنها تميل إلى النمو وإلى أن يجرى التعبير عنها وإلى أن تعاش . ويبدو أنه إذا كان هذا الميل إلى النمو وإلى أن يجرى التعبير عنها وإلى أن تعاش . ويبدو أنه إذا كان هذا الميل ينجرف فان الطاقة الموجهة نحو الحياة تقوم بعملية تفكك وتتحول إلى طاقة موجهة نحو التدمير بكلمات أخرى : الدافع للحياة والدافع للعداء ليسا عاملين مستقلين بل هما فى تبعية متداخلة معكوسة . فكلما ازداد الدافع نحو الحياة انجرافا ازداد الدافع نحو التدمير قوة ، كلما تحققت الحياة قلت قوة التدميرية . التدميرية هى نتاج الحياة غير المعاشة . إن تلك الظروف الفردية والاجتماعية التى تسهم فى كبح الحياة تنتج انفعالا للتدمير يشكل – إذا جاز لنا القول – خزانا تتغذى منه الميول العدوانية الخاصة – إما ضد الآخرين أو ضد النفس.



ولاحاجة إلى القول بأهمية إدراك الدور الدينامى للتعبيرية الذى تلعبه فى العملية الاجتماعية فحسب ، بل إن الأمر مهم أيضا لفهم الظروف النوعية لتجعله يزداد حدة . لقد لاحظنا من قبل العداوة التى تحيط بالطبقة الوسطى فى عصر الإصلاح والتى تجد تعبيرا عنها فى مفاهيم دينية معينة للبروتستنتانية خاصة فى روحها التقشفية وفى الصورة التى رسمها (كالفن) لإله لايرحم يبهجه أن يحكم باللعنة الأبدية على جانب من البشرية لخطأ لم يرتكبوه . ثم - كما حدث فيما بعد - أن عبرت الطبقة الوسطى عن عداوتها المقنعة أساسا بالكرامة الخلقية التى تجد تبريرا للحسد الشديد ضد أولئك الذين لديهم وسائل الاستمتاع بالحياة . وفى الساحة المعاصرة ، تعد التدميرية التى لدى الطبقة الوسطى الدنيا عاملا مهماً فى نشأة النازية التى استجابت لهذه النزعات التدميرية واستخدمتها فى المعركة ضد أعدائها . إن جذور التدميرية المفترضة فى الطبقة الوسطى الدنيا يمكن تبينها بسهولة باعتبارها التدميرية المفترضة فى هذه الدراسة : عزلة الفرد وكبح التوسع الفردى ، وهما شيئان تتصف بهما بدرجة كبيرة الطبقة الوسطى الدنيا أكثر مما تتصف بهما الطبقتان العليا والدنيا .

ملف



فساد المصير

مقتطفات من هيرمان هيسه عن الحرب والسلام

ترجمة : أسامة منزلجى

تمهيد :

هيئة تحرير (أدب ونقد) اختارت هذه المقتطفات من الكتاب الرائع (إذا ما استمرت الحرب) وهى مجموعة من المقالات كتبها الروائى الألمانى العظيم : هيرمان هيسه ، منذ عام ١٩١٤ ، وهو العام الأول من أول حرب عالمية خاضتها أمته ضد العالم ، إلى عام ١٩٤٨ ، عام زرع الثكنة العسكرية (إسرائيل) وسط الشرق الأوسط ، وكنقطة إرتكاز قوية شرق البحر المتوسط.

وهيسة يعلمنا – هنا – درساً بسيطاً جاداً.. هو أنك أيها المثقف . أيها الأديب . أيها الفنان . إن وجدت بيتك الذى يأويك يحترق فهل ستستمر فى استكمال كتابة روايتك .. رسم لوحتك .. تستمر فى مداعبة فتاة رقيقة . أو زهرة ندية . أو غيمة تبشر بحياة خضراء على الأرض . أتستمر هكذا حتى انتهاء قصيدتك الجميلة حتى يقترب منك لسان من ألسنة الحريق ويلعقك من قدميك إلى يديك المسكتين بالقلم والورقة ؟!

طبعا هيسه لم يقل هذا ، لكن موقفه هو الذى قال ، فطرته السليمة هى التى أخذت قلمه من قوت

لآخر من عالمه الأثير عالم الجمال المبثوث فى ثنايا رواياته الرائعة إلى حيث يؤدى فريضته الواجبة : إطفاء الحقد المتأجج فى النفوس ، بعد كشف أسبابه ، وإلام يؤدى : إلى الخرابوالدمار طبعا .. وهنا لاينفع المجاز ، ولا التورية ، ولا الإيحاء ، ولا الرمز ، ولا المحسنات الإبداعية والبلاغية ، إلا فى أقل القليل لزوم التخفيف من خشونة النص ، فالقليل من الجلوكوز ، مع لون جميل على قشرة كبسولة الدواء ، يسهل تمرير مفردات التركيبة غير المستساغة عبر الفم فالبلعوم فالمعدة .

ويقول هيسه نفسه :« عندما أقول عن مقالاتى إنها (سياسية) فانى دائما أضعها بين أقواس ، إذ ليس فيها من السياسة غير جوها العام الذى خلقت فيه»

xxx

ونشكر هيئة التحرير دار نينوى للدراسات والنشر بسوريا الحبيبة التى نشرت هذا الكتاب (إذا ما استمرت الحرب) .. ترجمة : أسامة منزلجى .. ومع الشكر نقدم الاعتذار على اختطافنا هذه المقتطفات ، فما يجرى – الآن – على الساحة العربية لايتطلب أن يستسمح الرفيق رفيقه فى استخدام بعض من ممتلكاته – التى نرى فى ظرفنا الراهن ، الاستثنائى ، أنه مشاع – فكل مطبوعة وطنية (بالفطرة الأصيلة وحدها) تستولى على أية قصيدة ، مقالة ، قصة ترى أنها الأقوى فى حصار التضليل والأكاذيب ، ومن ثم فتح الطريق أمام وعى الشعب كى يتحرك ، فينشط ، فينمو متحولا إلى جسد عبقرى ، بلحمه العارى يلتهم الغزاة ، ثم يتقيأ شبابهم الغض ، يرجعهم إلى ضفاف إنسانيتهم مرة أخرى .

تقول المظاهرات العربية هتافها الشهير هذا .. هتافها الذى شطره الأول عن إيمان مستقيم وشطره الثانى عن إيمان مراوغ :

بالروح والدم .. نفديك يازعيم

لم تقل تلك المظاهرات : بالدم والروح .. فهى فى عمق أعماقها إنسانية الطبع .. فالروح المنتهية بحرف الياء هى اللفظة التى تسكبها المرأة فى جوف ابنها إن أصابه مرض مثلا ، وتسكبها البنت سراً أمام صديقتها وهى تحدثها عن مدى عشقها لحبيبها .. وتسكبها الأغنيات العاطفية لكل الأجيال .

والروح حين تتجسد تصير قصيدة لوحة . فيلما ، قصة ، مسرحية إلخ .. فان كانت طالعة من القلب ، فستنزل حتما إلى داخل قلوب شرائح عظيمة من الناس يفارقهم الخوف – بفعل النص الجرئ الجليل الجاد الجميل .. جماله نتج عن تفاعل تلك الثلاثية (الجرأة – الجلال – الجدية) مع بعضها البعض .. وبمفارقه الخوف للقلب يتفرغ الذهن لابنكاراته الجهنمية القاضية على ذهنية الإستغلال لدى آخر حصون الإمبرياليات الرزسمالية (أمريكا) .. لذا – أيها الأصدقاء – هم وحلفاؤهم – دوما – يراقبون الكلمة كمجرم خطير ، بل ألغى فى نظرهم ، فالمجرم تحدد له – قانونا – فترة مراقبته .

وأخيراً شكراً مرة أخرى« لدار « نينوى» ، ولامعذرة فالحرب قرينا جميعا ، نحن وأنتم (أدب ونقد – نينوى) فى خندق واحد نتقاسم الذخيرة والخبز والكلام القليل .

هيئة تحرير المجلة.

إذا ماحاولت ورقة عشب مسالمة أن تخرق سطح التربة فسوف تسرع جزمة عسكرية إلى سحقها.

***

وعندما فسد المصير داخلكم واستحال سما بدل أن ينضج وينز حلاوة، ضاعفتم نشاطكم، وخلقتم لأنفسكم أعداء، أولاً في الخيال، ثم على أرض الواقع، ذهبتم إلى الحرب، وأصبحتم جنودا وأبطالا، قمتم بغزوات، تحملتم مصاعب تصيب بالجنون، وأنجزتم مآثر ضخمة. والآن؟ أأنتم راضون؟ هل امتلأت قلوبكم بالسعادة والصفاء؟ هل وجدتم مذاق المصير حلواً؟. كلا، بل هو أمر من العلقم، ولهذا تراكم تصرخون طلبا لمزيد من الحركة، تندفعون في الشوارع تضجون وتصرخون .. وتعيدون شحن بنادقكم. وكل ذلك لأنكم في حالة هروب دائم من المعاناة! حالة هروب من أنفسكم، من أرواحكم!.

***

هل تساءلتم مرة كيف حدث وكان الألمان غير محبوبين إلى أبعد حد، وأنهم مكروهون كرها أعمى، ويبثون خوفا عظيما في القلوب ويتجنبون بعنف؟ ألا يبدو غريبا لكم أنه خلال هذه الحرب الأخيرة، التي اشتركتم فيها بعدد كبير من الجنود تحدوكم آمال مثالية، انتقلت الأمم واحدة بعد أخرى ببطء وثقة إلى معسكر أعدائكم وتخلت عنكم وخطأتكم؟.

***

يقال إن كل أمة تحصل على الحكام الذين تريدهم وتستحقهم. لعل هذا صحيح.

***

أظهرت الحشرات كيف تدافع عن نفسها بأن تبدو أشبه بالعشب أو بالخشب أو بالطحالب أو كجزء من الصخور، بينما كان الضعفاء يحوزون على الإعجاب ويدفعون النظارة الضاحكين إلى الفرار بنفث روائح كريهة، واتقاء شر هجومهم. لم يتخلف أحد كان لكل منهم مواهبه.

***

إن عبارة «لاتقتل» ليست صيغة روتينية منبثقة من «الغيرية» المدرسية فالغيرية لاتظهر في الطبيعة، وعبارة «لاتقتل» لاتعني: لاتؤذي الآخر! بل تعني: لاتحرم نفسك من الآخر. لاتؤذي نفسك! إن الآخر ليس غريبا، إنه ليس شيئا نائيا، لاصلة له بي، ومكتفيا بذاته، إن كل شئ في العالم. كل آلاف «الآخرين» يوجدون فقط طالما أني أراهم وأتحسسهم، وأقيم شجب العالم بوصفه شريراً، لأن الشاجب كان نومه مضطربا أو أسرف في الأكل. ولطالما مدح العالم بأنه جنة، وذلك لأن المادح كان قد قبّل فتاة لتوه.

.. إن العالم لم يخلق لكي يحسَّن. ولا أنتم خلقتم ليطرأ عليكم تحسن. أنتم خلقتم لتكونوا أنفسكم. خلقتم لتغنوا للعالم بصوت، بنغم، بظل: كونوا على سجيتكم، وسيغدو العالم غنيا وجميلا! كونوا ماليس أنتم، كذابين وجبناء، وسيغدو فقيراً وسيبدو في حاجة إلى تحسين .. في هذا الوقت بالذات، في هذه الظروف الغريبة، تغنى من جديد وبعزم أغنية «تحسين العالم»، يصدح بها من فوح السطوح.

ألا تسمعون كم هى قبيحة ومخمورة ؟ كم هى بليدة وكئيبة وغبية وحمقاء؟ وهذه الأغنية أشبه باطار يمكن أن يثبت على أى صورة . فقد ناسبت القيصر ورجال شرطته ..

ألم تلاحظوا أنه كلما تعالى غناء هذه الأغنية يمد الرجال أيديهم إلى جيوبهم ، فهى أغنية المصلحة الشخصية والأنانية – وا أسفاه ! ، إنها ليست الأنانية النبيلة التى ترتقى بالذات وتملأها بالعزم، وإنما الأنانية المتمركزة حول المال ، وزكائب المال والتفاهات والضلالات . وعندما يخجل الإنسان من أنانيته فانه يتحدث عن تحسين العالم ، ويختبئ خلف مثل هذه الكلمات .

***

إن ابن العم الأبيض هذا يمازحنا . إنه يحاول أن يبلغنا أن عقله يعمل على أمر قد يعيش أو لايعيش أحفاد أحفاد أحفادنا ليشهدوا تحققه . إنى أقترح أن نصفق له بوصفه مازحاً . إنه يقول أشياء لا أحد يفهمها فهما تاما فسوف تدفعنا إلى أن نضحك ونضحك ونضحك . ألا تشعرون جميعا الشعور نفسه ؟ أنا سعيد لسماعها . إننى أدعو إلى تحية مضحكنا ثلاثا !

***

لم أعد أؤمن بأن السلام العالمى يمكن تحقيقه بوسائل عقلانية ، بالوعظ ، والتنظيم ، والدعاوة السياسية إلا بقدر إيمانى باختراع حجر الفيلسوف على يد عصبة من الخيميائيين.

***

علمت أنه كان واجب أساتذتنا فى المدرسة أن يعملوا على سحقنا قدر استطاعتهم ، وكانوا يطالبوننا بفضائل هم أنفسهم لايملكونها ، والتاريخ الذى وضعوه أمامنا كان خدعة فبركها البالغون لكى يقللوا فى شأننا ويبقوننا فى أماكننا.

***

طالما أن الإنسان ثرى فانه يستطيع تحمل نفقات القيام بأمور تافهة وحمقاء ، وعندما تفسح الرفاهية الطريق للبلوى ، نبدأ الحياة بتثقيفنا ... وهاقد جاءت أيام البلوى . ليتها تجلب معها بداية الثقافة.

***

إن لكل شئ على وجه الأرض ، كل شئ بلا أى استثناء ، إرادته الخاصة ، إن كل حجر ، وورقة من عشب ، وزهرة ، وشجيرة ، وحيوان ينمو ، ويعيش ، ويتنقل ويشعر انسجاما مع إرادته الخاصة ، ولهذا كان العالم طيبا خصبا وجميلا . وإذا كانت هناك أزهار وثمار وأشجار سنديان وبتولا ، وأحصنة ودجاج وقصدير وحديد وذهب وفحم ، فذلك لأن كل شئ عظيما كان أم متواضعا يحمل فى داخله « إرادته» الخاصة ، ناموسه الخاص ، ويتبع ذلك الناموس بثقة وثبات.

***

قبل نشوب حربكم الطويلة ، ياأصدقائى كنتم أغنياء ، أنتم وآباؤكم ، كنتم أغنياء وبدينين وشرهين ، وعندما أصابكم ألم التخمة لاشك فى أنكم تعرفتم إلى مصيركم من خلال ألمكم وتوقفتم وأصغيتم إلى



صوته الطيب . ولكن لما كنتم مجرد أطفال ، فان ألم بطونكم أثار غضبكم وتوصلتم إلى الاعتقاد أن الجوع والفاقة هما مصدر ألمكم . وهكذا انطلقتم : لتسيطروا ، لتستولوا على مزيد من المساحة على الكرة الأرضية ، لتكدسوا مزيداً من الطعام لملء بطونكم . والآن بعد أن عدتم إلى وطنكم خالين الوفاض مما سعيتم لأجله عدتم تئنون من جديد . واكتنفتكم كافة صنوف الأوجاع والآلام . وها أنتم من جديد تبحثون عن العدو الشرير ، الشرير المسئول عن آلامكم وأنتم مستعدون لإطلاق النار عليه حتى وإن كان شقيقكم.

***

هناك تعبير يفزعنى عندما أسمعكم تنطقون به . هذا إذا لم يثر ضحكى! ذلك التعبير هو« تحسين العالم » لقد تعودتم على ترديد هذه الأغنية مع رفاقكم وجماعاتكم . وكان قيصركم وكل أنبيائى شديدى الولع بتلك الأغنية ، وكانت لازمتها تقول إن الروح الألمانية سوف توحد العالم .. ياأصدقائى . يجب أن نتعلم كيف نكف عن الإدعاء الغريب بأن أمر تحسينه فى أيدينا لطالما يصرع سهم غزالاً . وعندما يأتى المصير إلى الانسان من الداخل ، من عمق أعماق كيانه ، فانه يقويه ، يحوله إلى إله.

***

إن الروح الوطنية لم تكن تنقص يوما جوته ، على الرغم من أنه لم يكتب أى نشيد وطنى فى عام ١٨١٣ . غير أن تفانيه فى سبيل الإنسانية كان أثمن بالنسبة إليه من تفانيه فى سبيل الشعب الألمانى الذى كان يعرفه ويحبه أكثر مما عرف وأحب أى شئ آخر . لقد كان مواطنا وطنيا فى عالم الفكر والحرية الداخلية والضمير الفكرى الشامل . كان فى أفضل لحظات فكره يرى تواريخ الأمم ليس كأقدار منفصلة ، مستقلة ، وإنما كأجزاء مكملة لحركة كلية.

فلنشارك بمظاهرة ضد الحرب

تشن ين

ترجمة :عبد العزيز السيد

سألتنى ابنتى،
«ما هو الجبل الأعلى فى الأرض»؟
قلت لها،
الجبل الذى يتكون من الهياكل العظمية
التى خلفتها الحروب هو الأعلى!
سألتنى ابنتى،
«ماهو النهر الأطول فى العالم؟».
قلت لها :
النهر الممتلئ بالدماء
التى سببتها الحروب هو الأطول!
قالت ابنتى:
«إنى لن أحارب»
***
سألنى ابنى:
«ما هو أضخم الاستثمارات فى الأرض»؟
قلت له:
المال المدفوع للحروب هو الأضخم!
سألنى ابنى:
«ماهو الضرر الأقوى فى العالم»؟
قلت له:
أقوى الأضرار ما يتعرض له الناس أثناء الحروب!
قال ابنى:
«انى أريد السلام»!
**
فلنشارك ، إذا بمظاهرة ضد الحرب
فى عمق الأهداف

(مهداة إلى الروائية الهندية اروندانى روى)
دانييلا جوزيفى
ترجمة محمد الشوكانى
لأنى أعيش كما تعيشين أنت
فى عمق أهداف الصواريخ النووية
فهل أهرب من نيويورك
وتهربين أنت من نيودلهى؟
لكن إذا ما هربنا سيصير أصدقاؤنا رماداً،
وسيتحول أطفالنا الأحبة رماداً
وستصبح حدائقنا التى زرعناها رماداً
وستفنى كل الطيور التى نراقبها من نوافذنا كل يوم
وسيفنى جيراننا الذين نقرئهم السلام كل صباح
وستندثر بيوتنا المشيدة وفق هوانا
وستحترق كل الكتب المصطفة على أدراجنا
فمن سنحب ونهوى ،حين يتلاشى كل ذلك
ومن يا ترى سيقابلنا حين نعود إلى منازلنا
قابلين بنا كما نحن؟.
الأحرى أن نظل فى منازلنا
ملتفين حول أنفسنا ، قرب أطفالنا الأحبة
وقرب أصدقائنا ، وحدائقنا ،وشجرنا
لأننا نحبهم جميعا
ولنتخيل كم هو مؤسف أن نموت الآن
ولنا أن نتناسى الخطر المحدق بنا
حتى يصبح الفناء الشنيع مألوفا لنا
ننتظر كل يوم نشرة الأخبار الجوية
وننتظر كل يوم العدالة للمحرومين
وبدلاً من ذلك نستمع إلى أخبار
«القدرة على توجيه الضربة الأولى»
أخبار تأتى من الهند وباكستان
ومن روسيا وأمريكا
وكأنما الجميع يناقشون لعبة شطرنج
أو نتائج لعبة البسيبول
ثم نتنبأ بما سيأتى
ونتحدث عن أفلام وثائقية
تحكى عن هيروشيما ونجازاكى
وتومض كرة نارية ضخمة
تخلف أجساداً محروقة تعيق انسياب الجداول
وتخلف أطفالا يبكون
رؤوسهم صلع ، جلودهم كوتها النار
تطفئ حرارتها الشديدة
توهج عيونهم إلى الأبد
أمهات يتنفسن بصعوبة
أجساد آباء وأطفال محروقة ينبعث منها دخان أسود ،
ماء مسمم ،ممزوج بزيت كثيف ،هواء ملتهب
والسرطان زرعوه فى كل مكان
موت خبيث خلفوه لمن لم يولد بعد
مهروه وراثيا فى البذور
فى ماء الرجل والبويضات
نتذكر امرأة انصهرت تماماً مع سلالم عمارة
نتخيل أنفسنا منصهرة تماما مع الصلب والأسمنت
كياننا كله يغدو بقعة دم على رصيف مشاة
ونتخيل أطفال المستقبل ، أطفالا مرضى ،مشوهين

يشيرون نحو بقعة دم كانت كياننا كله
،قائلين:
«كانت شاعرة»! ليست «تلك» بل «ذاك الشيء»!.
ألمح زوجي يقرأ جريدته تحت ضوء المصباح
أفكاره نتاج ملايين من سنين النشوء والارتقاء
تبخر منها العقل والإحساس
أعرف قطة مرقطة تعدو على مدى الطريق
تختفي تحت هذا السلم أو ذاك
فهل ستصبح هي الأخرى بقعة إشعاع نشط
بقعة برتقالية أو بقعة قاتمة على قارعة الطريق؟
آه ففي لحظة ستقتلع زهور السوسن الرقيقة
والورد وأوراق الحديقة
كلها ستتحول في طرفة عين إلى رماد!
ولا مكان حينئذ يحمي سكان مدننا
«ردع نووي» يا لها من دعابة شنيعة!
يطير ساستنا في«مهمات سلام»
تنتهي ببيع أسلحة لحلفاء يتقاتلون
فلماذا نسمح بهذا؟
لماذا نحيي الإعلام ، التي تبقينا رهائن
تحت وابل من إطلاق النار
وثلوج سرمدية؟
لماذا نحتمل بناة الموت
من يبتز البشرية جمعاء
من يبتز أرضنا وروائعها الجميلة؟
كيف لنا أن نكتب قصيدة أخرى
في زمن لا قيم للموسيقى وفنون الكون
عند أغبياء بلهاء
أشرار أعطيناهم زمام قيادة الكون ؟
نحن نعيش على خط النار -جميعا هناك-
ابنتي الحبيبة بجدائلها الطويلة الصهباء
زوجي مع جريدته ،والقطة المرقطة
وزهور السوسن القرمزية المتوهجة في حديقتنا
والشجيرات الفاتحة عطراً
أنت ارونداتي ،هناك في نيودلهي
وأنا، هنا في نيويورك
كلنا في مرمى أهداف طغاة العالم القتلة
ما زلنا نأمل أن نسلم من طغيانهم
ويسلم معنا من نحب

*) شاعرة أمريكية من أصول إيطالية ، نشرت أكثر من عشرة دواوين شعرية ، فاز أحدها بجائزة الكتاب الأمريكي السنوي .

(١) اروندانى روى كاتبة وروائية هندية شهيرة بدفاعها عن المضطهدين في جميع أنحاء العالم ، كانت أول من كتب عن خطورة حرب الرئيس الأمريكي بوش ضد الإرهاب ، والتي رأت أنها ستتحول إلى حرب مدمرة للإنسانية كما كتبت ضد السلاح النووي وضد الدول التي تمتلكه ، وهي داعية سلام شهيرة.

لنمارس الحب ، لا الحرب

جيرنش كنتزمان

هل أنت متضايق من حرب أمريكا (...) على العراق ؟ هل أنت غاضب من أن الحرب تسوق باعتبارها إحدى معارك الحرب على الإرهاب فيما الحقيقة غير ذلك ؟ أنا غاضب لذلك ، وعلى شاكلتى ممثلتان من مدينة نيويورك تعارضان الحرب ولكن ليس ثمة وسيلة للتعبير عن ذلك ،فقررتا عقد جلسة لقراءة مقاطع من المسرحية الكوميدية الشهيرة المناهضة للحرب (LYSISTRATA) لمؤلفها اليونانى أريستوفان ، وفيها تقرر نساء اليونان إنهاء دوامة من الحروب التى لامعنى لها بالامتناع عن ممارسة الجنس مع الرجال حتى يوقف هؤلاء القتال.

انتشر الخبر ، واستطاع مشروع (Lysistrata) ... أن ينظم (1,000) قراءة مماثلة فى (59) بلدا .. صحيح أن المسرحية كتبت قبل أكثر من (2000) عام ، ولكن مهلاً ، فقد كان أريستوفان يعلم تماما كيف يجذب المعجبين إلى المسرح ، وأعنى هنا أن من شأن مثل هذه المسرحية أن تجعل (ديك تشينى) يحمر وجهه خجلاً ، فبينما تمارس النساء فى المسرحية تصرفات مثلية جنسية ، يقبع الرجال فى حسرة ، ويضيف لمعاناة الرجال القسم الذى قطعته النساء معتزلات الجنس ، بألا يذللن أنفسهن . ياسلام ! قد يكون ذلك جديداً علينا نحن الأمريكيين لكن يبدو أن الناس قد عرفوا التعرى قبل اختراع الكرسى الخلفى فى سيارات (الشيفروليه).

لقد دعيت لمشاركة الممثلين فى أداء المقطوعات ، وهو من دواعى فخرى ، ولكن عندما عرضت النص على زوجتى وأنا أقرأ فى الفراش (واحسرتاه) ذات ليلة ، تطوعت فورا للقسم بالامتناع عن الجنس . فاعترضت قائلا: « لكننى معارض للحرب » فما كان منها إلا أن أدارت ظهرها لى وهى تغمغم شيئا عن التضحية لأجل الوطن .

قد يكون مشروع (Lysistrata) مجرد قرصة يسارية ، ولكنه يكشف الكثير عن أمريكا الليبرالية والمحافظة ، ليس من الناحية السياسية فقط ، بل الثقافية كذلك.

جيرنش كنتزمان : كاتب عمود فى (ذا نيويورك بوست) وهذا المقطع هو من مقال نشرته النيوزويك / ١٨ مارس ٢٠٠٣

« عصابات نيويورك »

القتــل كعقــيدة

محمد عبد الرحيم

مقدمة

يقوم الفيلم بتشريح الولايات المتحدة تشريحاً حاداً وقاسياً، وتعد هذه الطريقة فى الرؤية النقدية للمجتمع الأمريكى هى طريقة تميز بها « أوليفر ستون» فى معظم أفلامه ، التى منها على سبيل المثال لا الحصر ..

(مولود فى الرابع من يوليو / J.F. K/ قتلة بالفطرة).

إلا أن « مارتن سكورسيزى » ينضم إلى هذه الرؤية ، متوقفاً بوعى شديد أمام بدايات نشوء الولايات المتحدة لا كدولة ، بل كفكرة، هذه البدايات التى ترسم التفاصيل والحدود والتكوين النفسى لهذا الكيان الجبار الآن ، والمسمى بـ « الولايات المتحدة الأمريكية » والذى يحمل بذور انهياره منذ النشأة وحتى الاستقرار.

وعن طريق أفكار طوباوية نشأت فى عقل كل من طرفى الصراع فى الفيلم يتم استعراض طريقة وطبيعة تفكير الإنسان الأمريكى الآن – مع ملاحظة أن أحداث الفيلم تنتمى إلى فترة الحرب الأهلية الأمريكية وبداية توحيد الولايات – حتى يتلاشى كل تعجب أو اندهاش ، مادامت أن البدايات دائماً هى التى تقود إلى النتائج.

وهم الصراع

إن كلاً من طرفى الصراع (الجزار / القس) تحركه أفكارا طوباوية تحمل قيماً نقية ، نجح

السيناريو فى جعلها متوازنة إلى أقصى حد ، دون تفضيل إحداها على الأخرى ، وذلك مابين المناضل (صاحب البلد) راعى التقاليد وحرمة الأرض المقصورة على أهلها وبين الأجنبى (رجل الدين) ممثل كلمة الله فوق هذه الأرض وكل منهما يرى نفسه الأحق بأن تصبح كلمته هى الأعلى .

ونظراً لوهم كل منهما (مع ملاحظة أن هذا الوهم الخفى هو الذى يتضح فى النهاية) وهم أن كلاً منهما على حق ، فقد تساوت كفتاهما ، فان أصحاب الأرض الأصليين لم يذكروا على الإطلاق (الهنود الحمر) وهى إرهاصة ذكية لما سيحدث بعد ذلك، لأن هذه الأرض سوف تختار رجالها رغم أنف الجميع ، ورغم طوباويتهم الساذجة ليصبح كل من سولت له نفسه أن يحمل ولو جزءاً ضئيلاً من قيمة ما ، أيا كانت سواء .. الشرف / الأمانة / الصدق – كل من وجهة نظره – سيكون المثال الأمثل لكى يصبح جديراً بدخوله إلى متحف التاريخ.

إن كلاً من الجزار والقس وابنه بعد ذلك ، يماثل البطل النبيل فى التراجيديات الإغريقية فكل منهم يحمل فكرة رومانسية تثقله وتحركه وتسيطر عليه ، رغم اختلاف وجهات النظر وطريقة الصراع (ابن القس الذى ألقى بالكتاب المقدس فى النهر بمجرد خروجه من دار الرعاية) وبما أنهم فى متحف منذ البداية ، رغم الزخم الخادع للأحداث التى وقعوا فيها فان الصراع الأساسى يدور فى عقولهم فقط.

إنهم كالأطفال المنعزلين تماماً ، والمنشغلين دائماً بألعابهم الطفولية ولغتهم الخاصة التى لن يفهمها ولن يهتم بها أحد . فكل هذا الصخب وكل هذا النضال وهذه الدماء ، ماهى إلا ألعاب صبية ، لاتثير إلا سخرية عين بعيدة تترصدهم وتسخر منهم دون شفقة أو رحمة ، هى عين العصبة أو العصابة الحقيقية ، وليس هؤلاء الحالمون السذج.

مشاهد ذات دلالات

– الصخب الحاد جداً فى مشهد الإعداد للمعركة بين القس والجزار ، من حيث الآلات والناس وطريقة العمل و.. و .. ، وفور أن يفتح الباب ، فالصمت التام هو سيد الموقف ، فأرض النقاط الخمس التى شهدت المعركة لن تكون لهما على الإطلاق

– علاقة الحب والتبجيل التى يخملها الجزار للقس ، وإصرار الجزار بعد الانتصار عليه بألا تمس جثته ، بل ويجب الحفاظ عليها ، ثم الاحتفال السنوى الذى يقيمه الجزار بمناسبة قتل القس ، ماهو إلا احتفال بنضال القس ، فهو يستمد قيمة نضاله من قيمة ضحيته (أليس ماكان يؤرقه بعد ذلك أنه قتل آخر الشرفاء فى المدينة).

– المدينة التى أحبها ابن القس ماهى إلا إحدى صنائع الجزار وضمن ممتلكاته وقد أصبحت جسداً مشتركاً بينهما ، كالأرض التى يقف عليها تماماً ، وهى مشوهة الجسد .

– مشهد الصلاة كل حسب طريقته .. الجزار / ابن القس / الأرستقراطيون ا(العصابة الحقيقية) وكلمة « آمين» كختام الصلاة كل منهم ، ختام يليق باله كل منهم.

– خرافة الثأر .. فالقس قبل موته لم يقتل الجزار ، بل تركه مع عاره يتألم ويبكى وبالتالى لم يقتل الجزار ابن القس أخذاً بالثأر

وذلك قبل المعركة الأخيرة بينهما وقد تسامحا وقد اكتشفا الخدعة بعد فوات الأوان.

– تكرار مشهد جرح الوجه لدى الابن قبل المعركة ، كما فعل الأب (القس)

– الدعاية الإعلامية لكل شئ إلى كل من تطأ قدمه الأرض سواء للانضمام لأحد الحزبين أو حضور قداس الأحد .

– التجنيد الإجبارى والإغواء بالوجبات الثلاثة للجنود (المرتزقة وهم أجانب من الأصل) وصعودهم إلى نفس السفينة التى تفرغ حمولتها من النعوش الذهبية.

– حوار الأرستقراطيين حول اضطرابات المدينة وحركات النساء فى الخلفية وكأنهن لوحة من اللوحات والجميع فى عالم آخر منعزل عن الثائرين الذين لايمثلون لهم إلا مجرد أصوات انتخابية.

– قلادة القس التى هى سبب تعلق ابنه بالفتاة (تركة الجزار) بعد ذلك.

– العين الزجاجية للجزار ، التى لم تتضح فى البداية ، وقبل اغلاقها إلى الأبد بعد موته يتضح أنها على شكل النسر الأمريكى.

– الإعداد لحرب الثأر مابين الجزار وابن القس والأسلحة القديمة الساذجة ثم الحقيقة المتمثلة فى بارود المدافع المنصوبة على الشاطئ ، وهما لايزالان فى حلمهما الطفولى وكأنهما أشباحاً من عالم زائل مختف ، يحجبهما غبار الأبنية المنهدمة والبارود المشتعل.

– طبيعة الأرض التى لم تتغير رغم تغير شكل المبانى بمرور الزمن ، منذ بداية الفيلم وحتى الآن (المشهد الأخير)

السرد

اتخذ السرد من البداية حتى النهاية شكل التعليق فالسارد هو الراوى من داخل الأحداث (ابن القس) / ليوناردو دى كابريو ، منذ طفولته وحتى النهاية ليتبادل هذا التعليق موقعه فى المشاهد التى لم يكن بها أو مطلعاً عليها وذلك لخلق توازن سردى بينه وبين (الجزار / دانيال دى لوى ثم يتم قطع الخطوط الفرعية للأحداث فجأة وبطريقة غير متوقعة ، تدفع بالأحداث للأمام وفق التكوين النفسى للشخصيات كقتل الجزار لمرشح الانتخاب صاحب العصى التى يسجل عليها أرواح ضحاياه ، فالقتل بدافع الولاء للمبدأ ، وكذلك قتل الفتى لصديقه الخائن بدافع الرحمة ثم الفلاش باك السريع أو اللحظى كاستدعاء من ذاكرة الفتى وهو يتذكر أصدقاء والده بعين الطفل.

وربما .. تكون النهاية المتوقعة هى مقتل الاثنين معاً ، بيد القوى الحقيقية (العصابة) ، ولكن الراوى سوف ينقطع سرده ، لذلك ظل على قيد الحياة ، وربما هى نهاية أكثر واقعية ليعانى وحده عذاب كل من أراد تأسيس مدينة فاضلة فى مخيلاتهم أو أحلامهم ، لم يكن لها أبداً أن تقام فوق هذه الأرض التى لاتصادق إلا الشياطين.

إن أفكار الفيلم التى تم طرحها بكل جرأة كان لابد أن تصيب أمثالنا بالصدمة ونرى أنفسنا وقد أصبنا بما يمكن أن يطلق عليه . « الخصاء العقلى » فماذا لو استخدمنا هذه النظرة النقدية والتشريحية فى أمور مؤرقة ومربكة فى نفس الوقت.

بلـــوغ القمـــة

إلى ريتشـل كورى قصيدة رفضتها الصحافة الإسرائيلية

شعر : هافيغا بيدايا

ترجمة : عبده وازن

وفاة الناشطة الأميريكية ريتشل كورى ، المؤيدة للقضية الفلسطينية ، تحت جرافة البلدوزر الإسرائيلية فى رفح (جنوب غزة) ، عندما كانت تحاول اعتراض هدم الجنود الإسرائيليين منزلا فلسطينيا ، أوحت بقصيدة للشاعرة الإسرائيلية هافيغا بيدايا « المسالمة والمؤمنة بعمق ، كما قالت عنها جريدة « ليبراسيون» الفرنسية ، والشاعرة تدرس فى جامعة بن جوريون فى بيرزيت ، وقصيدتها التى ننقلها إلى العربية (عن الفرنسية) ، رفضت صحيفة « ها أرتس » أن تنشرها . إلا أن الشاعرة لم تلبث أن نشرتها عبر الانترنت .

***

عندما يقترب البلدوزر ، تنقلب الأرض أمامه وتتكدس
عندما تنتصبين أمامه ، تدفعك التلال إلى الأسفل ، وتسقطين
عندما تتسلقين تلة ، يجب أن تصلى القمة ، لتحفظى توازنك متكئة على فك البلدوزر ، ويبقى أمامك قليل من الوقت لتقفزى جانبا
ولتهربى وتختبئى ، وتواصلى الصراخ ، جانبا
بعد السقوط يبقى أن نعرف إن كان البلدوزر سيتوقف ، وإن كان ممكنا
أن ننتشل الجسد الذى سقط تحته
ولكن إذا تراجع البلدوزر وواصل قلب الأرض فالمجرفة تقدر أن تجرح أيضا
عندما يقترب البلدوزر ، تنقلب الأرض
عندما يقترب البلدوزر ليدمر ، ترفض الأرض
أن تسمعها تتكلم بالعبرية مسمية نفسها « البديل» !
إيه ، التربة تؤنث كما فى يد خزاف ، فى يد فلاح ، فى يد مزارع!
ادفعى واحفرى ، ادفعى واحفرى

إيه ، ثغر الحفرة !
إيه ، ثغر الحفرة !
تلك التى تحمل طرف المجرفة كانت تبغى أن تصرخ فى وجه التربة :
كفى هدماً للبيت
كفى حفراً فى أحشاء المرأة الحية
ادفعى واحفرى ، ادفعى واحفرى
لقد سقطت فى ثغر الحفرة ، سقطت فى الحفرة
إيه أيها البيت
إيه يا أحشاء المرأة الحية
ادفعى واحفرى ، ادفعى واحفرى ، أيها الثور السكران
عندما يقترب البلدوزر ليدمر ، لاتتمكن الأرض ، بذاكرتها العبرية ، من
أن تدرك البلدوزر له فك
فك من معدن
هل أكل اليهود ، فى منفاهم ، بفك من معدن ، وماذا نفهم نحن بكلمة « فك »؟
الأرض تحفر فى ذاكرتها ولاتجد إلا كلمة « جوف المقلاع» .
هنا يحشر الأعداء ، كلهم
يحشرون مثل حجر رمى عليهم بلا راحة
بينما العشاق موثقون بحزمة الحياة
ولكن بما أن العالم الآن مقلوب ، رأسا وعقبا ، ماذا علينا أن نقول ؟
عندما تنقلب أحشاء الأرض ، فهى تريد أن تتقيأ
أن تتقيأ الحياة المنغمرة فيها قبل أوانها
لكن الدم سال وبات من المستحيل وقفه
إلا أنها تحاول أن تتقيأ الكلمات التى تجهلها
كلمات ألفى عام من المنفى بلا صوت
وعندما تحاول أن تصرخ بجهد جهيد ، شكوى
ريتشل تنهمر حجارة القداسة فى الجوار
حجارة كريمة ، حجارة ملتمعة ، حجارة حياة ، حجارة حياة مختصرة
ادفعى واحفرى، ادفعى واحفرى ، أيها الثور السكران
أختك التى مكثت فى محرابها لتوقفك ، بلغت طرف المقلاع وكأنها لمست
طرف صولجان مليك سكران
وقد قضى الأمر
ادفعى واحفرى ، ادفعى واحفرى
أختك ، صوتها من دم
ادفعى ، احفرى ، اصرخى
ادفعى ، احفرى من الداخل
ادفعى ، احفرى الأرض .

تحية

أنّا ماري شيمل Annemarie Schimmel
(١٩٢٢ ٢٠٠٣)

أ.د. محمد عوني عبد الرءوف

شاهدت الأستاذة دكتور أنّا ماري شيمل في عديد من المؤتمرات التي تعقدها جمعية المستشرقين الألمان حين كنت أدرس في ألمانيا الغربية . وكنت أعجب بالدراسات التي تقدمها في هذه المؤتمرات ، إذ كانت عميقة دائما تتناول فيها جميع نقاط دراستها في إسهاب ، وكانت موضوعية جادة في إلقائها.

ورجعت إلى ما كتبته عن فريدريش ريكرت ، وما جمعته من أشعاره وترجماته عن الشعر العربي بخاصة ، ومقامات الحريري ومعاني القرآن الكريم، حين كنت أعد كتابي عن فريدريش ريكرت ، فكان حديثها ثريا شيقاً. ودعتني لزيارتها في منزلها بمدينة بون – العاصمة آنذاك – فسعدت بالدعوة وحرصت على تلبيتها. وعندما ذهبت إليها في الموعد المحدد ، ودققت جرس باب المنزل نزلت إليّ من شقتها بالدور الثاني لتفتح الباب ، وصعدنا إلى أعلى ، وهي في تمام الصحة والنشاط بالرغم من أنها كانت في الرابعة والستين من عمرها . وفوجئت بأن الشقة كلها تكاد تكون مكتبة ولا تكاد حوائط الغرف تظهر من خلف المكتبات العالية ، وإن كان بها أرائك يمكن أن تستخدم في الاستلقاء عليها أو النوم . وقضينا وقتا نتحادث في كافة الموضوعات اللغوية والإسلامية ، فكان حديثها في شتى مجالات المعارف العربية والإسلامية عميقا ممتازاً . وكانت نموذجا للسيدة المتخصصة في الآداب واللغات الشرقية بحق.

وما زلت أذكر الكثير من حديثها ، وأستعيده فأزداد إعجابا بمعارفها ، وقدرتها على الحديث في مجالات شتى . غفر الله لها فقد قدمت للعلم دراسات جليلة ، وكانت دائما موضوعية في تعاملها مع الآخرين ، محبة للإسلام والمسلمين ، وكانت نموذجا للمستشرق الذي لا يحمل عليهم ، ولا يحرّف النصوص لينال منهم أو يسيء إليهم . بل دافعت عنهم أمام من يتناولهم بغير ما تحب أو يحبون .

ولدت أنا ماري في ٧ من إبريل عام ١٩٢٢ . وبدأت دراسة اللغة العربية، ولم تكن قد تجاوزت الخامسة عشرة من عمرها . وتعرفت المصادر العربيـــة وأصـــول الحضـــارة الإسلامية . وتقدمت في دراستها حتى نالت درجة الدكتوراه عام ١٩٤١ عن رسالتها بعنــوان :

Kalif und Kadi

"الخليفة والقاضي في مصر في القرون الوسطى المتأخرة" .

ثم حصلت على درجة الأستاذية عام ١٩٤٦ وهي في الثالثة والعشـــرين من عمرها عن رسالتها بعنوان:

Die Strukturen der unter der Mamluken in ypten

"البنية الاجتماعية لطبقة العسكريين في زمن المماليك في مصر" من جامعة ماربورج ، وقامت بالتدريس بها . ثم رحلت إلى تركيا، وقامت بالتدريس بجامعة أنقرة عام ١٩٥٤ وذلك بكليـــة الشريعة الإسلامية. وكانت تحاضر الطلاب باللغة التركية، كما درّست الأدب التركي القديـــم. وعادت إلى ألمانيا، ودرّست بجامعة بون عام ١٩٦١ وعندما حصلت على لقب أســـتاذة فـــي الثقافة الهندية الإسلامية من جامعة هارفارد بالولايات المتحـــدة عـــام ١٩٦٧ انتقلـــت إليـــها وارتبطت بها وظلت حتى عام ١٩٩٢.

وقد حصلت أنّا ماري شيمل على درجة الدكتوراة الفخرية من كثير من الجامعات منها: جامعة اسطنبول، وجامعة أوبسالا، وجامعة طهران وحصلت على جوائز عديدة من مختلف البلدان الشرقية والغربية، مما يدل على أنها كانت تتمتع بتقدير كبير في الشرق والغرب.

تعد أنّا ماري شيمل عميدة المستشرقات الألمانيات وهي من الخبراء القدماء الأوائـــل في الدراسات الصوفية الإسلامية، كما كانت ذات خبرة واسعة في الفن الإسلامي وفن الخـــط العربي، وتتبين خبرتها وقدرتها على فهم الشعر الإسلامي فيما قامت به من ترجمات للشـــعر الفارسي والشعر العربي وشعر اللغات الإسلامية الأخرى التي تربو كتبها فيها على مائة كتاب (حوالي ١٠٥ كتاباً ودراسة) وهي تحظى بتقدير العالم الإســـلامي أكـــثر مـــن غيرهـــا مـــن المستشرقين، إذ كانت وحدها تمثل جسراً بين الثقافة الإسلامية، والحضارة الغربية.

وفي عام ١٩٥٨ قامت بزيارتها الأولى إلى الباكســـتان، فقوبلـــت بحفـــاوة كبـــيرة، وحصلت هناك على وسام الهلال والامتياز Hilāl-e-Imtiaz. وأطلق اسمها على شـــارع جميل بمدينة لاهور تحوط به الأشجار من الجانبين. وخصصت جائزة لإبداع المرأة باســـمها عام ١٩٨٨.

كانت تمتدح ضياء الحق الرئيس الباكستاني وتبرر أعماله ، وتعجـــب كثـــيراً بالعلامة الشاعر محمد إقبال، وترجمت له جافدنامه Javidname إلى الألمانية شعراً.

ومما يذكر لها ويرفع من قدرها عند العالم الإسلامي هجومها على ســـلمان رشـــدي عند صدور كتابه "آيات شيطانية"، ووصفته بالإلحاد . وأيدت ما قرره الخوميني من إهـــدار دمه. وكتبت أنه لم يكن من المفروض أن ينشر كتابه، لأنه يؤذي مشاعر المسلمين، ولا يصح أساسا أن ينتقد المرء شريعة أو عقيدة سواء نقداً مباشراً أو في أي صورة بلاغيـــة أو فنيـــة. وتساءلت هل يمكن أن يُفعل ذلك ببعض آيات الإنجيل، وهل كان العالم الغربي يسمح له بذلك؟ وبينت أن مثل هذه الآراء لابد أن تبتعد عن النصوص الدينية. وقد جر عليها ذلـــك عـــداوة زملائها المستشرقين، وعداوة الرأي العام. ونادى الكثيرون بضرورة استرداد وسام الســـلام الذي أهداه إليها الناشرون الألمان. ولكنها لم تهتم، ولم يؤثر هذا على حياتها أو دراستها التي ظلت تقوم بها في دأب، وتحرص عليها حتى عند ركوبها الطائرة في رحلاتها العديدة حتـــى

توفيت وهي في الثمانين من عمرها يوم ٢٨ من يناير سنة ٢٠٠٣ بعد أن زلت قدمها فوقعت على الأرض وأصيبت بكسر، فنقلت على الفور إلى المستشفى حيث أجريت لها عملية جراحية ، وتوفيت بالمستشفى.

ولأناماري شيمل اهتمامات كثيرة، فهي تعنى بالدراسات الإسلامية وبالتصوف خاصة عنايتها بالحضارات المختلفة في البلاد الإسلامية مثل تركيا، وإيران، والباكستان، كما تشيد بالدراسات الإسلامية بالهند، وتترجم من اللغات الإسلامية جميعا (عربية وفارسية وتركية وأردية ... إلخ) إلى اللغة الألمانية . تتناول هذا في دراسات مستقلة بكتبها أو بأبحاثها، ومقالات تتناول فيها الإسلام في عدد من المجلات العلمية كما نقلت الكثير من مختارات الشعر العربي المعاصر إلى اللغة الألمانية.

وقد شاركت في إصدار مجلة فكر وفن عشر سنوات (من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٣).

أما عن كتبها التي بلغت ١٠٥ كتب ودراسة في مجالات متخصصة أو في مسلسلات تصدرها المعاهد والجامعات ودور النشر الإسلامية أو الغربية المهتمة بالتراث الإسلامي أو بحاضر المسلمين وبلادهم. وهي في مجالات متعددة وإن كانت جميعا لا تخلو من العناية بالتصوف والإشارات إليه وإلى موضوعاته.

ونقدم للقارئ العربي مجموعة منها كي يطلع على نوعية ما كتبته المستشرقة أناماري شيمل ويتعرف قدراتها وسعة معارفها.

وقد كتب عنها الصديق الزميل أ.د. مصطفى ماهر أستاذ اللغة الألمانية وآدابها بكلية الألسن مقالة بمجلة الهلال (عدد ديسمبر ١٩٩٥ ص١١٢-١١٩) بمناسبة حصولها على جائزة السلام الألمانية لعام ١٩٩٥. كما ترجم لها بكتابة "ألمانيا والعالم العربي عام ١٩٧٤ (ص١٧٢-٢٠٧) دراسة تبين تأثر الأدباء الألمان في القرن الثامن عشر ، والنصف الأول من القرن التاسع عشر بالأدب العربي وكذلك ورد ذكرها في ترجمته لكتاب رودي بارت "الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية" (القاهرة عام ١٩٦٨).

ويقول دكتور مصطفى ماهر في مقاله بالهلال عنها:

"فهي إذاً مشغولة بآداب الأمم الإسلامية التي تتقن من لغاتها العربية ، والتركية ، والفارسية ، والأردو ، والسندي على الأقل. واهتمامها يشتمل العصور المختلفة من الماضي إلى الحاضر. وقد نشرت في مجلة (فكر وفن) العديد من النماذج المترجمة عن الشعر العربي المعاصر ، ثم أصدرت في عام ١٩٧٥ كتاباً عن "الشعر العربي المعاصر" (١٦١ صفحة) يبدأ بدراسة مستفيضة ، ويضم نماذج من شعر نازك الملائكة ، وبدر شاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتي ، ومحمد الفيتوري ، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي ، وفدوى طوقان ، وسميح القاسم ، ومحمود درويش ، ونزار قباني ، وتوفيق صايغ ، وأدونيس.

أما في مجال الدراسات الإسلامية فتتوزع اهتمامات أناماري شيمل على ثلاث مجموعات من الموضوعات: التصوف التعريف بالإسلام الدراسات الإسلامية المتخصصة."

ولعل من المفيد لنتبين موقفها من العرب ومن المسلمين أن نذكر ما كتبته في مقدمة أحد الكتب الذي نشرته لأحد أعمال (ريكرت).

فلاهتمامها بالشاعر المستشرق فريدريش ريكرت (١٧٨٨-١٨٦٦) أصدرت عن دار كارل شينمان بمدينة بريمن عام ١٩٦٣ كتابا له عنوان "أشعار شرقية" Orientalisch Dichtung بمناسبة مرور ١٧٥ عاما على ميلاد الشاعر المبدع واللغوي الضليع (فريدريش ريكرت) الذي ما زال معروفا لدى المتكلمين بالألمانية بأشعاره الغنائية ، وإن كان معظمهم لا يعرف أنه قام بترجمة الكثير من روائع الآداب الشرقية إلى اللغة الألمانية ، وكان أمينا في ترجمته محافظا على نقل النص معنى ومبنى إلى القارئ الألماني ، الأمر الذي جعله

ينشغل كثيراً بفن القول الشرقي ، ويعجب به ، فيحاول أن يبتدع قوالب وأوزان جديدة للشعر الألماني تتفق وما يقوم بترجمته من أشعار.
وقد قدمت الأستاذة المستشرقة دكتورة أناماري شيمل لهذه المجموعة بمقدمة طويلة تقع في ٤٠ صفحة تحدثت فيها عن الأحداث التاريخية التي اتصل فيها الشرق الأدبي بالغرب ، وكيف أن الحروب الصليبية التي اندلعت عام ١٠٩٦ ساهمت في إعطاء الأوربيين فكرة صحيحة عن الإسلام ، وعن المسلمين وخلق المحارب المسلم الذي أصبح صلاح الدين الأيوبي مثالا نموذجيا له عندهم ، ومن ثم أصبح الأدباء يكثرون من الكتابة عن الشرق متأثرين به ، آخذين عنه ، مؤمنين به أحيانا ، متحيزين ضده أحيانا أخرى . وتحدثت عن دور الأدباء الألمان في العصور القديمة في هذا الصدد ، ودور من خلفهم أمثال هردر ، وجوته ، وريكرت ، ويوسف فون همربورجشتال.

<u>أولاً: دراسات إسلامية</u>

- Zur . Lage in der
  In: Atti dell VIII Congr. int. stor, rel., 446-447, (1955)
  عن الحالة العقائدية في هذا الوقت (الآنية) بتركيا (١٩٥٥)
  قرأت بالمؤتمر الدولي العربي والإسلامي / نابولي ، (١٩٦٧)

- The idea of prayer in the thought of Iqbal
  MW 48, 205-222, (1958)
  فكرة الصلاة في رأي إقبال
  عالم المسلم / عدد ٤٨ ص ٢٠٥-٢٢٢ ، (١٩٥٨)

- Schriftsymbolik im Islam
  In; FSE. , 244-254 Berlin, (1959)
  رموز الكتابة في الإسلام
  الكتاب التذكاري للمستشرق كينل / برلين ، (١٩٥٩)

- Des im Volksglauben
  In: WI 6, 71-90, (1959)
  النذور في العقائد الشعبية التركية
  عالم الإسلام عدد ٦ ص ٧١-٩٠ ، (١٩٥٩)

- Einige Bemerkungen zu Muhammad Iqbal Ğāvīdnāme
  In: Wo 2, 520-527, (1959)
  بعض الملحوظات عن Ğāvīdnāme "جافيدنامى" لمحمد إقبال
  عالم الشرق عدد ٢ ص ٥٢٠-٥٢٧ ، (١٩٥٩)

- Babur Padishah, the poet, with an account of the poetical talent in his family.
  In: IC 34, 125-138, (1960)

بابور الشاعر وقصة العبقرية الشعرية في أسرته.
مجلة الثقافة الإسلامية / حيدر أباد عدد ٣٤ ص ١٢٥-١٣٨ ، (١٩٦٠).

- The Western influence on Sir Muhammad thought.
In Proceedings of the International Congress of the International Association for the History of Religions, 705-708, Tokyo (1960).

المؤثرات الغربية على فكر سير محمد إقبال
بمحضر المؤتمر الدولي للاتحاد الدولي للدراسات التاريخية والدينية ٧٠٥-٧٠٨ طوكيو ، (١٩٦٠).

- Der Koran: Aus dem Arabischen von Max Henning.
Einleitung und Anmerkungen von A. Schimmel.
Stuttgart (1960).

القرآن: ترجمة (معاينه) من العربية (إلى الألمانية) للمستشرق ماكس هننج
تقديم وتعليق أنا ماري شيمل ... شتتجارت (١٩٦٠).

- Yunus Emre. (1961)
In: Namen 8, 12-33

يونس امري
نامن ٨ ص١٢-٣٣ ، (١٩٦١).

- The place of the prophet of Islam in thought.
In: [s] st 1, 111-130, (1962).

مكانة نبي في الإسلام عند إقبال
الدراسات الإسلامية: جريدة معهد الدراسات الإسلامية/الباكستان السنة الأولى العدد الأول ١١١-١٣٠ ، (١٩٦٢) .

- Leben in der
In: ZKA 12, 195-197m (1962).

الحياة الدينية في تركيا ، (١٩٦٢).

- Translation and commentaries of the in Sindi language.
In: Orient 16, 224-243, (1963).

ترجمات وتفاسير القرآن الكريم في اللغة السندية ، (١٩٦٣)

- The veneration of the Prophet Muhammad, as reflected in Sindhi poetry.

In: The Saviour God: Comparative studies in the concept of the salvation, presented to E.O. James, 123-143, Manchester, (1963).

تبجيل النبي محمد (ص) كما يتجلى في الشعر السندي
ظهر في: الإله المخلص: دراسات مقارنة في مفهوم التخليص، مقدمـــة إلـــى اى أو جيمـــس ١٢٣-١٤٣ منشستر ، (١٩٦٣).

- Wing. A study of the religious ideas of Sir Muhammad Iqbal.
Leiden (Studies in the History of Religion SV1), (1963).

جناح جبريل. دراسة في المثل الدينية عند سير محمد إقبال
ليدن (دراسات في تاريخ الأديان) / العدد السادس ، (١٩٦٣).

- Some glimpses of the religious life in Egypt during the later Mamluk period.
In: IsI St. 4, 353-392, (1965).

بعض النظرات الخاطفة على الحياة الدينية بمصر في الحقبة الأخيرة للمماليك.
مجلة: دراسات إسلامية / العدد الرابع ص ٣٥٣-٣٩٥ ، (١٩٦٥).

- Islam II. Historia. Religionum. Religions of the present.
Leiden, (1971).

الإسلام / جزء ثان: تاريخ أديان الأديان في الوقت الحاضر.
ليدن ، (١٩٧١).

- Die neue tschechische mit einem die neusten tschechischen orientalistischen Arbeiten.
In: WO 7, 154-162, (1973).

ترجمة القرآن (الكريم) الحديثة إلى اللغة التشيشية (مع نظرة على أحدث أعمال الاستشـــراق التشيشية).
بمجلة عالم الشرق / العدد السابع ص ١٥٤-١٦٢ ، (١٩٧٣).

-

In: Man and his salvation; studies in memory of S.G.F. Brandon, ed. by Eric J Sharpe and R. and John Hinnels, 221-242. Manchester, (1973).

وسيلة إسلامية حميمة للخلاص
بكتاب: رجل وخلاصة ؛ دراسات في الكتاب التذكاري لبراندون . نشره إريك جي شـــارب، ر. ، جون هيملز ص٢٢١-٢٤٢/ مانشستر ، (١٩٧٣).

- The ornament of the saints: the religious situation in Iran. in pre-Savid times In: IS 7, 88-111, (1974).

زينة القديسين: الموقف الديني بإيران
الدراسات الإيرانية بمجلة مجتمع الدراسات الإيرانية / لوس انجليس العدد السابع ٨٨-١١١ ، (١٩٧٤).

- The meaning of prayer in Mowlana Jalaloddin work. In: Afghanistan 27, 33-45, (1974).

دلالة الصلاة (التضرع) في عمل مولانا جلال الدين البلخي.
بمجلة أفغانستان / العدد ٢٧ ص٣٣-٤٥ ، (١٩٧٤).

- The celestial garden in Islam. In: The Islamic garden, ed. by E.B. Macdougall and R. Ettinghausen, 11-39. Washington (Dumbarton Oaks Colloquim on the History of Landscape Architecture IV), (1976).

في "الجنة في الإسلام" نشرها إي . ب ماكدوجال ، ر. اتنجهاوزن ١١-٣٩
واشنطن (دومبارتون أوكس ، حلقة نقاش عن تاريخ المناظر الطبيعية المعمارية جـ ٤ ، (١٩٧٦).

- Denn dein ist das Reich: Gebete aus dem Islam. und mit einem Vorwort von Sergio Kardinal Pignedoli. Freiburg, (1978).

صديقك الأحلى من العسل هو ملكوت الله (ترجمة حرة): صلوات عند المسلمين اختيار وترجمة مع مقدمة من سرجيو كاردينال بجنودولي . فرايبورج ، (١٩٧٨)

- Rumi: ich bin der wind und du bist das Feuer; Leben und Werke des grossen Mystikers. , (1978).

الرومي: أنا الريح وأنت النار ؛ حياة وأعمال الصوفي الكبير. ديسلدورف (١٩٧٨).

- A new Czech translation of the Qur'ān. Some notes on the activities of Czech scholars in the field of Islamic studies. In: St ISI 15, 171-176, (1978).

ترجمة تشيكية لمعاني القرآن . بعض الملحوظات عن نشاط العلماء التشيك في حقل الدراسات الإسلامية، في مجلة دراسات عن الإسلام . مجلة ربع سنوية تصدر عن المعهد الإسلامي الهندي ، نيودلهي ، ١٩٦٤ (العدد ١٥ ص١٧١-١٧٦ ، ١٩٧٨).

- Und Muhammad ist sein Prophet. Die Verehrung des Propheten in der islamischen . ,
(1981).
ومحمد رسول الله. تكريم النبي محمد (ص) في التدين الإسلامي ديسلدورف (١٩٨١).

- Islam in the Indian Subcontinent, Leiden, (1980).
الإسلام في شبة القارة الهندية ، (١٩٨٠) .

ثانيا: التصوف:

- Islamic Names ; Edinburg Univ., (1989).
أسماء إسلامية ، جامعة إدنبرج ، (١٩٨٩) .

- Zur Geschichte der mystischen Liebe im Islam .
In: Wo 1 (1947 · 52), 495-499, (1947).
تاريخ الحب الصوفي في الإسلام.
مجلة عالم الشرق: (١٩٤٧ ٥٢) ص٤٩٥-٤٩٩ ، (١٩٤٧).

- Die Bildersprache Dschālaleddīn Rūmīs. Walldorf Hessen
(zur Sprach-und Kulturgeschichte des Orients 11), (1950)
فنية اللغة عند جلال الدين الرومي
دراسات عن لغة وثقافة الشرق ، (١٩٥٠) .

- Some aspects of mystical prayer in Islam.
In: WI 2, 112-125, (1952).
بعض سمات الصلاة (الابتهالات) الصوفية في الإسلام .
مجلة عالم الإسلام ، ص١١٢-١٢٥ ، (١٩٥٢) .

- Studien zum Begriff der mystischen Liebe in der Mystic. o. O., (1954).
دراسة عن دلالة العشق في التصوف الإسلامي المبكر
دون ذكر مكان النشر ، (١٩٥٤) .

- Ibn Khafif: an early representative of Şūfism.
In: JPHS 6. 147-173, (1958).
ابن خفيف: ممثلا للصوفية المبكرة
مجلة المجتمع التاريخي للباكستان ، العدد ٦ ص١٤٧-١٧٣ ، (١٩٥٨).

- Rose und Nachtigall

In: Numen 5, 85-109, (1958).

الوردة والبلبل
نومن: العدد الخامس ص٨٥-١٠٩ ، (١٩٥٨).

- The origin and early development of Şūfism.
  In: JPHS 7, 55-67, (1959).

أصول التصوف وتطوره المبكر .
المجتمع التاريخي للإسلام ، (١٩٥٩).

- The martyr-mystic Hallāj in Sindhi folk-poetry.
  Notes on a mystical symbol.
  In: Nomen 9, 161-200, (1962).

الشهيد الصوفي الحلاج في الشعر الشعبي السندي. ملحوظات على رمز صوفي
في مجلة نومن ، العدد التاسع ص١٦١-٢٠٠ ، (١٩٦٢) .

- Sufismus und Heiligen verehung im terlichen
  . Eine Skizze.
  In: FS W. Caskel, 274-289 Leiden, 1968

توقير الصوفية والأولياء في العصور الوسطى المتأخرة بمصر. رسم تخطيطي بالكتاب
التذكاري للمستشرق كاسل ، ١٩٦٨

- Al-Halladsch, der Gottesliebe. Leben und Legende.
  , rsetzt und eingeleitet. , 1968

الحلاج، شهيد العشق الإلهي . حياته والأساطير حوله
اختيار، وترجمة ، وتقديم كولن ١٩٦٨.

- Shāh Ināyat Shāhīd of Jhōk, a Sindhi mystic of the early 18th century.
  In: Liber amicorum. Studies in honour of C.J. Blacker, 151-170. Beidon (Studies in the history of Religions. Supplements to Numen 17), (1969).

شاه عنايت شاهيد من جوك ، صوفي سندي في أوائل القرن الثامن عشر بالدراسات التي
قدمت على شرف بلاكر ص١٥١-١٧١ . بيدون (دراسات في تاريخ الأديان) ، ١٩٦٩).

- Mirza Asadullah Ghalib, en occasion de su muerte.
  In: Humbolt (Hamburg) 38, 99-105, (1969)

مرزا أسد الله غالب
همبلت (هامبورج) ٣٨ ص٩٩-١٠٥ ، (١٩٦٩).

- Mir Dards Gedanken das von Mystik und Wort.

In: Festgabe deutscher Iranisten zur 2500 Jahrfeier Iran, hrsg. von W. Eilers, 117-132. Stuttgart, (1971).

أفكار مير داردز عن الصلة بين التصوف والكلمة .
بالكتاب التذكاري للمستشرقين الألمان (المتخصصين في الدراسات الإيرانية) بمناسبة الاحتفال بمرور ٢٥٠٠ سنة على إيران. نشره ايلزر ص١١٧-١٣٢ / شتتجارت ، (١٩٧١).

- Mirza Ghalib, Woge der Rose, Woge des Weines, , (1971).

ميرزا غالب: غمرة الوردة ، وغمرة الخمر
زيورخ ، (١٩٧١).

- The Sufi ideas of Shaykh Ahmad Sirhindi.

In: WI 14, 199-202, (1973).

الأفكار الصوفية عند الشيخ أحمد سرهندي
بمجلة عالم الإسلام والعدد الرابع عشر ص١٩٩-٢٠٢ ، (١٩٧٣).

- Šāh Abdul - Latīfs Beschreibung des wahren Sufi.

In; FS. F. Meier, 263-284, Wiesbaden, (1974).

وصف شاه عبد اللطيف للصوفي الحق.
بالكتاب التذكاري للمستشرق فريتز ماير ص٢٦٣-٢٨٤ ، (١٩٧٤).

- Zwei Abhandlungen zur Mystik und Magie des Islams von. J.v. Hammer-Purgstall. Mit Einleitung und Anmerkungen herausgegeben von A. Schimmel.

Wien (Akad. d. Wiss., Phiols.-hist. Kl. Sttzungsberichte, 293. Band, 4. Abh.), (1974).

مقالتان عن التصوف والسحر في الإسلام لجوزيف فون همر- بورجشتال. مع مقدمة وتعليق من أناماري شيمل.
فيينا (الأكاديمية العلمية النمساوية / فلسفة تاريخ. تقرير جلسة ٢٩٣ جـ٤ ، (١٩٧٤).

- A spring day in Konya according to Jalāl ad-Dīn Rumī.

In: The scholar and the seint. ed. by P.Y. Chelkowski, 255-273. New York, (1975).

يوم من أيام الربيع في قونية وفقا لما جاء لدى جلال الدين الرومي .
المعلم والعالم ، نشره ب.ى. كليشكوفسكي ص٢٥٥-٢٧٣. نيويورك ، (١٩٧٥).

- Mystische Motive in der modernen islamischen Dichtung.

In: Weg in die Zukunft. FS Anton Antweiller, 216-228.
Leiden (Studies in the history of religions 32), (1975).
المؤثرات الصوفية بالشعر الإسلامي الحديث.
نشر في "طريق إلى المستقبل" . الكتاب التذكاري لأنتون انتفيلر ص٢١٦-٢٢٨.
ليدن (دراسات في التاريخ والأديان ٣٢) ، (١٩٧٥).

- Pain and Grace: a study of two mystical writers of eighteenth-century Muslim India.
Leiden (Studies in the history of religions. Supplements to Numen 36, (1976).
ألم ورحمة: دراسة عن كاتبين صوفيين من مسلمي الهند بالقرن الثامن .
ليدن (دراسات في تاريخ الأديان. تكملة لنومن ٣٦) ، (١٩٧٦).

- Sufi literature. In Afghanistan 29, 76-87, (1976).
أدب صوفي . مجلة أفغانستان / العدد ٢٩ ص٧٦-٨٧.

- Mystical Dimensions of Islam. Chapel Hill (1976).
أبعاد صوفية في الإسلام . شابل هل ١٩٧٦.

- As Through a Veil: Mystical Poetry in Islam. Neu York, (1982).
كما لو كان من وراء (خلال) حجاب. شعر إسلامي . نيويورك ، (١٩٨٢).

- Das Mysterium der Zahl / f.c. Endres u.A. Schimmel,

, (1984).
أسرار العدد / ف.س. اندرس، وأناماري شيمل (١٩٨٤).

- A Study of the works of Jalaloddin Rūmī, (1978).
دراسة لأعمال جلال الدين الرومي (١٩٧٨).

- Deciphering the Signs of God: A Phenomenological Approach to Islam, (1994).
الكشف عن الإشارات الإلهية: محاولة فينومينولجية (ظاهراتية) لتفهم الإسلام ، (١٩٩٤)

- Look! This is Love: Poems of Rūmī, (1994).

أنظر ! هذا هو الحب: لشعر للرومي ، (١٩٩٤).

- Make a Shield from Wisdom, (1995).

اصنع من الحكمة درعاً ، (١٩٩٥).

•

<u>أدب وفن:</u>

- Muhammad Iqbal 1873-1938. The ascention of the poet.
In: WI 3, 145-157.

محمد إقبال ١٨٧٣-١٩٣٨ . صعود شاعر
مجلة عالم الإسلام / العدد الثالث ص١٤٥-١٥٧.

- Sir Muhammad Ikbal: Das Buch der Ewigkeit. Aus dem Persischen , , (1957).

سير محمد إقبال: كتاب الخلود . ترجمة من الفارسية (إلى الألمانية) ، ميونخ ، (١٩٥٧).

- Orientalische Dichtung in der von F. (1963).
Hrsg. und eingeleitet von A. Schimmel, Bremen.

أشعار شرقية في ترجمة فريدريش ريكرت
نشرتها وقدمت لها أنماري شيمل / بريمن (١٩٦٣).

- Muhammad Iqbal. Botschaft des Ostens (als Antwort auf Goethes West- Diwan). Aus dem pers. u. eigeleitet von A. Schimmel. Wiesbaden, (1963).

محمد إقبال سفير الشرق (إجابة عما ورد بالديوان الشرقي للشاعر الغربي لجوته).
ترجمة (إلى الألمانية) من اللغة الفارسية وتقديم أنماري شيمل. فيسبادن ، (١٩٦٣).

- The symbolical language of Maulānā Jalāl ad-Dīn Rūmī
In: St ISI, 26-40, (1964).

اللغة الرمزية عند مولانا جلال الدين الرومي ، (١٩٦٤).

- Ein Frauenbildungsroman auf Sindi: Mirzā Qalīch Bēg's, Zīnat. (1964).

مجلة دراسات في الإسلام ص٢٦-٤٠

In: Der Islam 39, 210-225

رواية باللغة السندية: مرزا قليش بك زينة
في مجلة الإسلام ٣٩ ، ٢١٠-٢٢٥

- Rumi, Galāl ad-Dīn. Aus dem Diwan. Gedichte tragen und eingeleitet von A. Schimmel. Stuttgart (Unesco Sammlung Werke-Asiatische Reihe), (1964).

رومي ، جلال الدين . مختارات من ديوانه. ترجمة قصائد وتقديم لها من أناماري شـــيمل . شتتجارت (مجموعة اليونسكو لأعمال نموذجية / السلسلة الأسيوية . (١٩٦٤).

- persischer Poesie (von Friedrich 1788-1866), und eigeleitet von A. Schimmel Wiesbaden, (1966).

ترجمات لشعر فارسي (من فريدريش ريكرت ١٧٨٨-١٨٦٦) اختارتها وقدمت لها أنامــاري شيمل / فيسبادن ، (١٩٦٦).

- Aus den Gedichten Maulānā Dschlāluddīn Rūmīs.
  In: FS. W. Eilers, 257-264. Wiesbaden, (1967).

من أشعار مولانا جلال الدين الدرومي.
الكتاب التذكاري للمستشرق ايلرز ، (١٩٦٧).

- Zu einigen Versen Mevlana Dschelaladdin Rumis.
  In: Anatolica I, 124-134. (1967).

عن بعض أشعار مولانا جلال الدين الرومي
في مجلة أنتوليكا عدد ١ ص١٢٤-١٣٤ ، (١٩٦٧).

- Sir Muhammad Iqbal-Dichter und Reformer
  In: Bustan 8, 3-8, (1967).

سير محمد 'قبال شاعر ومصلح
في مجلة البستان / عدد ٨ ص٣-٨ ، (١٩٦٧).

- Samiha Ayverdi Eine Istanbuler Schriftstellerin.
  In: FS O. Spies, 569-585, Wiesbaden, (1967).

سميحة إيفردي كاتبة من اسطنبول
في الكتاب التذكاري لبروفسر أوتوشبيس / فيسبادن ص٥٦٩-٥٨٥ ، (١٩٦٧).

- Maulānā Jalāluddīn Rūmī's story on prayer (Mathnawi III 189).
  In: -ye Jan Rypha, 125-131. Prague

قصة جلال الدين الرومي عن الصلاة (المثنوي ١٨٩/٣)
في يادنامي يان ريبكي ص١٢٥-١٣١ / براغ ، (١٩٦٧).

- Iranische Kunst in deutschen Museen, hrsg. von H. Erdmann unter verwendung des Nachlasses von Kurt Erdmann, mit einem vor wort von A. Schimmel. Wiesbaden, (1967).

الفن الإيراني بالمتاحف الألمانية
نشره هـ. أردمان باستخدام ما خلفه كورت اردمان مع مقدمة من أناماري شيمل، (١٩٦٧) .

- The eternal charm of classical Persian poetry.
  In: Islam and the modern age1, 65-69. (1969).

السحر الأبدي للشعر الفارسي الكلاسيكي.
بمجلة الإسلام والعصر الحاضر ، العدد الأول ص٦٥-٦٩ (١٩٦٩).

- Islamic calligraphy.
  Leiden (Iconography of Religions), (22,1), (1970).

الخط الإسلامي
ليدن (أيقونات دينية ٢٢ ، ١) ، (١٩٧٠) .

- Sindhi literature.
  In: Mahfil 7, 71-80, (1971).

الأدب السندي
بمجلة المحفل / العدد السابع ص٧١-٨٠ ، (١٩٧١) .

- Aus dem Goldenen Becher. Gedichte von 13. Jahrhundert bis in unsere Zeit. Aus dem von A. Schimmel.
  Istanbul (Başbakan) ik Musteşar igi , Yay inlari, (1973).

من "الكأس الذهبي" . أشعار تركية من القرن الثالث عشر إلى العصر الحاضر . ترجمة من التركية لأناماري شيمل
استنبول ، (١٩٧٣).

- Ein unbekanntes werk Josephs von Hammer-Purgstalls
  In: WI 15, 129-145, (1974).

عمل غير معروف لجوزيف فون همربورجشتال
بمجلة عالم الإسلام العدد ١٥ ص١٢٩-١٤٥

- Some reflections on Pakistani culture.
  In: Scrutiny I, 3-6, (1974).

بعض الأفكار في الثقافة الباكستانية
بمجلة سكروتني / العدد الأول ص٣-٦ ؛ (١٩٧٤).

arabische Lyrik. , eingeleitet u. von A. Schimmel. /Basel (Literatisch-Reihe des Instituts Auslandsbeziehungen, Stuttgart, Bd. 17), (1975).

"أشعار غنائية عربية معاصرة". اختيار وتقديم وترجمة أنا ماري شيمل. تيبنجن/بازل (السلسلة الأدبية الفنية لمعهد العلاقات الخارجية ، شتتجارت جـ١٧) ، (١٩٧٥).

- Poems. In: Edebiyāt 1. 171-175, (1976).

أشعار . في أدبيات العدد الأول ص١٧١-١٧٥ ، (١٩٧٦).

- Zur Verwendung des Halladj-Motivs in der indopersichen Poesie.
In Melanges Henry Corbin, 425-447. Tehran, (1977).

عن استخدام مؤثرات (أو الحوافز) عند الحلاج في الشعر الإيراني الهندي
في مزج هنري كوربن ص٤٢٥-٤٤٧ / طهران ، (١٩٧٧).

- Some thoughts about future studies of Iqbal.

In: JSAMES 1, 75-81, (1977).

بعض الأفكار عن دراسات مستقبلية عن إقبال.
في جريدة دراسات جنوب آسيا والشرق الأوسط / العدد الأول ص٧٥-٨١ ، (١٩٧٧).

- The triumphal sun. A study of the works of Jalāloddin Rumī. London / The Hague, (1978).

الشمس الانتصارية. دراسة عن أعمال جلال الدين الرومي . لندن ، (١٩٧٨) .

- Mirror of an Eastern moon (variations on Maulana Jala-uddin thoughts) London / The Hague, (1978).

مرآة قمر شرقي (تغيرات في أفكار مولانا جلال الدين الرومي) ، لندن (١٩٧٨).

- Gedanken zu zwei des Mogulherrschers Šāh Ālam Āftāb Roemer, 545-561, Wiesbaden / Beirut (Beiruter Texte und Studien 22, (1979).

خواطر عن صورتين للحاكم المغولي شاه عالم الثاني آفتاب.
بالكتاب التذكاري للمستشرق ريمر ص٥٤٥-٥٦١ فيسبادن / بيروت (نصوص ودراسات بيروتية) ٢٢ ، (١٩٧٩) .

- Hāfiz and his critics. In St IsI 16, 1-33, (1979).

حافظ ونقاده

بمجلة دراسات عن الإسلام. مجلة ربع سنوية تصدر عن معهد الدراسات الإسلامية بالـــهند. نيودلهي ١٩٦٤ ، (١٩٧٩).

- aus Pakistan. Aus dem Sindhi und heraus gegeben von A. Schimmel. (Die der Welt literatur), (1979).

حكايات من الباكستان . ترجمتها عن السندية ونشرتها أنامارى شيمل. ديسلدورف (حكايات في الأدب العالمي) ، (١٩٧٩).

- Die Schriftarten und ihr Kalligraphischer Gebrauch. In: GAPI, hrsg. von w. Fischer, 198-209. Wiesbaden, (1984).

أنواع الخط واستخدامات فنونه.

كتاب أسس فقه اللغة العربية (جـ ١ ، ٢) ص١٩٨-٢٠٩ ، (١٩٨٤).

- A two coloured Brocade: The imagery of Persian Poetry, (1992).

قطعتان (من القماش) الملون المذهب: أيقونة الشعر الفارسي ، (١٩٩٢).

مؤلفات تاريخية واجتماعية وفلسفية:

- Kalif und Kadi in atterlichen , In: WI 24, 1-128, (1948).

الخليفة والقاضي في مصر بالعصور الوسطى المتأخرة (رسالة دكتوراه : ١٩٤٨)

مجلة عالم الإسلام / عدد ٢٤ ص١-١٢٨ ، (١٩٤٨).

- Einzetzungsurkunden mamlukischer Emire, In: Wo 1 (1947-52) 302-306, .(1947).

وثائق تعيين أمراء المماليك.

مجلة عالم الشرق ١ (١٩٤٧-١٩٥٢) ص٣٠٢-٣٠٦ ، (١٩٤٧).

- Ibn Chaldun. Abschnitte aus. dem Mugaddima. (Civitas Gentium, Schriften zur Sozidogie u. Kultur-philosophie. (1951).

ابن خلدون: فصول مختارة من المقدمة .

تيبنجن (نصوص مختارة عن علم الاجتماع وفلسفة الحضارة) ، (١٩٥١).

- Where East meets West. 1952
In: Pakistan Misc. (1952) 69-74

حيث يلتقي الشرق مع الغرب ١٩٥٢.
في جريدة باكستانية (١٩٥٢) ٦٩-٧٤

- Some notes on the cultural activity of the first Usbek rulers.

In: JPHS 8, 149-166, (1960).

بعض الملحوظات عن النشاط الثقافي (الحضاري) لحكام أزبك الأوائل
مجلة المجتمع التاريخ الباكستاني / العدد الثامن ص١٤٩-١٦٦ ، (١٩٦٠)

- Neue zur Volkskunde von Sind.
In: WI 9, 237-259, (1964).

إصدارات فلكلورية جديدة من السند.
مجلة عالم الإسلام / العدد التاسع ص٢٣٧-٢٥٩.

- Pakistan, Ein Schloss mit tausend Toren, , (1965).

الباكستان ، قصر ذو ألف بوابة ، زيورخ (١٩٦٥).

- Pakistan-eine Skizze,
In: Wo 4, 128-143, (1967).

باكستان رسم تخطيطي .
مجلة عالم الشرق / العدد الرابع ص١٢٨-١٤٣، (١٩٦٧).

- Muhammad Iqbal as seen by an European historian of religion.
In: St IsI 5, 53-82, (1968).

محمد إقبال كما يراه أوربي متخصص في تاريخ الأديان.
مجلة دراسات إسلامية / العدد الخامس ص٥٣-٨٢ ، (١٩٦٨)

- Sind through the centuries. In: Der Islam 53, 120-123, (1976).

السند على مر العصور . مجلة الإسلام / عدد ٥٣ ص١٢٠-١٢٣ ، (١٩٧٦).

دراسات لغوية:

- Kleine arabische Sprachlehre (mit)
E. Harder u. A. Schimmel.
Heidelberg (11. Auf 1.), (1968).

كتاب صغير لتعليم اللغة العربية (مع حل للتمارين) ألفه: هاودر، وشيمل
هايدلبرج (الطبعة الثانية) ، (١٩٦٨).

- German contributions to the study of Indo-Pakistani linguistics. Hamburg (Publications by the German-Pakistan Forum 5), (1981).

إسهامات ألمانية في الدراسات اللغوية الهندو-باكستانية.

هامبورج (نشريات تصدر عن المنتدى الألماني الباكستاني-العدد الخامس) ، (١٩٨١) .

الجوائز التي حصلت عليها:

1. Friedrich Preis der stadt Schweinfurt, 1965

وهو وسام يحصل عليه من يعملون على ترابط الشعوب بأعمالهم الأدبية ، وكانت أول من حصل عليه.

2. das Bundes vedienst kreuz erster Klasse, 1981.

وسام الاستحقاق (صليب) من الطبقة الأولى (من ألمانيا عام ١٩٨١).

3. der Friedenspreis des Deutschen Buchhandels, 1995.

وسام السلام من الناشرين الألمان ، ١٩٩٥.

وهو وسام يعطى لشخصيات متميزة تخدم بالكتاب قضايا السلام والتفاهم بين البشر بمناسبة انعقاد معرض الكتاب الألماني بفرانكفورت قلدها إياه رئيس الجمهورية الألمانية.

أسماء الكتب التذكارية المختصرة:

- Caskel. W. = Festschrift Werner Caskel, zum 70. Geburtstag. 5. 1966, gewidmet von Freunden und . Hrsg. von E. . Leiden, 1968.

- Eilers, W. Festschrift Wilhelm Eilers. Document der internationalen Forschung zum 27. September 1966. Hrsg. von G. Wiessner. Wiesbanden, 1967.

- Meier, F. Islamiwissenschaftliche Abhandlungen, Fritz Meier zum 60. Geburtstag. Hrsg. von R. Gramlich. Wiesbaden, 1974.

- Roemer, H.R. = Die islamische Welt zwischen Mittelalter und Neuzeit. Festschrift H. R. Roemer zum 65. Geburtstag. Hrsg. von U. Haarmann und P. Bachmann. Wiesbaden / Beirut 1979, (Beiruter Texte und Studien 22).

- Rypka, J. = Charisteria orientalia praecipue ad Persiam pertinentia (Ioanne Rypka . volumen sacrum). Ediderunt F. Tauer, v. , I. Hrbek.
Praha, 1956.

- Spies, O. = Der Orient in der Forschung. Festschrift Otto Spies zum 5. April 1966. Hrg. von W. Hoenerbach.
Wiesbaden, 1967.

أسماء المجلات والكتب المكتوبة باختصار:

- GAP = Grundriss des arabischen Philollgie Bd. I u. II Wiesbaden.

- IC = Islamic Culture. The Hyderabad quarterly review Haiderabad 1927 f.f.
- JPHS = Journal of the Pakistan Historical Society 1923.
- JSAMES = Journal of South Asien and Middle Eastern Studies.
- MW = The Muslim World. Harrisburg. Pa. 1911 f.f. (47, 1957 f.f.).
- Is Iranian Studies. Journal of the society for Iranian Studies. Los Angeles u.a., 1968.
- ISI st = Islamic Studies. Journal of Islamic Research Institute, Pakistan (formerly: Central Institute of Islamic Research) Karachi u. Islamabad 1962.
- St ISI Studies in Islam. Quarterly journal of the Indian Institute of Islamic Studies. New Delhi, 1964.
- WI = Die Welt des Islam. Leiden.
- WO = Die Welt des Orients. wissenschaftliche zur Kunde des Morgenlandes, I. 1947 / 1952, f.f. 2. 1954 / 1959 f.f.

أسماء المؤتمرات المختصرة:

Atti dell. III = congresso di studi arabie islamic. Napoli 1967

إبن رشد مفكر من طراز فريد

أ.د . عبد السلام نور الدين*

جمعت شخصية ابن رشد الأندلسى مافات الفيلسوف الاسلامى فى المشرق ، ليس فقط فى التماسك العقلى ولكن أيضا فى تكامل بناء الشخصية الانسانية ، فلم يكن ابن رشد متملقا يراهن على التزلف شأن أبى يعقوب يوسف الكندى أو أبى تمام - مع الخليفة العباسى المعتصم . وقد دفع إبن رشد ثمنا باهظا لترفعه عن الصغائر واعتزازه بذاته مع أبى يوسف يعقوب سلطان الموحدين ، بأن أحرقت كتبه ، ولعنته العامة ، وذاق مرارة التشرد والنفى . لم يستصغر ابن رشد نفسه يوما كما فعل الامام أبو حامد الغزالى حينما وصف نفسه فى كتابه " فضائح الباطنية " بـ " الخادم المطيع " أمام الحضرة السلطانية نظام الملك السلجوقى التى أمرته أن يصنف كتابا يفضح فيه الباطنية وغوائل علمهم : (حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالاشارة الى الخادم فى تصنيف كتاب فى الرد على الباطنية مشتمل على الكشف على بدعتهم وضلالتهم فرأيت الامتثال حتما والمسارعة فى الارتسام حزما - إذ قال الله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم"

يبدو أن تقاليع طبائع الاستبداد فى الدولة الفارسية القديمة التى استقى منها الغزالى نموذجه المثالى للتقابل والتماثل بين الحضرة السلطانية والحضرة الإلهية قد صاغت الشخصية والعقلية على نحو ترفع فيه الحضرة السلطانية إلى مقام الألوهية لتكون على مشارف الإدراك كما قد بين الإمام الغزالى فى كتابه " الجام العوام عن علم الكلام. :(لكن ينبغى أن يعلم أن الحضرة الإلهية محيطة بكل مافى الوجود ، إذ ليس فى الوجود إلا الله سبحانه وتعالى وأفعاله ، فالكل فى الحضرة الإلهية ، كما أن جميع أرباب الولايات فى المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر ، فهم فى جملة الحضرة السلطانية ، فأعلم أن كل مافى الوجود داخل فى الحضرة الإلهية ، ولكن كما أن السلطان له فى

مملكته قصر خاص وفى فناء قصره ميدان واسع ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ، ولايمكنون من مجاوزة العتبة ولا إلى طرف الميدان والجلوس فيه على تفاوت فى القرب والبعد بحسب مناصبهم).

إذا كان الغزالى قد قفز مباشرة من مطلوبه كما لخصه فى " المنقذ من الضلال " أن تكون حقائق الأمور واضحة بذاتها إلى الغموض المطلق بالغوص فى الباطن . واستبعاد الحواس والعقل ، فقد لبث ابن رشد كل سنى عمره يدافع عن البرهان العقلى باعتبار إعمال العقل والوصول إلى البرهان واجبا شرعيا وقد فصل ذلك فى فصل المقال.

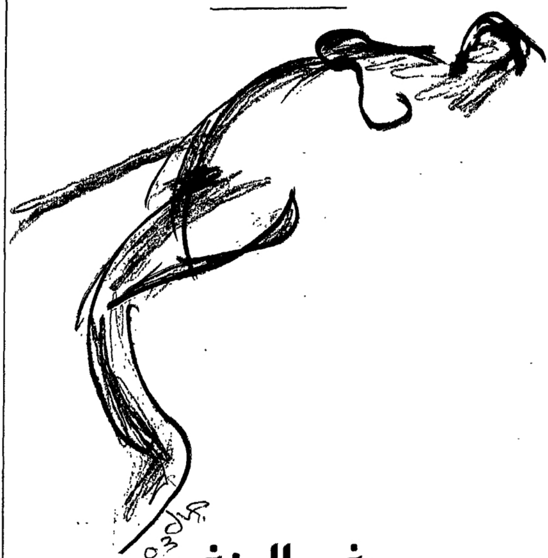
وإذا كان ابن سيناء إسماعيلى النحلة باطنى السلوك ، يتأرجح أحيانا بين قدم العالم والخلق والفيض والإبداع وتارة أخرى بين الأفلاطونية والأرسطية ثم يجمع بين التصوف والعقلانية دون أن يمنعه كل ذلك أن يكون طبيبا تجريبيا بارعا عاشقا للعلم غارقا فى اللذة الحسية بعد رفع الأقلام وجفاف الصحف ، فان الشيخ الرئيس يبدو مهرجا إلى جانب ابن رشد المتسق المنطق والسلوك والأخلاق الذى لايتخلى عن الحصاد العقلانى للأرسطية وينبذ بعيدا الأفلاطونية المحدثة التى طبعت المشرق بميسمها الغنوصى واختلاطها بأمشاج من النزعات المتضاربة وهى تتجول بين أروقة المسيحية فى روما والاسكندرية ثم فى هجرتها الى فارس وعودتها مرة أخرى بعد تقمصها حللا مانوية زرادشتية نورانية لتجد لها مقاما كبيرا فى أروقة الفارابى وابن سيناء وإخوان الصفاء ورث ابن رشد تقاليد القاضى الذى يجهد نفسه كفقيه مجتهد فى الكشف عن مناهج الأدلة من أسرته ذات التاريخ العريق فى مزاولة تلك المهنة بعد أن أضاف إليها علوم وتجارب الطب وآلة المنطق التى تعصم مراعاتها الذهن من السقوط فى الضلال والتهافت . لم يكن ابن رشد خامل الذكر فى عصره أو بعيدا عن نبض مجتمعه وحركته أو بمنأى عن مجتمع الدولة التى لاتغفل أن تمسه أيضا بشنأن يدها الماكرة والغادرة ، فاستمد من الحكمة والطب والقضاء وفقه الدولة والحياة مالم يتوافر لغيره من فلاسفة الاسلام فى بيئة جد جديدة ليست هى عربية الأمويين فى الشام أو مدينة العباسيين فى أرض السواد وفارس وبلاد ماوراء النهر والسند والهند أو أرض البربر فى قرطاجنة ومراكش ولكن كل ذلك فى أرض أخرى جمعت بين أوروبا المسيحية التى أدخلت إلى الاسلام وتجرى فيها ينابيعه من روافد وثنية ويهودية فشكلت فكرا جديدا للعالم الجديد الذى تشكل فيما بعد.

أن أسبانيا التى تعربت وأسلمت لم تتخل لحظة عن تراثها الأوروبى القديم ، وأن عبرت عنه بصياغات أخرى طبقا للحال والمقال ، وكان ابن باجة السرقطى وابن طفيل وابن رشد والقرطبى التبلور المثمر لذلك اللقاح الفريد ، وفى ضوء ذلك علينا أن نتفهم ظلال ذلك الجدل المثير الذى نسب ابن رشد يهوديا ونصرانيا ومسلما متماسكا فى ذات الوقت ثم أتى محيى الدين ابن عربى وأضاء بوحدة وجوده ذلك الوجدان الأندلسى الذى تقبل كل ذلك فى تجانس مدهش.

* مركز دراسات البحر الأحمر – جامعة اكستر – المملكة المتحدة


الكرامة العربية
اني راحلة -----

الديوان الصغير



«فى العنف»

(فرانز فانون : المارتينيكى الأصل .. الجزائرى النضال .. الإنسانى التفكير)

إعداد وتقديم : عبد الحميد البرنس

مثلث أحداث ١١ سبتمبر نقلة جوهرية داخل مسار الفكر السياسي المعاصر ، فقد تبدى ذلك جلياً ، وعلى نحو دال ، في تجاوز الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الرئيسيين لدور هيئة الأمم المتحدة كإرث إنساني تم عبر تراكم طويل لفض المنازعات بين الدول ومناقشة وإدارة الإشكاليات ذات البعد العالمي ، إن لم نقل تسخير هذه الهيئة في مرحلة أولى أعقبت سقوط الاتحاد السوفيتي لأغراض استخباراتية وكغطاء لممارسة القهر ضد شعوب وأنظمة تعارض أو تقف على النقيض من التوجه اللاإنساني للرأسمالية ، بما أسهم ويسهم كما يدلنا ما يحدث الآن من غزو للعراق في سيادة قانون الغاب أو عودة الشكل الكلاسيكي للاستعمار.

داخلياً ، اتخذت الإدارة الأمريكية الحالية ما حدث في ١١ سبتمبر مسوغاً لانتهاك الحريات الشخصية (التنصت على المكالمات الهاتفية دون إذن نيابي مثالا) واعتقال الأفراد لمجرد انتمائهم العرقي أو الجغرافي (ملامح شرق أوسطية) ناهيك عن الحق في المعرفة (قرار الرئيس الأمريكي بالتعتيم الإعلامي على مجريات الحرب على العراق)- والذي بلغ ذروته بمذبحة الصحفيين في بغداد قبل سقوط المدينة ويرى مراقبون أنه ربما تكون مجزرة كبرى قد ارتكبت في غياب الإعلام والتعلم(استبعاد أفراد مسلمين أو من أصول عربية والوقوف دون استكمال دراستهم لبعض العلوم مثل الطيران)، مع خلق حالة قصوى ودائمة من الاستنفار للرأى العام تفيد بوجود خطر دائم يهدد حياته في كل لحظة(جرثومة الجمرة الخبيثة .. مثالا آخر، وهذا ملمح أساسى لحل التناقضات الداخلية داخل بنية أى نظام رأسمالي (مفهوم العدو الخارجي المتربص) ،وفي هذا الصدد ، نحن نعلم منذ ماركس أن مفهوم الحرب ظل يشكل على الدوام أحد الحلول الجذرية لتماسك النظام الرأسمالي وإنقاذه من أخطار الكساد، إن النظام الرأسمالي هنا يبدو واقعيا مثل شخصية (دراكولا) ، أو مصاص الدماء ، إذ يتجدد نظام المجتمع الرأسمالي وتجرى الحيوية في مختلف وجوهه السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمجرد أن تعمل الآلة العسكرية وتبدأ في الدوران خارجيا ، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر في تعميق هيمنتها على العالم عن طريق تطبيق سياسة (الانتقام) ، وهي ذات السياسة التي يطلق عليها في بعض دوائر صنع القرار الأمريكي تعبير (القضاء المبكر على الإرهاب) أو الحرب الاستباقية وإذا كان ثمة إرهاب ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعمل هنا سوى على مستوى (النتائج) ،فمعظم الأحداث والوقائع خلال النصف الثاني من القرن العشرين تقودنا على نحو من الإنماء إلى أن النظام الرأسمالي ممثلا في أحدث نماذجه(أمريكا) كان(السبب) الجوهري في نشوء موجات العنف في العالم ، إن الولايات المتحدة الأمريكية للأسف الشديد لم تستوعب درس الحادي عشر من سبتمبر جيداً :ما حدث كان صراعا بين النظام الرأسمالي بين ما أنتجه هذا النظام نفسه(سواء عن طريق دعم الأنظمة القمعية في دول العالم الثالث ، أو عن طريق تخريب الاقتصادات النامية بواسطة صندوق النقد والبنك الدوليين وغيرهما من المؤسسات المالية ، أو عن طريق تخليق نخبة من الوكلاء وظيفتهم الأساسية تتمثل في ربط بلدانهم بالدورة الرأسمالية العالمية من موقع التخلف أو التبعية).

من جهة أخرى ، إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ، قد شرعت منذ سبعينيات القرن الماضي في السير وفق مبدأ هنري كيسينجر القائل إن على أمريكا أن تصنع الحدث لا أن تنتظر وقوعه ، ينبغي علينا كشعوب واقعة تحت هيمنة قوى داخلية وخارجية تحول دوماً دون تحررنا الكامل وتقدمنا أن نعمل على صوغ استراتيجية تحرر لا تكون عرضة لما هو انفعالي أو آني أو عارض ، تمتلك زمام المبادرة لا المقاومة ، تنطلق من وضع (الفعل) لا وضعية(رد



الفعل) ، سواء أكان ذلك عن طريق النقد لمختلف المضامين الفكرية والسياسية لأشكال حركات التحرر السابقة، أو عن طريق رد الاعتبار لأدبيات فكرية وسياسية تم استبعادها لأسباب أيديولوجية خاصة بظروف وملابسات الحرب الباردة ولا تزال تمتلك الكثير من وهج الإلهام، أو عن طريق دراسة التغيرات الجوهرية التى طرأت على ضوء منجزات الثورة العلمية الثالثة ، وما إلى ذلك.

على ضوء هذه الخلفية ، نقدم خلال صفحات (الديوان الصغير) نصّ الفصل الأول من كتاب فرانز فانون(معذبو الأرض) ، الذى يشكل عن حق إحدى علامات الفكر السياسى الحديث ، فأهمية فانون تتجلى هنا فى كون العنف السائد الآن على مستوى عالمى يتطلب تحليل بنياته ومضامينه ودوافعه التى اجاد فانون تحديد مختلف جوانب البعد النفسى والاجتماعية والسياسى والتاريخى لها على ضوء تفاعلات الواقع الجزائرى خلال الحقبة الكولونيالية ، كما أن العنف قبل فانون ، وهذه حقيقة تقرها الباحثة الليبرالية الألمانية حنة أرندت فى كتابها (فى العنف) ، نادراً «ما كان موضع تحليل أو دراسة » ، على الرغم من «الدور الذى لعبه العنف دائما فى شئون البشر» ، وهذا لا ينفى فى الواقع حقيقة «أن هناك أدبيات وفيرة تبحث مسائل الحرب والعمليات العسكرية ، لكن كل هذه النصوص تهتم بأدوات العنف، وليس بالعنف نفسه» ، ومع كل ذلك ، تبقى الإشارة إلى أن تصورات فانون حول العنف ، لا تكتسب أهميتها من ذاتها المشروطة على المستويين التاريخى والاجتماعى ، بقدر ما تكتسب ذلك من طبيعة المنهج الجدلى الذى أنتجها ، «المنهج البعدى» الذى يتعامل مع معطيات الواقع وفق مبدأ «الخصوصية التاريخية، ولا وفق رؤية مانوية مطلقة ، أو مفاهيم ومقولات «قبلية» ،فالثورة هى فى خاتمة المطاف «ممارسة» ، والنظرية النقدية «التى تعجز عن التحول إلى ممارسة تصبح عقبة فى وجه الممارسة الثورية» ، على حد تعبير جورج طرابيشى.

ع .أ

سواء أقلنا تحريرا وطنيا ، أم نهضة قومية ، أم انبعاثا شعبيا ، أم اتحادا بين الشعوب، وكيف كانت العناوين المستعملة والمصطلحات الجديدة فإن محو الاستعمار انما هو حدث عنيف دائما . فإن محو الاستعمار ، على أى مستوى درسناه : سواء أكان مستوى لقاء الأفراد بعضهم ببعض ، أم مستوى تسمية النوادى الرياضية بأسماء جديدة، أم مستوى التشكيل الإنسانى الحفلات الكوكتيل وأجهزة الشرطة ومجالس إدارة المصارف القومية أو الخاصة، إنما هو احلال «نوع» إنسانى محل «نوع » إنسانى آخر ، احلالا كليا، كاملا ، مطلقا ، لا مراحل انتقال وفى وسعنا طبعا أن نبين أيضا انبثاق أمة جديدة ، وقيام دولة جديدة مع علاقاتها الدبلوماسية واتجاهها السياسى والاقتصادى . ولكننى انما اخترت أن أتحدث عن هذا النوع من المحو الذى يحدد فى البداية كل إزالة للاستعمار. والحق أن دليل النجاح انما هو تبديل صورة المجتمع تبديلا تاما. وهذا التبديل يستمد خطورته الخارقة من أنه قد أريد إرادة ملحة شديدة. فإن ضرورة هذا التبديل قائمة فى وجدان وحياة الرجال والنساء المستعمرين على حالة فجة جارفة قاهرة . ولكن احتمال هذا التبديل يعيشه أيضا وجدان «نوع» آخر من الرجال والنساء ، هو نوع «المستعمرين» ، على صورة مستقبل مروع رهيب.

إن محو الاستعمار ، وهو يستهدف تغيير نظام العالم ، إنما هو ، كما ترون ، برنامج لقلب النظم قلبا مطلقا . ولكنه لا يمكن أن يكون ثمرة عملية سحرية أو زلزالاً طبيعياً أو تفاهماً ودياً ، أى أنه لا يمكن أن يفهم ولا يمكن أن يعقل ، ولا يمكن أن يصبح واضحا لنفسه ، إلا بمقدار ادراك الحركة الصانعة للتاريخ التى تهب له شكله ومضمونه . إن محو الاستعمار إنما هو نزال بين قوتين متعارضتين أساسا ، قوتين تستمد كل منهما صفتها الخاصة من ذلك التكوين الذى يفرزه الظرف الاستعمارى ويغذيه. إن التجابه الأول الذى تم بين هاتين القوتين انما تم تحت شعار العنف، كما أن تساكنهما– أو قل استغلال المستعمر للمستعمر–إنما تلاحق بدعم قوى من الحراب والمدافع. إن المستعمر والمستعمر يعرف احدهما الآخر من زمان طويل . والمستعمر حين يقول انه« يعرفهم » هو على حق فيما يقول .فالمستعمر هو الذى صنع المستعمَر وما يزال يصنعه . إن المستعمر يستمد حقيقته ، أى خيراته ، من النظام الاستعمارى.

ومحو الاستعمار لا يمكن أن يعبر عبورا دون أن يلاحظه أحد، لأنه يتناول الوجود ، لأنه يغير الوجود تغييرا أساسيا ، لأن أناسا مشاهدين يسحقهم أنهم ليس لهم ماهية ، يأتى محو الاستعمار هذا فيحيلهم أناسا فعالين ممتازين يدخلون تيار التاريخ دخولا رائعا . إن محو الاستعمار يبث فى الوجود ايقاعا خاصا يجئ به الرجال الجدد ، ويحمل إلى الوجود لغة خاصة وإنسانية جديدة . إن محو الاستعمار لهو خالق رجال جدد حقا . ولكن هذا الخلق لا يستمد مشروعيته من أية قوة فوق الطبيعة . إن المستعمر «الشئ» يصبح إنسانا بمقدار ما يحقق من عمل لتحرير ذاته.

ففى محور الاستعمار يجب إذن تغيير الوضع الاستعمارى تغييرا كاملا ، ويمكن أن يقوم تعريفه ، إذا أردنا أن نصفه وصفا دقيقا ، فى هذه العبارة المعروفة :«الأواخر سيصبحون الأوائل» . إن محو الاستعمار تحقيق لهذه الجملة . ولذلك فإن كل محو للاستعمار هو من ناحية الوصف نجاح.

إن محو الاستعمار حين يعرض عاريا ، يكشف من خلال مساماته كلها عن رصاصات حمر وخناجر دامية. ذلك أنه إذا كان على الأواخر أن يصبحوا هم الأوائل . فإن هذا لا يمكن أن يتم الا بعد قتال حاسم مميت يخوضه

الطرفان المتنازعان . إن هذه الإرادة الثابتة التى تريد أن تنقل الأواخر إلى طليعة الصف ، وأن هذه الإرادة الثابتة التى تريد أن تنقل الأواخر إلى طليعة الصف ، وأن تجعلهم يتسلقون «بسرعة مفرطة كما يقول بعضهم» الدرجات المعروفة التى يتألف منها مجتمع منظم ، هذه الإرادة لا يمكن أن تنتصر إلا إذا ألقت فى الميزان جميع الوسائل ،ومنها وسيلة العنف طبعا.

إنك لا تستطيع أن تفكك نظام مجتمع من المجتمعات ،مهما يكن بدائيا ، ببرنامج كهذا البرنامج ،ما لم تعزم أمرك منذ البداية ، أى منذ وضع هذا البرنامج نفسه ، على أن تحطم جميع الحواجز التى ستلقاها فى طريقك .والمستعمر الذى يقرر أن يحقق هذا البرنامج ، أن يكون له المحرك ،مهيأ للعنف منذ زمن طويل .لقد أدرك منذ ولادته إدراكا واضحا أن هذا العالم المضيق ، المزروع بأنواع المنع ، لا يمكن تبديله إلا بالعنف المطلق.

إن العالم الذى يسوده النظام الاستعمارى هو عالم مقسم. ومن ناقلة القول طبعا ، على صعيد الوصف ، أن نذكر أن هناك مدنا للسكان الأصليين ومدنا للأوربيين . إن هناك مدارس للسكان الأصليين ومدارس للأوربيين ،كما أن من ناقل القول أن نذكر التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا . ومع ذلك فإننا حين ندخل إلى صميم هذا التقسيم ، نجنى فائدة واحدة على الأقل ، هى أننا نستطيع عندئذ أن نبرز بعض خطوط القوى التى يضمها . إن دراستنا للعالم الاستعمارى وتنظيمه وترتيبه الجغرافى ستتيح لنا أن نعين خطوط التداخل التى ستبدأ بها إعادة تنظيم المجتمع الذى تخلص من الاستعمار.

إن العالم المستعمر منقسم إلى عالمين. والخط القاسم ، أو الحدود الفاصلة ، إنما هى لثكنات ومراكز الشرطة .فالدركى والشرطى فى المستعمرات هما المرجع القيم الشرعى الذى يستطيع المستعمر أن يرجع إليه وأن يخاطبه وهما الجهة التى ينطق بلسان المستعمر ونظام الاضطهاد . إننا نرى فى المجتمعات التى تنتمى إلى الطراز الرأسمالى ، إن التعليم ، سواء أكان دينيا أم علمانيا . وتكوين المنعكسات الأخلاقية التى يأخذها الابناء عن الآباء ،والشرف المثالى الذى يسند إلى عمال يمنحون الأوسمة بعد خمسين عاما أنفقوها فى القيام بخدمات طيبة مستقيمة ، وتشجيع حب الاتزان والتعقل ، هذه الأشكال الجمالية لاحترام النظام القائم تخلق حول المستغل جوا من الخضوع والامتناع يخفقان عبء قوى الأمن تخفيفا كبيرا . إننا نرى فى البلاد الرأسمالية طائفة كبيرة من أساتذة الأخلاق ،والموجهين ، «والمصلحين» تقف حائلا بين المستغل والسلطة الحاكمة . أما فى المناطق المستعمرة فإن الدركى والشرطى بحضورهما المباشر وتدخلاتهما السريعة الكثيرة ، يظلان على اتصال بالمستعمر وينصحانه بالعصا أو بالمواد المحرقة ، أن لا يتحرك . وهكذا ترون أن وسيط السلطة الحاكمة يستعمل هنا لغة هى عنف صرف . إن الوسيط لا يخفف هنا الاضطهاد ،ولا يسدل على السيطرة حجابا. انه يعرضهما ، انه يظهرهما . إن الوسيط يحمل العنف هنا إلى بيوت المستعمر وإلى أدمغته.

والمنطقة التى يسكنها المستعمرون لا تكمل المنطقة التى يسكنها المستعمرون . إن هاتين المنطقتين تتعارضان ، ولكن لا فى سبيل وحدة أعلى . إنهما تخضعان لمنطق أرسطى صرف ، إنهما تخضعان لمبدأ التنافى المتبادل ، فلا سبيل إلى مصالحة : إن أحد الطرفين زائد يجب أن يزول . إن مدينة المستعمر «المستوطن» مدينة صلبة مبنية بالحجر والحديد ، مدينة أنوارها ساطعة وشوارعها معبدة بالأسفلت ، وصناديق القمامة فيها ما تنفك تبلغ نفايات عرفها الآخرون ، ولا رأوها يوما ، ولا حلموا بها يوما. والمستعمر لا ترى قدماه عاريتين قط. اللهم إلا على شواطئ

البحر ، ولكن الآخرين لا يمكن أن يقتربوا منهما اقترابا كافيا .قدمان تحميهما أحذية متينة ، مع أن شوارع مدينتهما نظيفة، ملساء ، لا ثقوب فيها ولا حصى.

أما مدينة المستعمر ، أو مدينة السكان الأصليين ، أما القرية الزنجية أما بلدة الأهالى ،أما الحى الذى يحظر على الأوربيين أن يتجولوا فيه، فهو مكان سيئ السمعة يسكنه أناس سيئو السمعة .فيه يولد المرء أين كان وكيف كان. فيه يموت المرء أين كان، وبأى شئ كان . هو عالم بعد فواصل ، الناس يتكدسون فيه بعضهم فوق بعض ، والأكواخ تتكدس فيه بعضها فوق بعض . إن مدينة المستعمر مدينة جائعة ، جائعة إلى الخبز ، واللحم ، وإلى الأحذية ، وإلى الفحم ، وإلى النور . مدينة المستعمر مدينة جاثية ، مدينة راكعة ، مدينة متدحرجة فى الوحل . إنها مدينة زنوج مدينة عرب . والنظرة التى يلقيها المستعمر على مدينة المستعمر هى نظرة شهوة هى نظرة حسد. إن المستعمر يحلم بالتملك ، بجميع أنواع التملك: يأكل على المائدة التى يأكل عليها المستعمر ، أن ينام حسود والمستعمر لا يجهل هذا ، فهو حين يلحظ نظرة المستعمر خلسة ، يقول فى مرارة «إنهم يريدون أن يحتلوا مكاننا» .هذا صحيح :ما من مستعمر الا ويحلم مرة فى اليوم على الأقل ، أن يأخذ مكان المستعمر.

هذا العالم المقسم .هذا العالم المقسم قسمين ، يسكنه نوعان مختلفان والطابع الخاص الذى يطبع النظام الاستعمارى ،هو أن الوقائع الاقتصادية هو أن الفروق الاقتصادية والتفاوت الكبير فى طراز المعيشة ، لا تستطيع أن تحجب الوقائع الإنسانية .حين ندرك النظام الاستعمارى فى واقعه المباشر ، نلاحظ أن ما يقسم العالم إنما هو أولا انتساب المرء أو عدم انتسابه إلى نوع معين ، إلى عرق معين . إن البنيان التحتى الاقتصادى هو المستعمرات بنيان فوقى أيضا . السبب هنا نتيجة : المرء غنى لأنه أبيض وأبيض لأنه غنى . لذلك كان على التحليلات الماركسية أن تخفف من حده قليلا حين تعالج مشكلة المستعمرات .وحتى مفهوم المجتمع السابق الرأسمالية ، الذى أجاد ماركس دراسته ، يتطلب هنا إعادة التفكير فيه ماهية العبد غير ماهية الفارس، ولكن لابد من الاستناد إلى الحق الالهى لإضفاء صفة الشرعية على هذا الفرق القائم، إن الأجنبى فى المستعمرات ،قد جاء من مكان آخر ، وفرض نفسه بمدافعه وآلاته .فالمستعمر يظل أجنبيا رغم نجاحه فى التطويع ورغم التملك الذى حققه لنفسه . إن ما يميز« الطبقة الحاكمة» أولا وقبل كل شئ ليس هو المصانع ولا الأملاك ولا الرصيد فى البنك ،فإنما النوع الحاكم هو أولا وقبل كل شئ ، والنوع الذى جاء من مكان آخر، النوع الذى لا يشبه السكان الأصليين ،هو نوع «الآخرين».

والعنف الذى سيطر على ترتيب العالم الاستعمارى ،والذى عمل بلا كلل على تحطيم صور الحياة الاجتماعية لدى السكان الأصليين ،وخرب بلا قيود طراز الاقتصاد ، وأشكال المظهر ، والملبس ، سيطالب به المستعمر وسيتولاه ، فى اللحظة التى يقرر فيها أن يكون هو التاريخ أعمالا ،فإذا الجمهور المستعمر يهوى على هذه المدن الممنوعة عنه . إن تحطيم العالم الاستعمارى هو يعد الآن صورة واضحة المعالم بينة السمات للعمل الذى يجب على المستعمر أن يقوم به ، صورة يفهمها كل الفهم كل فرد من الأفراد الذين يتألف منهم الشعب المستعمر ، ويستطيع أن يستعيدها ثم يستعيدها مرة بعد مرة .وتحطيم العالم الاستعمارى لا يعنى أنه سيحافظ على ممرات بين المنطقتين ، بعد إزالة الحدود التى تفصل احداهما عن الأخرى .

إن تحطيم العالم الاستعمارى لا يعنى إلا شيئا واحدا هو إزالة إحدى هاتين المنطقتين ،فإما دفنها فى أعمق أعماق الأرض ، وإما طردها من البلاد.

وتغيير المستعمر للعالم الاستعماري ليس معركة عقلية بين وجهتي نظر ليس خطابا في المساواة بين البشر ، وإنما هو تأكيد عنيف لأصالة تفرض مطلقة . إن العالم الاستعماري عالم ثنائي .والمستعمر لا يكتفي بأن يحد مجال المستعمر ، باستعمال القوة المادية ،أي بواسطة شرطته وبركه ، وإنما هو يجعل من المستعمر روح الشر وخلاصته، كأنه يدل بذلك على أن الاستغلال الاستعماري كلي شامل» .إنهم لايكتفون بأن يصفوا المجتمع المستعمر بأنه خال من القيم . إن المستعمر لا يكتفي بالقول إن القيم قد نزحت عن المجتمع المستعمر ، أو أنها لم توجد فيه يوما . وإنما هو يعلن أن السكان الأصليين لا سبيل لنفاذ الأخلاق إلى أنفسهم ، وإن القيم لا وجود لها عندهم بل إنهم انكار للقيم، أو قل إنهم أعداء للقيم .فالمستعمر بهذا المعنى هو الشر المطلق . إنه عنصر متلف يحطم كل ما يقاربه ، عنصر مخرب يشوه كل ماله صلة بالجمال أو الأخلاق ، إنه مستودع قوى شيطانية ، إنه أداة لقوى عمياء أداة لا وعي لها ولا سبيل إلى إصلاحها. وهذا مسيو ماير يقول جادا في« الجمعية الوطنية الفرنسية» : إن علينا أن لا نلوث الجمهورية بادخال الشعب الجزائري إليها . ذلك أن القيم تتسمم وتفسد على نحو لا يمكن إصلاحه متى جعلناها تحتك بالشعب المستعمر . إن عادات المستعمر وتقاليده وخرافاته ، خاصة خرافاته ،هي بعينها علامة هذا الانحطاط وهذا الفساد القائم في تكوينه ذاته . ولذلك يجب أن نضع على مستوى واحد مبيدات الحشرات التي تنقل الأمراض والديانة المسيحية التي تحارب الهرطقات والغرائز والشر في مهدها . إن التقدم في القضاء على الحمى الصفراء والتقدم في نشر دين الانجيل أمران متشابهان . ولكن البلاغات المظفرة التي تنشرها الإرساليات التبشيرية تدلنا على أن خمائر الضياع المنبثقة في جسم الشعب المستعمر هي على جانب كبير من القوة . وحديثي هنا عن الديانة المسيحية . ولا حق لأحد أن يدهش من ذلك . إن الكنيسة هي في المستعمرات كنيسة بيض . كنيسة أجانب . إنها تدعو الإنسان المستعمر إلى طريق الله ، وإنما تدعوه إلى طريق الإنسان الأبيض . إلى طريق السيد المتسلط ، إلى طريق المضطهد الغاشم . وأنتم تعلمون أن في تاريخ البعثات التبشيرية هذا كثيرا من المكلفين وقليلا من المختارين.

وتمضي هذه الثنائية أحيانا إلى أقصى منطقها ، فتجرد المستعمر من إنسانيته ، حتى لتعده حيوانا . أنظر إلى اللغة التي يتكلمها المستعمر حين يتكلم عن المستعمر ، تجد أنها اللغة المستعملة في وصف الحيوانات : إنهم يستعملون هذه التعابير : زحف العرق الأصفر ، أرواث المدينة الأصلية ،قطعان الأهالي ، تفريخ السكان ، تنمل الجماهير ، إلخ . إن المستعمر حين يريد أن يحسن الوصف وأن يجد الكلمة المناسبة ، يرجع دائما إلى الألفاظ المستعملة في وصف الحيوان . والأوروبي قلما يلبث على هذه الألفاظ المشتملة على استعارات . ولكن المستعمر الذي يدرك غرض المستعمر ، يعرف فورا ما انصرف إليه ذهن صاحبه . وهذا بعض ما يجري على لسان المستعمر من مصطلحات : هؤلاء السكان الذين يدبون على الأرض ، هذه الجماهير المستهترة، هذه الوجوه التي فر منها كل معنى إنساني ، هذه الأجسام المترهلة التي لا تشبه شيئا من الأشياء ، هذا القطيع الذي لا رأس له ولا ذنب هؤلاء الأطفال الذين لا يبدو أن لهم أهلا ، هذا الكسل المستلقي تحت الشمس، هذه الحياة التي تشبه حياة النباتات الخ.. ولقد تكلم دوجول عن« الجموع الصفراء» ، وتكلم مسيو موریاك عن الكتل السوداء والسمراء والصفراء التي تهم أن تندفع أمواجها. إن المستعمر يعرف هذا كله ، ويضحك كلما اكتشفت نفسه حيوانا في أقوال الآخر. ذلك أنه يعرف أنه ليس بحيوان . وهو في الوقت الذي يدرك فيه أنه إنسان ، يأخذ بشحذ أسلحته ليحقق انتصار إنسانيته.

ومتى أخذ المستعمر يرسخ أقدامه على قواعدها، ويقلق المستعمر ، أوفدوا إليه رجالا أخيارا يحدثونه في«

مؤتمرات الثقافة» عن خصائص القيم الغربية وعن غناها . ولكن كلما دار الحديث على القيم الغربية حدث لدى المستعمر نوع من التصلب والتشنج العضلى . إنهم فى فترة التحرر من الاستعمار يناشدون عقل المستعمرين ، ويعرضون عليهم قيما أكيدة، ويشرحون لهم فى كثير من الافاضة أن التحرر من الاستعمار يجب ألا يعنى التقهقر إلى وراء ، وأن عليهم أن يعتمدوا على قيم مجربة وطيدة راسخة .غير أن ما يحدث هو أن المستعمر حين يسمع خطابا عن الثقافة الغربية، يخرج خنجره أو يتلمسه فى مكانه ليتأكد من وجوده . ذلك أن العنف الذى كفل تفوق قيم البيض ، وأن العدوان الذى لابس المعركة الظافرة التى خاضتها هذه القيم من أنماط الحياة والفكر الخاصة بالمستعمرين ، يجعلان المستعمر يسخر حين يتحدث أحد أمامه عن هذه القيم . إن المستعمر لا يتوقف أثناء فترة الاستعمار عن عمله فى إنهاك المستعمر وتحطيمه ، إلا إذا اعترف له هذا بتفوق قيم البيض اعترافا صريحا واضحا . وفى فترة التخلص من الاستعمار تسخر الجماهير المستعمرة من هذه القيم ذاتها ، بل تهينها وتبصقها بصقا.

وهذه الظاهرة تكون فى العادة مقننة ، ذلك أن بعض المثقفين قد قاموا، أثناء فترة الاستعمار ، بحوار مع برجوازية البلاد الاستعمارية .لقد كان الاستعماريون لا يرون أهل البلاد المستعمرة إلا كتلة غير متميزة .والشخصيات القليلة التى أتيح للبرجوازيين الاستعماريين أن يعرفوها من أهل البلاد لم تؤثر تأثيرا كافيا فى تلك النظرة المباشرة لتحملهم على تعديلها .أما فترة التحرر من الاستعمار فإن البرجوازية الاستعمارية تسعى فى كثير من الحماسة المحمومة إلى عقد صلات بالنخبة المثقفة .ومع تلك النخبة المثقفة انما شرعوا فى ذلك الحوار حول القيم .إن البرجوازية الاستعمارية ، حين تدرك عجزها عن الاستمرار فى السيطرة على البلاد المستعمرة ، تقرر أن تخوض معركة خلفية ،فى ميدان الثقافة ، والتكنيك .وما إلى ذلك ولكن الأمر الذى يجب ألا يغيب عن البال هو أن السواد الأعظم من الشعوب المستعمرة لا يمكن أن تنفذ إليه هذه المشكلات .فالقيمة الأساسية عند الشعب المستعمر . إنما هى الأرض ، لأنها هى القيمة المحسوسة الملموسة ،الأرض التى تكفل الخبز .والتى تكفل الكرامة طبعا .ولكن الكرامة التى تكفلها لا شأن لها بكرامة «الشخصية الإنسانية التى يتحدث عنها الاستعماريون . إن الشعب المستعمر لم يسمع يوما بهذه الشخصية الإنسانية الخيالية .وما وراءه على أرضه . بأم عينه هو أنه يعتقل لغير ذنب جناه ، وأنه يضرب وأنه يجوع، أنه لم ير فى يوم من الأيام استاذا من أساتذة الأخلاق ، ولا رجلا من رجال الدين المسيحى ، يأتى ليتلقى عنه اللطمات ، أو ليعطيه قسما من خبزه.. الأخلاقية عند المستعمر هى أن يتخلص من غطرسة المستعمر .هى أن يحطم عنفه الشامخ ، أى أن يطرده من الميدان طردا كاملا . إن المبدأ القائل بأن البشر جميعا متساوون سيتحقق فى المستعمرات متى اعتبر المستعمر أنه ند المستعمر ، ومتى خطا خطوة أخرى فقرر أن يقاتل فى سبيل أن يكون أكثر من المستعمر .وها هو ذا قرر أن يحل محل المستعمر ، أن يأخذ مكانه .وبذلك ترون عالما برمته ينهار ، عالما ماديا ومعنويا . إن المثقف الذى تبع الاستعمارى فى سلام فى عالم جديد، ولكن الأمر الذى يعمى عنه ، لأن الروح الاستعمارية قد تغلغلت فيه مع طرائقها فى التفكير ،هو أن المستعمر لن يهمه البقاء ولا التعايش السلمى متى زال الوضع الاستعمارى . ليس مصادفة أن الأقلية الأوربية التى تسمى «ليبرالية»، قد أعلنت رأيها حتى قبل أن تبدأ المفاوضات بين الحكومة الجزائرية والحكومة الفرنسية ، فقالت إنها تطالب بأن تكون لها جنسيتان . إنك حين تنظر إلى الأمور على المستوى المجرد تفرض على المستعمر المستوطن أن يثب فى المجهول وثبة محسوسة .ويجب أن نعترف بأن المستعمر المستوطن يعلم حق العلم بأنه ما من أقوال طنانة رنانة يمكن أن تقوم مقام الواقع.

يكتشف المستعمر إذن أن حياته وتنفسه وخفقات قلبه لا تختلف عن حياة المستعمر وعن تنفسه وعن ضربات قلبه . ويكتشف أن جلد المستعمر ليس خيرا من جلد رجل من السكان الأصليين .ويحدث هذا الاكتشاف هزة أساسية فى العالم . إن كل ما يحس به المستعمر من ثقة جديدة ثورية انما ينبع من هذا : إذا كان لحياتى من القيمة مثل ما لحياة المستعمر ، فلن تخيفنى بعد الآن نظرته ، لن تسمرنى فى مكانى .لن يجمدنى صوته .لن اضطرب أمامه .لن أعبأ به .لن يربكنى وجوده ، بل إننى منذ الآن أعد له من الكمائن ما يجعله فى القريب لا يجد لنفسه مخرجا غير الهرب.

قلنا أن الوضع الاستعمارى يتميز بأنه يفرض على العالم انقساما ثنائيا .والتحرر من الاستعمار يوحد هذا العالم ، إذ يخلصه من فقدان التجانس بقرار جذرى ، يوحد على أساس الأمة .وعلى أساس العرق أحيانا . إنكم تعرفون تلك الكلمة القوية التى قالها الوطنيون السنغاليون مشيرين إلى مناورات رئيسهم سنغور :«لقد طلبنا أن تصبح الوظائف للافريقيين .وها هو سنغور يجعل الأوربيين افريقيين» معنى هذا أن المستعمر قادر على أن يدرك ادراكا مباشرا مطلقا هل تحقق التخلص من الاستعمار أم لا :فالحد الأدنى المطلوب هو أن يصبح الأواخر هم الأوائل.

ولكن المثقف المستعمر يدخل على هذا المطلب بعض التعديلات ، ولا يعوزه أن يخترع لهذه التعديلات ما يسوغها ويبررها ، فيتكلم عن الاستعانة بموظفين إداريين ، وبموظفين فنيين .وباخصائيين .غير أن المستعمر يدرك أن هذه التذرعات إن هى إلا مناورات تخريبية .وليس نادرا أن تسمع من يقول هنا وهناك : «ما فائدة الاستقلال إذن»؟.

فى المناطق المستعمرة التى شب فيها نضال حقيقى من أجل التحرر من الاستعمار، فى المناطق التى سال فيها دم الشعب، فى المناطق التى أتاح فيها طول المرحلة المسلحة للمثقفين أن يعودوا إلى القواعد الشعبية .نشاهد استئصالا حقيقيا للأفكار التى استمدها هؤلاء المثقفون من الأوساط البرجوازية الاستعمارية .إن البرجوازية الاستعمارية قد استطاعت فى حوارها النرجسى مع نفسها ، وبواسطة رجالها الجامعيين ، أن تغرس فى أعماق فكر المستعمر أن الماهيات تبقى خالدة رغم جميع الأخطاء التى تنسب إلى البشر، وهم يعنون الماهيات الغربية طبعا .وكان المستعمر يسلم بهذه الأفكار .فكأن حارسا يقظا مكلفا بالدفاع عن الثقافة الاغريقية اللاتينية أصبح يقف فى ثنية من ثنايا عقله .أما أثناء الكفاح من أجل التحرر .فى اللحظة التى يسترد فيها المستعمر اتصاله بشعبه ، فإن هذا الحارس المصطنع يتهشم، فإذا جميع القيم التى تسمى قيم البحر الأبيض المتوسط التى تنادى بانتصار الشخصية الإنسانية ، وتدعو إلى الوضوح والجمال ، تصبح دمى لا حياة فيها ولا لون ، وإذا جميع تلك الخصب تبدو تركيبات ألفاظ ميتة . إن هذه القيم التى كان يلوح أنها تسمو بالنفس يتضح الآن أنها لا فائدة منها أو لا جدوى فيها لأنها لا تصل اتصالا مباشرا بالمعركة المحسوسة التى يخوضها الشعب.

والفردية تأتى فى طليعة هذه القيم .لقد أخذ المثقف المستعمر عن أساتذته أن على الفرد أن يؤكد ذاته .لقد غرست البرجوازية الاستعمارية فى ذهن المستعمر أن المجتمع مؤلف من أفراد لكل منهم ذاتيته الخاصة، وأن يغوص فى شعبه أثناء فترة الكفاح من أجل التحرير يدرك فساد هذه النظرية ، بل إن أشكال تنظيم الكفاح ستزوده بلغة جديدة. إن كلمات الأخ والأخت والرفيق كلمات نبذتها البرجوازية الاستعمارية .فالأخ عندها هو محفظة النقود، والرفيق عندها هو الصفقة الرابحة .وهكذا يشهد المثقف المستعمر فناء جميع أصنافه احتراقا بالنار: الأنانية

والانتقاد المتكبر ،والغباء الغر الذى يحمل صاحبه على أن يريد أن يكون له القول الفصل وسيكتشف هذا المثقف المستعمر الذى خربته الثقافة الاستعمارية ، سيكتشف أيضا أن للمجالس التى تشكل فى القرى قوة كبيرة. وأن اللجان التى تتألف من أفراد الشعب متانة هائلة، وأن للاجتماعات التى تعقد للحى أو للخلية خصوبة .فقضية كل فرد من الأفراد لن تكون عندئذ الا قضية جميع الأفراد ،لأنهم أما أن يكتشفهم جنود الاستعمار جميعا ، فيقتلوهم جميعا ، وأما أن ينجوا جميعا . إم «نجاح الفرد بنفسه» وهو شكل كافر من أشكال السلامة ،هى فى الميدان أمر مرفوض.

ويكثر الناس منذ زمن من الحديث عن النقد الذاتى ، فهل عرفوا أولا أن هذا نظام أفريقى؟ إن التقاليد ،سواء فى اجتماعات «الجماعة» بافريقيا الشمالية أو فى الاجتماعات التى تعقد بافريقيا الغربية ،توجب أن تفض النزعات التى تقوم فى قرية من القرى ،على رؤوس الاشهاد .وهذا نقد ذاتى جماعى طبعا ، ولكن على شئ من المرح ، لأن جميع الناس يكونون بعيدين عن التوتر ولأنهم يريدون فى أخر الأمر أشياء واحدة . إن المثقف ليهجر الحساب والسكوت والصلف ،والأفكار المخبأة ،والآراء المتخفية ،والنشر، أن المثقف ليهجر هذا كله كلما غاص فى الشعب ،ومن الحق أن نقول إن الجماعة تنفر من ذلك نفسه ، فتخلق ضوءها الخاص وتفكيرها الخاص.

ولكن يحدث أن تتم تصفية الاستعمار فى مناطق لم يهزها الكفاح التحررى هزا كافيا ،فاذا نحن نصادف هؤلاء المثقفين أنفسهم الذين يتصفون بالبراعة والمكر والحذق فى تحقيق أغراضهم الشخصية ، وإذا نحن نجد فيهم عين أنماط السلوك وأشكال التفكير التى التقطوها من معاشرتهم للبرجوازية الاستعمارية ،لقد كانوا للاستعمار أبناءه المدللين ،وهم الآن للسلطة أبناؤها المدللون أيضا ، ينهبون الموارد الوطنية نهبا ، ويندفعون إلى الاثراء بالصفقات والسرقات المشروعة اندفاعا لا يعرف الرحمة ،عن طريق الاستيراد والتصدير،والشركات المغفلة ،ومضاربات البورصة ،والرشوة ،على أكتاف البؤس الذى أصبح الآن وطنيا . إنهم يطالبون فى إلحاح أن تكون الأعمال التجارية فى أيدى أبناء الأمة وحدهم ، أى أن تحصر الأسواق والفرص المؤاتية فى أبناء الأمة وحدهم . ومعنى ذلك عندهم أن تحصر سرقة الأمة فى أبناء الأمة. .ولا شك أن نجاح أساليبهم الماكرة سرعان ما يثير غضب الشعب وعنفه ، أثناء فترة القحط الوطنى هذه ، أثناء ما يسمى بفترة التقشف . ذلك أن هذا الشعب البائس الذى نال استقلاله فى الظروف الافريقية والدولية الراهنة ، يسير نحو الوعى الاجتماعى بخطى حثيثة. ولن تلبث النفوس الصغيرة أن تدرك هذه الحقيقة فى وقت قريب.

لقد كان على المستعمر ، من أجل أن يستطيع هضم ثقافة مضطهدية وأن يغامر فى رحابها ، كان عليه أن يقدم ضمانات .ومن بين هذه الضمانات تبنى أشكال التفكير الخاصة بالبرجوازية الاستعمارية . نلاحظ هذا فى عجز المثقف المستعمر عن المحاورة ، لأنه لا يستطيع أن يتجرد عن ماهيته ازاء الموضوع أو الفكرة .أما حين يناضل فى صفوف الشعب فإنه لا ينفك ينتقل من دهشة إلى دهشة . أن ما يراه من صدق الشعب وشرفه يسقط من يده ،والخطر الذى يتربص به عندئذ انما هو الانسياق الكامل، فإذا هو لا يزيد على أن يثنى على كل جملة يقولها الشعب، وإذا كان جملة يقولها الشعب تصير فى نفسه إلى حكمة لا يأتيها الباطل. على أن الفلاح المتعطل والجائع لا يدعون الحقيقة .إنهم لايزعمون أنهم الحقيقة ، لأنهم الحقيقة فى وجودهم ذاته.

إن المثقف يتصرف فى هذه الفترة تصرف رجل انتهازى رخيص .والحق أن مناوراته لم تنقطع لحظة .والشعب لا يريد أن يبعده أو يحرجه .فما يريده الشعب هو أن يكون كل شئ مشتركا . ووجود ذلك الميل الغريب إلى

التفاصيل لدى المثقف هو الذى سيؤجل انغماس المثقف فى الموجة الشعبية العارمة .لا لأن الشعب عاجز عن التحليل . فهو يحب أن تشرح له الأمور ،هو يجب أن يفهم مفاصل استدلال من الاستدلالات ، يجب أن يرى إلى أين هو ذاهب ، ولكن المثقف المستعمر ، فى أول اتصاله بالشعب، يركز اهتمامه على الحاق الهزيمة بالاستعمار .إنه وقد جرفته حركة الكفاح المتعددة الأشكال ، يميل إلى التركيز على مهمات محلية يتابعها فى حماسة . ولكنه يسرف فى تقدير عظمتها . إنه لا يرى فى كل وقت . إنه يجئ بفكرة الفروع والاختصاصات والميادين ،فيريد أن يطبقها على هذه الآلة الجبارة التى تخلط وتدمج ، أعنى الثورة الشعبية . إنه وقد انخرط فى القيام بأعمال معينة فى الجبهة ، يتفق له أن ينسى وحدة الحركة ، حتى إذا وقع اخفاق محلى ما ، رأيته يستسلم للشك، بل واليأس أيضا . ولا كذلك الشعب ،فإنه يتخذ من البداية مواقف اجمالية الأرض والخبز : ماذا علينا أن نعمل حتى نحصل على الأرض والخبز ؟ وهذه النظرة العنيدة التى ينظرها الشعب ، هذه النظرة التى تبدو فى الظاهر محدودة ضيقة ،هى فى حقيقة الأمر، مثال النظرة التى تغنى العمل وترفده بالقوة وتكفل له النجع.

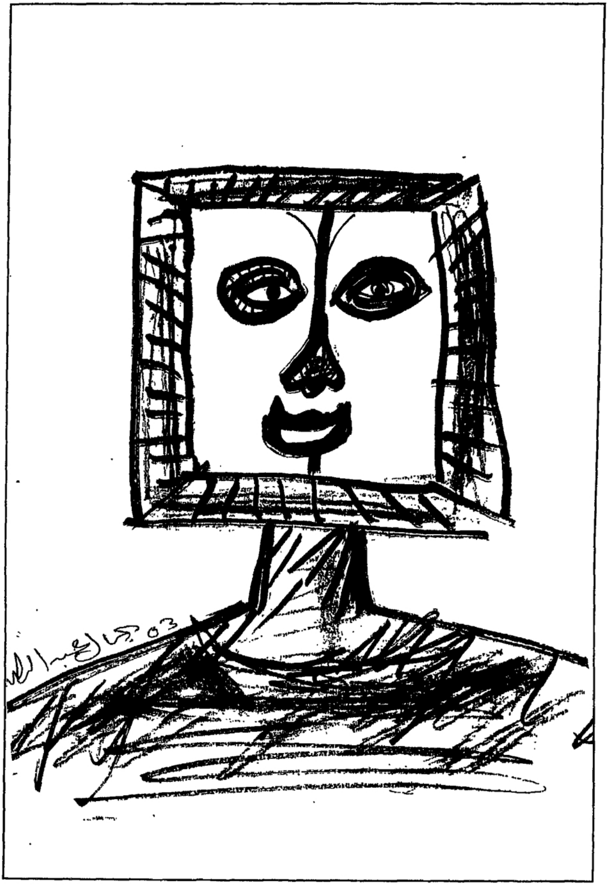
وهناك مسألة أخرى يجب أن نقف عندها أيضا ، هى مسألة الحقيقة . إن الشعب يرى ، فى جميع الأزمان ، أن عليه أن لا يقول الحقيقة الا لأهل وطنه وما من حقيقة مطلقة ولا من خطاب عن النفس الصادقة الشفافة يمكن أن يضعضع موقفه هذا . إن المستعمر يرد على كذب الاستعمار بكذب مماثل . إن سلوكه صريح مع أهل وطنه ، منكمش غامض مع المستعمرين . الحق عنده هو ما يجعل انهيار النظام الاستعمارى ، هو ما يسهل بزوغ الأمة. فى الوضع الاستعمارى ليس هناك سلوك يلتزم قول الحقيقة ، وليس الخير أيضا إلا ما يلحق ضررا بالمستعمرين.

وهكذا نرى الانقسام الثنائى الأول الذى كان يسود مجتمع المستعمرات يظل قائما فى فترة التحرر من الاستعمار . ذلك أن المستعمر لا يكف أبدا عن أن يكون هو العدو ، هو الخصم ، هو الإنسان الذى يجب القضاء عليه . إن المضطهد يخلق فى منطقته حركة ، هى حركة السيطرة والاستغلال والنهب.

وفى المنطقة الأخرى ، يغذى المستعمر المنهوب هذه الحركة على قدر ما يستطيع يغذى هذه الحركة التى تمضى بغير توقف من شواطئ البلاد إلى قصور «الوطن» ومستودعاته . إن الأرض فى هذه المنطقة المجمدة ساكنة لا تتحرك، وأشجار النخيل تتمايل أمام السحب ، وأمواج البحر تتواثب على حصى الشاطئ ،والمواد الأولية تذهب وتجئ مسوغة وجود المستعمر ، بينما يجثو المستعمر وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ،مسترسلا فى حلم واحد خالد لا يتغير . إن حياة المستوطن ملحمة أشبه بأوديسه .إنه البداية المطلقة:«هذه الأرض ، نحن صنعناها » هو السبب الفعال المستمر : «إذا نحن ذهبنا ، زال كل شئ ، وارتدت هذه الأرض إلى القرون الوسطى » وليس أمامه إلا أشخاص خاملون تهدمهم الأمراض «والعادات الموروثة عن الأجداد» ، إنهم إطار جامد يشبه أن يكون من معدن ، يحف بهذا النشاط المتحرك المتجدد الخلاق الذى يقوم به الاستثمار الاستعمارى».

نعم إن المستوطن يصنع التاريخ ويعرف أنه يصنعه .وهو يستشهد دائما بتاريخ وطنه الأم، فيشير إشارة واضحة إلى أنه هنا امتداد لذلك الوطن الأم. ومعنى هذا أن التاريخ الذى يكتبه ليس تاريخ البلد الذى ينهب خيراته بل تاريخ أمته فيما تقوم به من طغيان واغتصاب وتجويع . ولا يمكن أن يبدل المستعمر هذا الجمود الذى حكم عليه به إلا إذا قرر أن ينهى تاريخ الاستعمار ، تاريخ النهب والسلب ، وأن يوجد تاريخ الأمة ، تاريخ تصفية الاستعمار.

عالم حواجز ، عالم انقسام ، عالم جمود ، تماثيل : تمثال الجنرال الذى احتل البلاد ، تمثال المهندس الذى بنى



الجسر ، عالم واثق من نفسه عالم يسحق بصخوره الظهور التى قشرت جلودها السياط ،هذا هو عالم المستعمرات . إن السكان الأصليين فى هذا العالم أناس محجوزون . وليس التمييز العنصرى إلا شكلا من أشكال هذا الحجز فى العالم الاستعمارى . إن أول شئ يتعلمه السكان الأصليون هو أن يلزموا أماكنهم ، وأن لا يتجاوزوا الحدود . لذلك كانت الأحلام التى يحملها السكان الأصليون أحلاما عضلية أحلام فعل ، أحلام هجوم وعدوان . أنا أحلم بأننى أثب ، بأننى أركض بأننى أتسلق .أحلم بأننى أضحك .بأننى أجتاز نهرا بقفزة ، بأن طائفة من السيارات تطاردنى ولا تدركنى . إن المستعمر، أثناء الاستعمار ، لا يفتأ يحرر نفسه من الساعة التاسعة مساء إلى الساعة السادسة صباحا.

والمستعمر الذى ترسبت فى عضلاته روح الهجوم والعدوان هذه ، إنما يصبها أولا على ذويه . فهذه هى الفترة التى نرى فيها الزنوج يقضى بعضهم على بعض ، ونرى فيها رجال الشرطة والقضاء يذهلون من فرط انتشار الجرائم فى شمال أفريقيا . وسنرى فيما بعد تعليل هذه الظاهرة«١» . ويكفينا الآن أن نقول إن المستعمر يكون إزاء الوضع الاستعمارى فى حالة توتر دائم . إن عالم المستوطن عالم عدو ينبذه نبذا ، ولكنه فى الوقت نفسه عالم يستهوى المستعمر ويثير فيه الحسد .لقد كان المستعمر يحلم دائما أن يأخذ مكان المستعمر .انه لا يحلم أن يصبح مستعمرا ، ولكنه يحلم أن يحل محل المستوطن المستعمر . إن هذا العالم المعادى الثقيل الوطأة ، الذى لا يكف عن العدوان ، لا يمثل فى نظر المستعمر جحيما ينبغى الابتعاد عنه بأقصى سرعة ممكنة ، وإنما يمثل جنة قريبة التناول تحميها زبانية رهيبة ، فتدفع عنها الجمهور المستعمر بكل ما أوتيت من قوة غاشمة.

إن المستعمر يعيش فى خشية دائمة ، لأنه لعجزه عن فهم تلك العلامات الكثيرة التى تفصل العالم الاستعمارى عن عالمه ، لا يعرف فى لحظة من اللحظات أهو تجاوز الحد المرسوم أم لا . إن المستعمر ، فى هذا العالم الذى رتبه الاستعمارى ، مذنب دائما . وهذا الذنب ليس ذنبا مقترفا ، وإنما هو نوع من اللعنة . ولكن المستعمر لا يعترف فى قرارة نفسه بأى حكم يصدرونه فى حقه .لقد سيطروا عليه ، ولكنهم لم يطوعوه .لقد عدوه متخلفا عنهم، ولكنه غير مقتنع بأنه دونهم . إنه ينتظر بفارغ صبّر أن يغفل المستعمر قليلا حتى ينقض عليه . لا يمكن أن نقول عن المستعمر أنه قلق أو خائف . فهو فى عضلاته مترقب دائما . إنه يتوقع فى كل لحظة أن يترك دور الطريدة ليمثل دور الصياد . إن المستعمر شخص مضطهد يحلم دائما أن يصبح مضطهدا . وهذه الرموز الاجتماعية : رجال الدرك والأبواق التى تلعلع أصواتها فى الثكنات ، والاستعراضات العسكرية والعلم المرفرف فى الفضاء، هذه الرموز الاجتماعية التى تكبت وتحرض فى أن واحد ، لا تعنى عنده :«لاتتحرك» بل تعنى : «هيئ ضربتك تهيئة جيدة» .فإذا مال المستعمر إلى أن ينام وأن ينسى ، فإن غطرسة المستعمر وحرصه على تجريب قوة النظام الاستعمارى يذكرانه دائما بأن المعركة الكبرى لا يمكن تأجيلها إلى غير نهاية .وهذا الاندفاع إلى احتلال مكان المستعمر يغذى فيه توترا عضليا فى كل لحظة . ونحن نعلن أن وجود الحاجز فى ظروف انفعالية نفسية يقوى الميل إلى الحركة.

إن العلاقات بين المستعمر والمستعمر هى علاقات جماعة بجماعة والمستعمر يقاوم كثرة العدد بكثرة القوة . إن المستعمر إنسان مصاب بداء الميل إلى العرض . واهتمامه بسلامته يحمله على أن يذكر المستعمر جهاراً بأنه هو السيد:« أنا هنا السيد» فيثير فى المستعمر غضبا يكبحه هذا حين يهم أن يخرج . إن المستعمر موثق بالأغلال القوية التى أحكم الاستعمار أطباق حلقاتها عليه ولكننا رأينا أن المستعمر لا يحصل إلا على تجميد ظاهرى، أما فى

الداخل فيظهر الرجل فى حالة غليان . وهذا التوتر العضلى ينطلق من حين إلى حين انفجارات دامية : معارك قبلية ونزاعات بين أفراد.

فعلى مستوى الأفراد نشهد أموراً تخالف المنطق حقا : فبينما نرى المستعمر أو الشرطى يستطيعان من أول النهار إلى آخره أن يضربا المستعمر وأن يهيناه وأن يركعاه، نجد المستعمر يشهر سكينه عند أيسر نظرة عدائى أو هجومية يلقيها على مستعمر آخر ، لأن آخر ما بقى للمستعمر هو أن يدافع عن شخصية تجاه مواطنه. ولما كانت الصراعات القبلية استمرارا لأحداث قديمة مغروسة فى الذاكرة ،فإن المستعمر حين يخوض معارك الثأر بكل ما أوتى من قوة ، إنما يحاول أن يقنع نفسه بأن الاستعمار لا وجود له ، وأن الأمور تجرى كما كانت تجرى فى الماضى ، وأن التاريخ يستمر . ومن الواضح كل الوضوح أن هذا السلوك على مستوى الجماعات . نوع من ذلك «السلوك الهروبى» المعروف ،كأن هذا الانغماس فى دم الأخوة يمكن أن يعمى عن رؤية العدو الحقيقى ، وأن يؤجل خوض المعركة التى لابد من خوضها ، ألا وهى المعركة المسلحة ضد الاستعمار . إن المعارك التى تقوم بين القبائل انما هى تدمير للذات ،وهذا التدمير هو إحدى الطرق التى بها يتحرر المستعمر من توتر عضلاته . وهذا السلوك كله انما هو انتحار تجاه الخطر، انتحار يسمح للمستعمر الذى تقوى بذلك حياته وتشتد سيطرته ، أن يقول بهذه المناسبة نفسها أن هؤلاء الناس ليسوا عقلاء وهناك وسيلة أخرى يعمد إليها المستعمر من أجل أن لا يعبأ بالمستعمر ، وهى الدين. فبواسطة الايمان بالقدر يجرد المضطهد من المسئولية ، باعتبار أن الله علة كل شئ ، فهو الذى أراد هذه الآلام وهذا البؤس ،وهو الذى رسم هذا المصير ، فعلى الفرد أن يقبل هذا الفناء الذى أراده الله ، وهكذا يخضع المستعمر مذعنا للقضاء والقدر ويصل من ذلك بنوع من تحقيق التوازن الداخلى ، إلى هدوء كهدوء الصخر.

وتجرى الحياة فى أثناء ذلك. ومن الخرافات المرعبة ، الكثيرة فى المجتمعات المتخلفة ، إنما يمضى المستعمر يستمد أسبابا تمنع روح الهجوم عنده من الانطلاق ، فهو يتصور وجود جن شريرة تتربص به كلما حاول أن يتحرك ، ويتصور وجود بشر أسود، وبشر أفاع ، وكلاب لها ست أرجل ، وغيلان ، وعدد لا نهاية له من الكائنات الصغيرة أو العملاقة ، تبنى من حوله محرمات وسدودا وموانع أرهب من العالم الاستعمارى نفسه . إن هذه الاعتقادات السحرية التى يعج بها مجتمع السكان الأصليين تحقق فى الحياة الجنسية وظائف معينة . فمن خصائص المجتمعات المتخلفة أن الغريزة الجنسية فيها أمر جماعى ، عائلى .لقد وصف علماء الأجناس أوضح وصف تلك الظاهرة التى أصبحت الآن معروفة ، وهى أن الرجل ، فى بعض المجتمعات ، حين يرى فى المنام أنه ضاجع امرأة غير امرأته ، يجب أن يعلن ذلك للناس ، وأن يدفع للزوج المجنى عليه أو للأسرة المجنى عليها غرامة من هذا النوع أن يعمل لهما عدة أيام «وهذا دليل على أن المجتمعات التى توصف بأنها سابقة على التاريخ تقيم للاشعور وزنا كبيرا».

إن هذا الجو الخرافى السحرى الذى يخيف الفرد يتصرف تصرفاً واقعاً لا سبيل إلى الشك فيه ، وهو إذ يبث الرعب فى الفرد ، يدخل هذا الفرد فى تقاليد بلده أو قبيلته، يدخله فى تاريخهما ، وهو فى الوقت نفسه يطمئنه ، يعطيه حقوقا ويمنحه هوية . إن عالم الأسرار فى البلدان المتخلفة هو عالم جماعى لا شأن له بغير السحر . إنه إذ يقيد بتلك الأغلال الوثيقة ويجعلنى أكرر أعمالا بعينها على ثبات جامد ، إنما يؤكد لى استمرار عالم هو عالمى ،هو عالمنا . صدقونى إذا قلت لكم أن أشباح الغيلان مرعبة أكثر من المستعمرين . ولا تكون مشكلة المستعمر عندئذ أن

يصفي أمره مع العالم الاستعماري المصفح بالحديد ، وإنما تكون مشكلته أن يفكر ثلاث مرات قبل أن يبول أو يبصق أو يخرج في الليل.

إن القوة الغيبية السحرية تبدو له قوى جبارة ، وبذلك له قوى جبارة ، وبذلك تصغر قوى المستعمر في نظره كثيرا ، وتخرج من نطاق اهتمامه ، ولا يكون عليه بعد ذلك أن يكافحها ، لأن أعداءه الخرافيين هم الذين يرهبونه قبل كل شئ. وهكذا تنحل الأمور كلها في معارك دائمة على مستوى الوهم والخيال.

ولكن حين يجئ كفاح التحرير ، فإن هذا الشعب الذي كان قبل ذلك مقسما إلى طوائف وهمية ، هذا الشعب الذي كان فريسة رعب هائل لا يغلب ،وكان مع ذلك سعيدا بضياعه في زوبعة الأوهام، يتبدل أثناء كفاح التحرير ، وينظم نفسه تنظيما جديدا ، ويخلق في وسط الدم والدموع مهمات واقعية جدا ،مباشرة جدا .فتقديم الطعام للمجاهدين ،والقيام بأعمال الحراسة والمراقبة، ومساعدة الأسر المحرومة مما يقيم الأود، والنهوض بأعباء زوج قتل أو سجن ، تلك مهمات محسوسة ملموسة يدعى إليها الشعب أثناء كفاح التحرير.

والحياة الانفعالية لدى المستعمر في العالم الاستعماري تجرى على السطح كجرح نازف ، والنفس تنقبض وتنفصد ، وتفرغ شحناتها مظاهر عضلية جعلت بعض «كبار العلماء» يقولون عن المستعمر إنه إنسان مصاب بالهستريا . إن هذه الانفعالية المتوفرة التي يراقبها حرس لا يرون ، ولكنها تتصل بنواة الشخصية رأسا ، لابد أن تجد لذتها في تلك الانحلالات الحركية التي تلاحظ أثناء حدوث النوبة.

وعلى جانب أخر نرى انفعالية المستعمر تنطلق في أنواع من الرقص يخرج بصاحبه عن طوره ، ويجعله في حالة من النشوة .ولذلك كان على كل دراسة تتناول العالم المستعمر أن تعنى حتما بفهم ظاهرة الرقص والمس . إن المستعمر يفرج عن نفسه في هذه الحفلات الصاخبة التي تجد فيها العدوانية مهما تكن حادة ، ويجد فيها العنف مهما يكن مباشرا ،مجارى وسبلا إلى التحول والتلاشي . إن حلقة الرقص حلقة اباحة ، حلقة تحمي وتجيز .ففي ساعات محددة ،من أيام معينة ، يجتمع رجال ونساء في مكان بذاته ، ويأخذون يقومون على مرأى من القبيلة بحركات تمثيلية يوهم ظاهرها بأنها فوضى ، ولكنها في حقيقة الأمر منظمة جدا .فبأساليب مختلفة، كهز الرأس واحناء الظهر واندفاع الجسم كله إلى وراء ، تبذل الجماعة جهدا كبيرا في سبيل أن تخرج ذاتها ، أن تعبر عن نفسها .وكل شئ مباح في الحلقة .والأمكنة التي يتم فيها ذلك كله أمكنة مقدسة: الجبل الصغير الذي يصعدون إليه كأنما ليقتربوا من القمر ، والضفة التي ينحدرون إليها كأنما ليظهروا الوحدة بين الرقص والتطهر . وإذا كان كل شئ مباحا فأنهم لم يجتمعوا إلا من أجل أن يدعوا للغريزة الجنسية المتجمعة ،وللعدوانية المكبوحة أن تتفجر انفجار البركان . يجب أن تتخفف النفس من أثقالها : فها هم يقومون بأعمال ترمز إلى القتل ، وبحركات تمثل الفروسية ، وبافتعال تصور الابادة .إن عليهم أن يتخففوا من هذا كله بالوهم والخيال .فبذلك تنطلق حمم الغضب من أعماق النفس انطلاق قذائف البركان من باطن الأرض.

وما هي إلا خطوة أخرى حتى نجد أنفسنا أمام ظاهرة المس ، ظاهرة شعور الفرد بأنه ممسوس ، بأن كائنا غيبيا قد تسلل إليه واستحوذ عليه . إن تلك الجلسات التي نشهدها لدى هؤلاء الناس إنما هي ظاهرة مس وتحرر من المس: مس من الجن والشياطين والأشباح والأرباب ، إلخ ، فهذه الأنواع التفتت في الشخصية، والازدواج في الشخصية، من التحلل في الشخصية ، إنما تقوم بوظيفة أساسية في تأمين السكون في العالم المستعمر . إن

الرجال والنساء يذهبون إلى تلك الجلسات وقد نفد صبرهم وتوفزت أعصابهم ،حتى إذا عادوا كان الهدوء والسلام والسكون يهيمن على القرية.

ولكننا نشهد فى أثناء كفاح التحرير برء المجتمع من أمراض هذه الطقوس أن المستعمر حين يجعل ظهره إلى الجدار ، وتوضع السكين على عنقه ، أو يقرب السلك الكهربائى من أعضائه الجنسية ، يضطر إلى هجر تلك الخزعبلات ، إنه بعد أن أنفق من عمره سنوات فى الأوهام والأخيلة ، بعد أن غرق فى تلك التهاويل الغريبة ، يمسك الآن رشاشه بيده ، ويقاتل القوى التى كانت وحدها تنكر وجوده وكيانه ، أعنى قوى الاستعمار ،والمستعمر الشاب الذى ينمو ويترعرع فى هذا الجو من الحديد والنار يستطيع أن يسخر- وهو يسخر حقا -من الأجداد والأشباح ،والخيول ذات الرأسين ،والموتى الذين يستيقظون ، والجن الذين يترقبون أن يتثاءب المرء حتى يتسللوا إلى جسمه إن المستعمر يكتشف الواقع ويبدله حين يقوم بحركة نضالية ، ويمارس العنف ، ويعمل فى سبيل التحرير.

لقد رأينا هذا العنف أثناء فترة الاستعمار يدور على فراغ ، ورأينا شحناته تفرغ فى الرقص أو فى الحفلات التى تعقد لطرد العفاريت من الممسوسين ، ورأيناه يستنفد فى خصومات يقتل فيها الأخوة أخوتهم.

والمسألة الآن هى أن نقبض على هذا العنف الذى ينحرف عن سبيله ويضل عن غايته .لقد كان قبل الآن ينصرف فى ترهات خرافية ، وكان يحاول أن يكتشف مناسبات انتحار جماعى ،غير أن ظروفا جديدة ستتيح له الآن أن يغير اتجاهه.

هناك على مستوى التكتيك السياسى وعلى مستوى التاريخ مسألة نظرية هى على جانب عظيم من خطورة الشأن ، يطرحها فى العصر الراهن تحرير المستعمرات ، هذه المسألة هى: متى يمكن القول أن الوضع قد نضج إلى الحد الذى يجب فيه القيام بحركة تحرير وطنى ! ومن هى الطليعة التى يجب أن تقوم بهذه الحركة ؟فلأن القضاء على الاستعمار قد اتخذ أشكالا مختلفة وصورا متعددة فإن العقل يتردد إزاء هذه المسألة ، ويمتنع عن القطع برأى فيما هو قضاء حقيقى على الاستعمار ، وفيما هو تصفية كاذبة للاستعمار . وسنرى أن على الإنسان الذى قرر الانخراط فى المعركة أن يحدد الوسائل والتكتيك ، أى أن يعين السلوك والتنظيم ، وإلا لم يكن الأمر إلا اندفاع أعمى ، مع ما يستتبعه هذا الاندفاع الأعمى من مخاطر الرجعة والانتكاس.

ما هى القوى التى تقترح على المستعمر فى فترة الاستعمار أن يصب عنفه فى طرق جديدة وأن ينفق طاقاته فى أعمال جديدة؟ هذه القوى هى أولا الأحزاب السياسية والنخبة المثقفة أو النخبة التجارية. ونحن نعلم أن ما يميز بعض التشكيلات السياسية هى أنها تنادى بمبادئ ، ولكنها تمتنع عن إطلاق شعارات .وكل النشاط الذى تقوم به هذه الأحزاب السياسية الوطنية إنما هو فى فترة الاستعمار نشاط من النوع الانتخابى ، هو سلسلة من المقالات الفلسفية السياسية حول فكرة حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وحق البشر فى الكرامة والخبز ، هو ترديد لا ينقطع للمبدأ القائل «إن لكل فرد صوتا» ، إن الأحزاب السياسية الوطنية لا تلح أبدا على ضرورة استعمال القوة ،لأن هدفها ليس قلب النظام القائم واستئصاله من جذوره . إن هذه الأحزاب السياسية أحزاب مسالمة ، تنادى بالمشروعية ، وتناصر فى حقيقة الأمر النظام ..الجديد ، ولا تزيد على أن توجه إل البرجوازية الاستعمارية هذا الطلب :«أعطونا مزيدا من السلطة» .أما النخبة المثقفة ، فهى فى مسألة العنف ليس لها وجه تعرف به ، هى عنيفة فى الأقوال ، إصلاحية فى المواقف والأعمال . إن المنظمات السياسية الوطنية البرجوازية تقول شيئا وتعنى غيره .

ويجب أن نفسر هذه الخاصة التى تميز الأحزاب السياسية الوطنية بأمرين فى آن واحد هما نوع قادتها . إن قاعدة الأحزاب السياسية الوطنية تتألف من أفراد من سكان المدن .وهؤلاء العمال والفلاحون وأصحاب الحرف والتجار الذين بدأوا يستفيدون من الوضع الاستعمارى ولو استفادة ضئيلة ، هؤلاء لهم مصالح خاصة. وما تطالب به هذه القاعدة الشعبية فى الأحزاب السياسية إنما هو تحسين أحوالها وزيادة أجورها.

والحوار بين هذه الأحزاب السياسية والاستعمار لم ينقطع يوما. فهى تبحث فى تحسين الأحوال وفى التمثيل الانتخابى .وفى حرية الصحافة وحرية الاجتماع . إنها تبحث فى الإصلاحات . ولذلك يجب ألا يدهشنا أن نرى عدداً كبيرا من السكان الأصليين ينتمون إلى فروع المنظمات السياسية الموجودة فى البلد المستعمر . إن هؤلاء ينادون بشعار مجرد:«السلطة لطبقة البروليتاريا» ناسين أن شعارات وطنية هى التى يجب أن تكون أساس المعركة فى منطقتهم. إن المثقف المستعمر ينفق طاقته الهجومية فى صبوة مكشوفة إلى التشبه بالعالم الاستعمارى .لقد وضع طاقته الهجومية فى خدمة مصالحه الخاصة، وهى مصالح أفراد . وبذلك تنشأ ، بسهولة ، طبقة من العبيد المحررين فرديا ، إن ما يطالب به المثقف هو تكثير عدد هؤلاء المحررين هو إقامة طبقة من المحررين . ولا كذلك الجماهير ، فإنها لا تهدف إلى زيادة فرص نجاح الأفراد . إن ما تريده ليس هو الحصول على الحقوق التى يتمتع بها المستعمر ، بل هو أخذ مكان هذا المستعمر . إن الأكثرية الساحقة من المستعمرين تريد أن تستولى على مزرعة المستعمر . ليس هدفهم أن يكونوا والمستعمر أنداداً متنافسين ، وإنما هدفهم أن يحلوا محله.

إن الدعاية التى تتقدم بها معظم الأحزاب السياسية ، تغفل طبقة الفلاحين دائما ، مع أنه من الواضح أن طبقة الفلاحين فى البلاد المستعمرة هى الطبقة الثورية الوحيدة . إن هذه الطبقة لا تخشى أن تخسر بالثورة شيئا ، بل تطمع أن تكسب بالثورة كل شئ .والفلاح ، المنبوذ ، الجائع ، هو الإنسان المستغل الذى يكتشف قبل غيره أن العنف وحده هو الوسيلة المجدية . إنه امرؤ ليس عنده حل وسط ، ولا مجال عنده لتسوية ، والقوة وحدها هى التى تحدد فى رأيه بقاء الاستعمار أو زواله . إن هذا المستغل يدرك أن تحرره يقتضى استعمال جميع الوسائل ، وأولها القوة. حين أعلنت جبهة التحرير الوطنى عام ١٩٥٦ ، بعد استسلام جى موليه للمستعمرين الفرنسيين ، حين أعلنت فى منشور شهير لها ، أن الاستعمار لا يرفع يده إلا إذا جعلت السكين فى عنقه، لم يجد أى جزائرى صادق أن هذه الألفاظ عنيفة .لقد كان ذلك المنشور ينطلق بلسان جميع الجزائريين «ويفصح عما رسخ فى أعماق أعماق ضمائرهم من أن الاستعمار ليس آلة مفكرة ، ليس جسما مزودا بعقل ، وإنما هو عنف هائج لا يمكن أن يخضع إلا لعنف أقوى.

وحين أزفت ساعة الحساب الحاسم ، رأينا البرجوازية الاستعمارية التى ظلت إلى ذلك الحين مبتعدة ، رأيناها تتدخل ، منادية بهذه الفكرة الجديدة التى هى فى حقيقة الأمر من مبتكرات الدفاع الاستعمارى ، ألا وهى «اللاعنف» وفهمت النخبة المثقفة والاقتصادية المستعمرة من مناداة البرجوازية الاستعمارية نفس المصالح التى لها ، وأن من الضرورى المستعجل والحالة هذه أن تبادر إلى عقد اتفاق معها يضمن السلامة للطرفين . إن اللاعنف هو محاولة لتسوية المسألة الاستعمارية على مائدة خضراء قبل التورط فى أية حركة لا سبيل إلى تراجعها، قبل اهراق الدم، قبل القيام بأى عمل مؤسف حتى إذا رأوا الجماهير ، قبل أن يصفوا الكراسى حول المائدة الخضراء ، تأبى أن تسمع غير صوت ضميرها ، فتبادر إلى استعمال الحرائق والقيام بهجماتها ،هرعوا-أى أفراد «النخبة» وقادة الأحزاب البرجوازية الوطنية- هرعوا إلى الاستعماريين يقولون لهم: «الأمر خطير جدا . وليس يدرى المرء كيف يمكن أن

ينتهى هذا كله . فلابد من إيجاد حل، لابد من إيجاد تسوية» .

وفكرة التسوية هذه مهمة جدا فى ظاهرة التحرر من الاستعمار ، لأنها ليست بسيطة ،فالتسوية تتناول فى الواقع النظام الاستعمارى والبرجوازية الوطنية الناشئة . إن قادة النظام الاستعمارى يكتشفون إن الجماهير تهم أن تحطم كل شئ ، وتنسف الجسور ، وتخريب المزارع ، وأنواع القمع، والحرب ، ذلك كله يطعن الاقتصاد طعنا قاسيا .والتسوية تهم البرجوازية الوطنية أيضا ، فهذه البرجوازية الوطنية تخشى النتائج التى يمكن أن تنجم عن هذا الاعصار الجبار ، وتخاف أن تكنسها هذه الريح العاصفة ، فلا تفتأ تقول للمعمرين : «اننا ما زلنا قادرين على أن نوقف المذبحة ، فالجماهير لا تزال تثق بنا ،فأسرعوا إذا كنتم لا تريدون أن تعرضوا للمخاطر كل شئ» .وما هى إلا خطوة واحدة ، حتى نرى موجه الحزب الوطنى يعلن معارضته لهذا العنف ، ويقول بصوت عال إن لا شأن له بهؤلاء الماو ماو، لا شأن له بهؤلاء الارهابيين ، لاشأن له بهؤلاء الذباحين. وهو فى أحسن الحالات يقف فى» منطقة محرمة» تفصل بين الارهابيين والمعمرين، ويعرض نفسه «وسيطا» بين الطرفين ، ومعنى هذا أنه لما كان المعمرون لا يستطيعون أن يبحثوا الأمر مع هؤلاء الماو ماو ، فهو يتطوع للقيام بالمفاوضات . وهكذا نرى الناس الذين كانوا فى مؤخرة الكفاح الوطنى ، الناس الذين لم يشتركوا يوما فى النضال يصبحون بنوع من البهلوانية طليعة المفاوضين فى سبيل ايجاد تسوية لا لشئ إلا لأنهم حرصوا دائما على أن تبقى الصلة قائمة بينهم وبين الاستعمار.

قبل المفاوضات ، تكتفى أكثر الأحزاب الوطنية ، فى أحسن الأحوال ، بأن تلتمس المعاذير لهذه «الوحشية» . إنها لا تطالب بالكفاح الشعبى ، وليس نادرا أن نراها تنتقد . فى حلقات مغلقة ، تلك الأعمال التى تصفها صحافة البلد المستعمر ويصفها رأيه العام بأنها منكرة كريهة . وهذه السياسة التجميدية تتعلل بالحرص على رواية الأمور رواية موضوعية . ولكن هذا الموقف الذى يقفه المثقف المستعمر ويقفه قادة الأحزاب الوطنية ليس فى حقيقة الأمر موقفا موضوعيا . وإنما الواقع أن هؤلاء الناس ليسوا على ثقة بأن هذا العنف الجامح الذى تعمد إليه الجماهير هو السبيل الأجدى إلى الدفاع عن مصالحهم الخاصة. ثم إنهم غير مقتنعين بجدوى الأساليب العنيفة. وعندهم أنه لا يجوز الشك فى أن كل محاولة لتحطيم الاضطهاد الاستعمارى بالقوة إنما هى سلوك يأس ، سلوك انتحار ، ذلك أن دبابات المستعمرين والطائرات المقاتلة تحتل فى أدمغتهم مكانا كبيرا فمتى قلت لهم : يجب علينا أن نعمل ، رأوا القنابل تتسابق فوق رؤوسهم .. ورأوا الدبابات تزحف على طول الطريق ، ورأوا الرشاشات والشرطة ..فظلوا قاعدين لا يتحركون . أن عجزهم عن الانتصار بالعنف أمر لا حاجة إلى البرهان عليه ، إنهم يبرهنون على هذا العجز فى حياتهم اليومية وفى مناوراتهم . إنهم يظلون عند ذلك الموقف الصبيانى الذى تبناه انجلز فى مجادلته الشهيرة مع» هرنج» ذلك الجبل من الصبيانية . «كما استطاع روبنسون أن يحصل على سيف ، ففى وسعنا أيضا أن نتصور أن يظهر فاندرودى ذات صباح وفى يده مسدس مشحون» وعندئذ تنقلب نسبة العنف رأسا على عقب ، فإذا فاندرودى هو الذى يأمر وإذا روبنسون هو الذى يأمر وإذا روبنسون هو الذى يكد ويشقى .. فالمسدس يتغلب إذن على السيف ، بل إن أكثر عشاق البديهيات صبيانية فى وسعه أن يتصور أن العنف ليس فعل إرادة فحسب ، وإنما هو يقتضى شروطا تحضيرية واقعية جدا . ويقتضى على وجه الخصوص أدوات يتغلب أكملها على الأقل كمالا ، وإن هذه الأدوات ، عدا ذلك ، يجب انتاجها ، ومعنى هذا أن الذى ينتج أدوات للعنف أكمل.. يتغلب على من ينتج أدوات للعنف أقل كمالا ، وزبدة القول أن انتصار العنف يقوم على إنتاج الأسلحة وانتاج الأسلحة يستند إلى الانتاج

بوجه عام .. أى يقوم إذن على «القوة الاقتصادية» على الدولة الاقتصادية ، على الوسائل المادية التى توضع تحت تصرف العنف(١) . الواقع أن القادة الإصلاحيين لا يقولون شيئا آخر:«بأى شئ تريدون أن تحاربوا المعمرين؟ بسكاكينكم ؟ ببنادق الصيد التى عندكم ؟».

صحيح أن الأدوات مهمة فى ميدان العنف ،لأن كل شئ يتوقف آخر الأمر على توزع هذه الأدوات . ولكن تحرير الأراضى المستعمرة يأتينا بأضواء جديدة فى هذا المجال .لقد رأينا مثلا أن نابليون ، فى حملة أسبانيا التى كانت حربا استعمارية تماما ، أجبر على التقهقر رغم جيوشه التى بلغت أثناء هجمات الربيع من عام ١٨١٠ رقما هائلا هو ٤٠٠ ألف مقاتل .وكان الجيش الفرنسى أثناء ذلك يرعب أوروبا كلها بمعداته الحربية ، وبسالة جنوده ، وعبقرية ضباطه العسكرية .لقد اكتشف الاسبان الذين كان يحركهم إيمان لا يتزعزع ، اكتشفوا تلك الطريقة فى حرب العصابات التى كان المقاتلون الامريكان قد جربوها قبل خمسة وعشرين عاما فى محاربة الجيوش الانجليزية . لكن حرب العصابات هذه التى يقوم بها المستعمر لا تكون أداة عنف فى وجه أدوات أخرى من أدوات العنف ، ما لم تكن عنصرا جديدا فى تلك العملية الشاملة : عملية التنافس بين التروستات والاحتكارات.

فى أول الاستعمار كان يكفى فيلق واحد لاحتلال أراض واسعة: الكونجو ، نيجيريا ، ساحل العاج إلخ. أما اليوم فإن الكفاح الوطنى الذى يقوم به المستعمر يدخل فى ظرف جديد جدة مطلقة .لقد كانت الرأسمالية ، فى فترة انطلاقها ، ترى فى المستعمرات ينبوعا لمواد أولية يمكنها أن تصبها فى السوق الأوروبية بعد تصنيعها . ولكنها بعد مرحلة تجمع رأس المال وصلت اليوم إلى تبديل مفهومها عن الربح الذى يحققه مشروع من المشاريع .لقد أصبحت المستعمرات سوقا . إن سكان المستعمرات زبائن يشترون .فإذا كان لابد للثكنات من أن تعزز إلى غير نهاية ، وإذا بطؤت حركة التجارة ،أى إذا لم يعد فى الامكان تصدير المنتجات المصنعة ،كان هذا دليلا على أن الحل العسكرى يجب الابتعاد عنه . إن السيطرة العمياء التى هى من نوع الاستعباد لا تدر على البلد المستعمر أرباحا . والفئة الاحتكارية من برجوازية البلد المستعمر لا تدعم حكومة سياستها هى سياسة السيف وحده . إن الصناعيين ورجال المال فى البلد المستعمر لا يرجون من حكومتهم أن تهلك السكان وإنما يرجون منها أن تحمى «مصالحهم المشروعة» باتفاقات اقتصادية.

فهناك إذن تواطؤ موضوعى بين الرأسمالية وبين قوى العنف التى تنطلق فى الأراضى المستعمرة . ثم أن المستعمر لا يجابه المضطهد وحيدا ، هناك ، طبعا ، المعونة السياسية والدبلوماسية التى تقدمها البلاد التقدمية والشعوب التقدمية . ولكن هناك التنافس خاصة ، هناك تلك الحرب الضارية التى تقوم بين الطوائف الاقتصادية . إن مؤتمرا كمؤتمر برلين قد استطاع أن يقسم أفريقيا الممزقة إلى ثلاثة أجنحة أو أربعة: أما الآن فليس المهم أن تكون هذه المنطقة أو تلك خاضعة للسيادة الفرنسية أو البلجيكية ، وإنما المهم حماية المناطق الاقتصادية . إن القصف بالمدافع وسياسة الأرض المحروقة ،قد حلت محلها الآن سياسة الاخضاع الاقتصادى . إن الاستعماريين لا يخوضون الآن حربا ثأر ضد السلطان المتمرد . إنهم الآن أكثر لباقة وأقل دموية ، فهم يقررون أن يصفوا النظام العبقرى تصفية سلمية. إنهم يحاولون خنق غينيا ، ويزيلون مصدق ، ويخطئ إذن الزعيم الوطنى الذى يخاف العنف ، إذ يتصور إن الاستعمار ، «سيقتلنا جميعا» .صحيح أن العسكريين يستمرون على اللعب باللعب التى يرجع عهدها إلى أيام الفتح ، ولكن الأوساط المالية ما تلبث أن تردهم إلى الواقع.

ولذلك يطلبون إلى الأحزاب السياسية الوطنية العاقلة أن تعرض مطاليبها واضحة ، وأن تبحث مع الشريك الاستعماري في جو هادئ لا تعكره العواطف عن حل يكفل مصالح الطرفين . وواضح أن هذه النزعة الإصلاحية الوطنية ، التي تبدو في كثير من الأحيان نوعا من الكاريكاتور للعمل النقابي، تعمد دائما إلى وسائل سلمية جدا إذا هي قررت أن تعمل: اضرابات عن العمل في الصناعات القليلة الموجودة في المدن ، مظاهرات جماهيرية لتأييد الزعيم ، حجز سيارات النقل أو الحاصلات المستوردة . إن هذه الأعمال كلها تحقق غرضين في آن واحد ، هي الضغط على الاستعمار واستنفاد قوى الشعب . وهذه الطريقة في تنويم الشعب تنجح في بعض الأحيان . وعندئذ ، من المناقشة حول المائدة الخضراء ، ينبثق هذا التنصيب السياسي الذي يسمح للسيد« مبا» رئيس جمهورية الجابون ، أن يقول في كثير من الأبهة والعظمة حين وصوله إلى باريس في زيارة رسمية «لقد استقلت الجابون ، ولكن بين الجابون وفرنسا لم يتبدل شئ ، بل كل شئ يستمر كما كان» والواقع أن التبدل الوحيد الذي تحقق هو أن السيد «مبا» قد أصبح رئيس الجمهورية الجابونية ، وأن رئيس الجمهورية الفرنسية يستقبله.

والدين الذي لا مناص منه يساعد البرجوازية الاستعمارية في محاولة التهدئة التي تقوم بها . إن جميع القديسين الذين مدوا الخد الأيسر لمن ضربهم على الخد الأيمن ، الذين غفروا لمن أساء إليهم، الذين تلقوا البصاق والاهانة دون أن يختلجوا، إن هؤلاء جميعا يستشهد بهم. وأفراد النخبة في البلاد المستعمرة ، هؤلاء العبيد الذين أعتقوا ، لابد أن ينتجوا بديلا للقتال حين يكونون على رأس الحركة . إنهم يستعملون عبودية أخوتهم من أجل أن يخجل منهم المستعبدون ، أو من أجل أن يزودوا الجماعات المالية ، المتنافسة مع المضطدين ، بمضمون ايديولوجي إنساني النزعة هو لهم بمثابة المصباح المرشد . إنهم لا يتجهون بندائهم أبدا إلى العبيد ، إنهم لا يفعلون ذلك حقا في يوم من الأيام ، ولا يحاولون أن يعبئوا قوى هؤلاء العبيد تعبئة حقيقية ، إنهم يلوحون تلويحا بأن تعبئة الجماهير هي السلاح الحاسم الذي سيؤدي إلى« نهاية النظام الاستعماري» ،كأنما بنوع من السحر ، متظاهرين أن هذا هو ما يعتقدونه حقا وصدقا ،مع أنه في قرارة أنفسهم كذب. وبطبيعة الحال لابد أن يوجد في هذه الأحزاب السياسية ،وبين أعضاء قيادتهم ،أناس ثوريون يديرون ظهورهم لمهزلة الاستقلال الوطني عن وعي وفهم . ولكن هؤلاء سرعان ما تنزعج آلة الحزب من تدخلاتهم ومبادهاتهم واستياءاتهم ،فإذا بهؤلاء الثوريين يعزلون شيئا بعد شئ ، ثم يبعدون عن الحزب صراحة .وفي الوقت نفسه ، يتعرف عليهم البوليس الاستعماري .كأن هنالك نوعا من التواقت والتلازم. فإذا صاروا في المدينة غير آمنين على أنفسهم ، وصار أعضاء الحزب يتحاشونهم ، ونبذتهم سلطات الحزب ، رأينا هؤلاء المنبوذين الذين تقذف أعينهم شررا محرقا ،يذهبون إلى الأرياف ، وهنالك يدركون وفي رؤوسهم دوار أن جماهير الفلاحين تفهم عنهم بنصف كلمة ، وتطرح عليهم فورا هذا السؤال الذي لم يهيئوا جوابه :«متى نبدأ»؟.

سنتحدث فيما بعد عن هذا اللقاء بين الثوريين الآتين من المدن وبين القرويين . وإنما يحسن الآن أن نعود إلى الأحزاب السياسية ، لنبين أن لعملها مع ذلك طابعا تقدميا . إن الموجهين السياسيين يتحدثون في خطبهم عن الأمة. أنهم «يسمون» الأمة . وبذلك تأخذ مطالب المستعمر شكلا. صحيح أنه ليس هناك مضمون ، صحيح أنه ليس هنالك برنامج سياسي واجتماعي ، صحيح أنه ليس هنالك إلا شكل غامض مبهم ، ولكن هذا الشكل قومي ، إنه إطار، وهو ما نسميه بالحد الأدنى من المطالب . إن رجال السياسة الذين يخطبون ، ويكتبون في الصحف الوطنية ، يجعلون الشعب يحلم ، صحيح أنهم يتحاشون فكرة نسف النظام القائم ، ولكنهم في الواقع يبثون في ضمائر المستمعين

والقراء خمائر رهيبة تهيئ للنسف .وهم كثيرا ما يستعملون اللغة الوطنية أو لغة القبائل ومن شأن هذا أيضا أن يغذى الحلم ، وأن يسمح للخيال بالطواف خارج النظام الاستعمارى .هذا إلى أن هؤلاء السياسيين يقولون أحيانا: «نحن العرب ، نحن الزنوج» وهذه التسمية المثقلة بالاحتقار فى عهد الاستعمار تتلقى بذلك نوعا من الاحترام والتقديس. إن السياسيين يلعبون بالنار . ومن أجل ذلك رأينا أحد السياسيين الافريقيين يسر إلى جماعة من المثقفين الشباب منذ مدة يسيرة قوله: فكروا قبل أن تخاطبوا الجماهير لأن الجماهير ، تلتهب مشاعرها بسرعة» .هنالك إذن مكر من التاريخ يتم فى المستعمرات على نحو رهيب.

حين يدعو أحد السياسيين الشعب إلى اجتماع ، فيمكن أن نقول إن فى الهواء دما . ومع ذلك فإن هذا السياسى لا يعنى فى أكثر الأحيان إلا «باظهار» قواه .. دون استعمالها .غير أن هذا التحرك المتصل- -من ذهاب وإياب واستماع إلى خطب ، واعتقال أفراد من الناس ، وترحيل الزعماء ، إلخ –هذا التحرك المتصل يشعر الشعب بانه قد آن هو أن يفعل شيئا .والأحزاب السياسية ، فى مثل هذه اللحظات القلقة، تكثر نداءاتها إلى ناحية اليسار طالبة إلى الشعب أن يلتزم الهدوء ، بينما هى تتطلع بأنظارها إلى ناحية اليمين تستكشف الأفق .وتحاول أن تحذر ما يخبئه الاستعمار من نيات.

والشعب يستعمل أيضا بعض الأحداث من حياة الجماعة .فى سبيل أن يحافظ على شكله ، وأن يصون طاقته الثورية .من ذلك أن قاطع الطريق الذى يصمد لمطاردات رجال الدرك أياما بكاملها ، أو الذى يقتل فى معركة فذة بعد أن يقتل أربعة من رجال الشرطة أو خمسة ، أو الذى ينتحر حتى لا «يسلم» رفاقه ، هؤلاء جميعا بالنسبة إلى الشعب منارات ، وقدوات ، و«أبطال» وليس يجدى طبعا أن نقول عن فلان من هؤلاء الأبطال أنه لص ، أو رجل فاسد ، أو منحط .فإنه يكفى أن يكون هذا الرجل الذى تطارده السلطات الاستعمارية قد أساء إلى أحد المستعمرين أو إلى أملاك أحد المستعمرين .حتى يفرق بينه وبين المذنب العادى تفريقا واضحا.

ويجب أن نشير أيضا إلى الدور الذى يلعبه فى ظاهرة النضج هذه تاريخ المقاومة الوطنية عند الغزو الاستعمارى . إن الوجوه الكبرى الذى تظل ماثلة فى خيال الشعب المستعمر ، إنما هى وجوه أولئك الذين قادوا المقاومة الوطنية أثناء الاحتلال . إن وجوه بيهانزين ، وساوندياتا ، وساموري .وعبد القادر تعود إلى الحياة بقوة كبيرة فى الفترة التى تسبق بدء الكفاح ، وعودتها هذه بشير بأن الشعب يتهيأ لأن يستأنف السير، لأن يوقف الزمن الميت الذى حمله إليه الاستعمار ، لأن يصنع التاريخ.

إن انبثاق الأمة الجديدة، وتدمير النظم الاستعمارية هما إما ثمرة عنف يقوم به الشعب المستعمر ، وأما ثمرة العنف الذى تقوم به شعوب أخرى مستعمرة فيضغط على النظام الاستعمارى.

إن الشعب المستعمر ليس وحيدا فى المعركة . وحدوده تظل تتسرب منها الأنباء والأصداء رغم الجهود التى يبذلها الاستعمار . إنه يكتشف أن العنف يملأ الجو ، وأنه ينطلق هنا وهناك ، وأنه هنا وهناك ينتصر على النظام الاستعمارى .فهذا العنف الذى ينتصر لا يقوم لدى المستعمر بدور النبأ الذى يطلعه على الأحداث ، وإنما هو يحضه على العمل. إن الانتصار الكبير الذى حققه الشعب الفيتنامى فى ديان بيان فو لم يعد انتصارا فيتناميا فحسب ، فمنذ شهر تموز من عام ١٩٥٤ أصبحت المسألة التى يطرحها الشعوب المستعمرة على نفسها هى المسألة التالية: «ماذا يجب أن نعمل حتى نحقق ديان بيان فو ثانيه؟ كيف يجب أن نفعل حتى نحقق ديان بيان فو ثانية؟» وما من

مستعمر كان يستطيع أن يشك فى إمكان تحقيق انتصار كذلك الانتصار الذى تحقق فى ديان بيان فو. وأصبحت عناصر المسألة هى هذه: اعداد القوى ، تنظيمها ، تحديد موعد البدء فى المعركة . وهذا العنف الذى يملأ الجو لا يبدل المستعمر فحسب ، بل يبدل أيضاً الاستعماريين الذين يدركون أن معارك كثيرة سيكون مصيرها كمصير معركة ديان بيان فو. ولذلك فان ذعرا كبيرا منظما يجتاح الحكومات الاستعمارية ويستولى عليها .

فإذا حديثهم يدور حول ضرورة أستباق الأمور ، ضرورة تحويل حركة التحرير إلى جهة اليمين ، ضرورة تجريد الشعب من الحجج التى يتذرع بها، وإذا هم يقولون: «يجب أن نبادر بسرعة إلى تحرير المستعمرات» .يجب أن نحرر الكونغو قبل أن تتحول إلى« جزائر» يجب أن نقترع على قانون الدستور لافريقيا ، يجب أن نبادر إلى خلق «رابطة الشعوب الفرنسية» يجب على كل حال أن نحرر المستعمرات ، يمينا أن علينا أن نحرر المستعمرات .. وهم يبادرون إلى هذا التحرير بسرعة تبلغ من الشدة إنهم يفرضون الاستقلال على هوفويت بواينى فرضا . وهكذا يرد الاستعمار على استراتيجية ديان بيان فو التى يرسمها المستعمر باستراتيجية أخرى ، هى استراتيجية منح الاستقلال واحترام سيادة الدول.

ولنعد الآن إلى ذلك العنف الذى يملأ الهواء والذى رأيناه ، قبل اكتمال نضجه ، يفرغ شحناته فى غير الطرق السلمية . إن هذا العنف ، رغم التحولات التى فرضها عليه الاستعمار ، إذ جعله ينصرف فى نزاعات قبلية أو محلية ، يسير الآن فى طريقه . إذن فالمستعمر يعرف عدوه ،ويسمى أنواع الشقاء التى يقاسيها ، ويضع فى هذا الدرب الجديد كل ما فى حقده وغضبه من قوةٍ هائلة . ولكن كيف ننتقل من العنف الذى يملأ الهواء إلى العنف الذى يتدفق فى كفاح؟ ما هو الشئ الذى يفجر المرجل؟ هنالك أولا هذه الواقعة ، وهى أن هذا التطور يفسد على المعمر طمأنينته . إن المعمر الذى يعرف «هؤلاء الأهالى» ، يدرك من بادرات كثيرة أن هناك شيئا هو بطريق التبدل والتغير .لقد أصبح يندر أن يقع على أناس «طيبين» مسالمين ، من هؤلاء الأهالى ، وأصبح الأهالى يصمتون حين يقترب منهم أحد المعمرين . والنظرات فى بعض الأحيان قاسية، والأوضاع والأحداث تدل على روح الهجوم دلالة واضحة ،والأحزاب السياسية تتحرك وتكثر اجتماعاتها ،وفى الوقت نفسه يزداد عدد رجال الشرطة ،وتصل امدادات عسكرية .أن المعمرين ،ولاسيما الزراعيين المنعزلين فى مزارعهم ، هم أول من يحس بالخطر ،فيطالبون باتخاذ اجراءات قوية.

وتعمد السلطات فعلا إلى اتخاذ اجراءات لاظهار قوتها ، فتقتل زعيما أو زعيمين ،وتنظم استعراضات عسكرية ،وتقوم بمناورات وتطلق طائراتها فى السماء . ولكن هذه المظاهرة وهذه التدريبات الحربية ورائحة البارود هذه التى تملأ الجو فى هذه الأيام لا تحمل الشعب على التراجع والتقهقر ، بل إن المدافع والحراب تذكى نار الهجوم فيه . ويسود جو بطولى يريد فيه كل فرد أن يبرهن على أنه مستعد لكل شئ .وفى هذه الظروف تنطلق الطلقة من تلقاء نفسها ، لان الأعصاب متوفزة ،والخوف يملأ النفوس ، والناس قد تركز إحساسها على الزناد.فما هو إلا حادث تافه حتى يبدأ إطلاق الرصاص : ذلك ما حدث فى صطيف بالجزائر ، وفى الكاريير سنترال بمراكش ،وفى مورامانجا بمدغشقر . ولكن أعمال القمع التى تقوم بها السلطات الاستعمارية لا تحطم انتفاضة الشعب ، بل تعجل نمو الوعى القومى . إن النوازل فى المستعمرات انما تعزز الوعى الذى أخذ ينمو ،لأنها تدل على أن القوة وحدها هى التى تفض المشاكل بين المضطهدين والمضطهدين . ويجب أن نذكر هنا أن الأحزاب السياسية لم تطلق شعار الثورة المسلحة، ولا هى أعدت هذه الثورة . إن جميع هذه الأعمال العنيفة ، إن جميع هذه الأفعال التى ولدها الخوف، ولم يشأ

السياسيون أن تقع . وإنما باغتتهم الحوادث مباغتة . وفى هذه اللحظة يستطيع الاستعمار أن يقرر اعتقال القادة الوطنيين . ولكن حكومات البلاد الاستعمارية تعرف اليوم حق المعرفة أن حرمان الجماهير من زعيمها أمر خطر كل الخطر . لأن الشعب عندئذ ، وقد فقد لجامه ، يندفع إلى العنف والارهاب و«الأعمال الوحشية» اندفاعا قويا «ويطلق العنان «لغرائزه الدموية» فيفرض على الاستعمار إطلاق سراح الزعماء الذين تقع على عاتقهم هذه المهمة الصعبة «وهى أن يعيدوا الهدوء والسكينة . وهكذا فإن الشعب المستعمر الذى إنطلق من تلقاء ذاته يستعمل العنف فى سبيل تحقق تلك المهمة العظيمة «مهمة تحطيم النظام الاستعمارى ، يجد نفسه بعد برهة قصيرة مقتصرا على المناداة بهذا الشعار الميت العقيم : «إطلاق سراح زيد أو عمر من الناس»(١) ، وعندئذ يطلق الاستعمار سراح هؤلاء الناس ، ويبحث الأمور معهم «وتبدأ ساعة الاحتفالات الابتهاج الشعبية.

وفى حالة أخرى لا يمس جهاز الأحزاب السياسية بأذى ولكن القمع الاستعمارى والحركة التى يقوم بها الشعب من تلقاء ذاته ردا على ذلك القمع ، ما يلبثان أن يجعلا القاعدة الشعبية فى تلك الأحزاب تطغى على قياداتها ، فالجماهير تقابل القوى العسكرية بعنف قوى ، فيتردى الوضع بالنسبة إلى الاستعمار ، والسياسيون الذين لم يعتقلوا يصبحون على الهامش أناسا متعطلين لاخير فيهم ولا فى بيروقراطيتهم وبرامجهم الحكمية ، فهم بعيدون عن الحوادث ، ولكنهم لا يتورعون عن التبجح الكاذب فتراهم «يتحدثون باسم الشعب المضطهد» والاستعمار فى العادة يتهافت بشراهة على هذه النفاية ، ويحيل هؤلاء العاطلين إلى مفاوضين ، فما هى إلا ثوان أربع حتى يمنحهم الاستقلال ، ويكون عليهم بعد ذلك أن يعيدوا النظام إلى نصابه.

جميع الناس شاعرون إذن بهذا العنف ، وليست المسألة دائما كيف يرد عليه بعنف أشد ، وإنما هى : كيف توقف الأزمة؟.

فما هو هذا العنف فى واقع الأمر؟ لقد رأينا إنه ادراك الجماهير المستعمرة ، بحدسها ، أن تحررها يجب أن يتم بالقوة ، ولا يمكن أن يتم إلا بالقوة. فكيف يصل هؤلاء الناس الذين ليس لهم خبرة ، هؤلاء الناس الجياع الضعاف . الذين لا علم لهم بطرائق التنظيم كيف يصلون إزاء القوة الاقتصادية والعسكرية التى يملكها المحتل ، إلى الاعتقاد بأن العنف وحده يستطيع أن يخلصهم من براثن الاضطهاد الاستعمارى . إن نوعا جديدا من العلاقات قد قام فى العالم . إن الشعوب المتخلفة تحطم أصفادها ، والأمر الخارق أنها تنتصر من الممكن أن يقال إن من السخف أن يموت الإنسان جوعا فى عصر الأقمار الصناعية ؛ ولكن الجماهير المستعمرة لا تفسر الأمور تفسيرات قمرية من هذا النوع «والحقيقة هى أنه ما من بلد استعمارى يستطيع اليوم أن يتبنى ذلك الشكل الواحد من الصراع الذى قد نجح ، أعنى الاستمرار فى إرسال قوات احتلال كبيرة إلى غير نهاية.

والبلاد الاستعمارية تعانى فى داخلها تناقضات «وتجابه مطامع عمالية تقتضيها استعمال قواتها البوليسية . ثم إن هذه البلاد الاستعمارية هى على الصعيد الدولى محتاجة إلى جيوشها لحماية نظامها السياسى، وهناك أخيرا تلك الخرافة المعروفة القائلة بأن حركات التحرير تقودها موسكو، وهذه الخرافة تعنى فى التعليلات المذعورة التى يعمد إليها النظام الاستعمارى ما يلى:« إذا استمر الأمر ، فالشيوعيون يمكن أن ينتهزوا فرصة هذه الاضطرابات ليتغلغلوا فى هذه المناطق».

إن نفاد صبر المستعمر وتلويحه الصريح باستعمال العنف يدلان على إنه يدرك أن الظرف الحالى ظرف

استثنائى ، ويدلان على أنه ينوى الاستفادة من هذا الظرف. ولكن المستعمر الذى يتاح له اليوم أن يرى العالم الحديث ينفذ حتى إلى أقصى أركان البوادى ، يشعر شعورا حادا ، على مستوى التجربة المباشرة أيضا ، بحرمان ، فتقتنع الجماهير ، بواسطة نوع من الاستدلال ..الصبيانى ، إن هذه الأشياء كلها قد سرقت منها ، لذلك نراها فى بعض البلاد المتخلفة ، تسير بسرعة وتفهم بعد سنتين أو ثلاث سنين من الاستقلال ، أنها كانت مغبونة ، وأن «الأمر لم يكن ليستحق ذلك العناء كله» إذا لم تتبدل الحال تبدلا حقيقياً .فى عام ١٧٨٩، بعد الثورة البرجوازية ، استفاد الفلاحون الصغار من تلك الثورة فوائد أساسية . ولكن من نافل القول أن نذكر أن أكثرية سكان البلاد المتخلفة ، أن ٩٥٪ من سكان البلاد المتخلفة ، لا يحمل إليهم الاستقلال فى معظم الحالات تغييرا مباشرا .لذلك يلاحظ المراقب الخبير أن هناك نوعا من الاستياء الكامن يشبه تلك الحجرات التى تبقى بعد إنطفاء الحريق ، وتهدد باندلاع النيران من جديد.

ويقولون عندئذ أن المستعمرين يريدون أن يغالوا فى السرعة . بينما كانوا يؤكدون قبل ذلك بقليل أن المستعمرين أناس بطيئون كسالى اتكاليون أننا نلاحظ منذ الآن إن العنف الذى سار فى طرق محددة واضحة ابان كفاح التحرير لا ينطفئ انطفاء سحريا بعد احتفالات رفع الرايات الوطنية ، بل يظل متقدا ، خاصة وأن عهد البناء الوطنى يظل يتم فى إطار التنافس النهائى بين الرأسمالية والاشتراكية.

أن هذا التنافس يجعل حتى للمطالب المحلية بعدا عاما يكاد يشمل الأرض بأسرها ، فكل اجتماع ، وكل عمل من أعمال القمع ، تترجع أصداؤه فى العالم كله. إن حوادث القتل التى وقعت فى شاريفيل قد هزت الرأى العام العالمى أشهرا طويلة. وأصبحت شاريفيل ، فى الصحف وفى محطات الإذاعة وفى الأحاديث الخاصة ، رمزا ، فمن خلال حوادث شاريفيل عالج الرجال والنساء مشكلة التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا . ولا نستطيع أن نزعم أن الديماغوجية وحدها هى السبب فى هذا الاهتمام المفاجئ الذى يبديه «الكبار» بالشئون الصغيرة المتصلة بالمناطق المتخلفة. إن كل ثورة وكل تمرد يقعان فى العالم الثالث يدخلان الآن فى إطار الحرب الباردة . يكفى أن يضرب رجلان فى سالزبورى ، حتى تهتز كتلة بكاملها من الكتلتين ، وتأخذ تتحدث عن هذين الرجلين ، وتنتهز هذه الفرصة لتثير المشكلة الخاصة بروديسيا ، رابطة هذه المشكلة بمشكلة افريقيا كلها ، وبمشكلة البشر المستعمرين جميعا . ولكن الكتلة الثانية ، تقيس أيضا بمقياس سعة الحملة التى شنت عليها ما فى نظامها من نقاط الضعف . تدرك الشعوب المستعمرة أنه ما من فئة من الفئتين إلا وتهتم بالحوادث المحلية .فتكف هذه الشعوب المستعمرة عن الاقتصار على آفاقها المحلية ، إذ يدركها هذا الجو العام المشحون بالاهتزاز.

حين يعلن ،كل ثلاثة أشهر، إن الأسطول السادس أو الأسطول السابع ، تحرك نحو هذا الشاطئ أو ذاك ، وحين يهدد خروتشوف بانقاذ كاسترو بالصواريخ ، وحين يقرر كندى، بمناسبة لاوس ، أن يعمد إلى الحلول القصوى فإن المستعمر الذى ما يزال مستعمرا ،والمستعمر الذى نال الاستقلال يشعران ، شاءا أم أبيا ، أن نوعا من السير المسعور يجرفهما جرفا .والواقع أنهما يسيران من قبل أن يجرفا . أنظروا مثلا إلى حكومات البلاد التى تحررت منذ عهد قريب . إن رجال الحكم فى البلاد ينفقون ثلثى وقتهم فى مراقبة الأحداث التى تدور حولهم ،وفى اتقاء الخطر الذى يهددهم ، وينفقون الثلث الأخير من وقتهم فى العمل لبلادهم .وهم فى الوقت نفسه يبحثون لأنفسهم عن دعائم . وتخضع المعارضة الوطنية لهذا المنطق نفسه ، فتدير ظهرها للطرق البرلمانية فى كثير من الاحتقار ، وتمضى تبحث

عن حلفاء يقبلون أن يدعموا رغبتها فى القيام بثورة عنيفة. إن جو العنف الذى كان يسود المرحلة الاستعمارية ، يظل يسيطر على الحياة الوطنية . ذلك إن العالم الثالث ، كما سبق أن قلنا ذلك، ليس مستبعدا من هذا الاعصار ، بل إنه هو فى مركز الاعصار . لذلك نرى رجال الدولة فى البلدان المتخلفة يظلون يستعملون فى خطبهم لهجة الهجوم والغضب التى كان ينبغى فى الأحوال العادية أن تزول . وما أكثر ما يكون هؤلاء القادة الجدد شرسين فى أقوالهم ! ذلك أمر يفهم أيضا غير أن الشئ الذى يفهم أقل من ذلك أن هؤلاء القادة أنفسهم يظهرون كثيرا من الكياسة واللباقة فى معاملة الاخوة أو الرفاق . إن الشراسة هى أولا سلوك مع «الآخرين» مع الذين كانوا مستعمرين ثم جاءوا اليوم ينظرون ويتقصون . إن الشخص الذى كان مستعمرا يشعر فى كثير من الأحيان بأن النتيجة التى يريد أن ينتهى إليها هؤلاء الناس فى تحقيقاتهم الصحفية عن هذه البلاد قد كتبوها قبل أن يجيئوا ،وليس مجئ الصحفى إلى البلاد الا ستارا وتبريرا . إن الصور الفوتوغرافية التى ينشرها مع المقال تبرهن على الغرض الذى جاء من أجله . إن هدفه من كتابة التحقيق هو أن يتحقق من صدق قناعته السابقة. وهى أن كل شئ أصبح سيئا هناك منذ خروجنا . إن الصحفيين يشكون دائما من انهم يستقبلون استقبالا سيئا، وأنهم يعملون فى ظروف صعبة ، وأنهم يصطدمون بجدار من عدم الاكتراث أو من العداوة .هذا كله طبيعى. إن القادة الوطنيين يعرفون أن الرأى العام العالمى تصنعه الصحافة الغربية وحدها . وحين يجيئنا صحفى غربى ويطرح علينا أسئلة ، فقلما يكون هدفه من ذلك أن يخدعنا . إنظروا إلى حرب الجزائر مثلا . إن أكثر الصحفيين الفرنسيين تحررا لم يكفوا لحظة عن استعمال نعوت ملتبسة المعانى حين يريدون أن يصفوا ثورتنا فاذا عوتبوا فى ذلك قالوا انهم أناس موضوعيون .والمستعمر يرى أن الموضوعية موجهة دائما دائماً ضده . وطبيعية أيضا تلك اللهجة الجديدة التى أغرقت الدبلوماسية الدولية فى اجتماع الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى أيلول «سبتمبر » عام ١٩٦٠ .لقد كان ممثلو البلاد المستعمرة يتحدثون بلغة هجومية عنيفة مهينة ، ولكن الشعوب المستعمرة لم تجد أنهم كانوا مبالغين أو مغالين . إن راديكالية هؤلاء الممثلين الافريقيين الذين كانوا ينطقون بلسان الشعوب الافريقية قد أنضجت الدمل ،وجعلت الناس يدركون ان اعتراضات الفيتو هذه أمر غير مقبول ،وكذلك هذا الحوار بين «الكبار» ،وخاصة هذا الاستخفاف بالعالم الثالث ، وجعل دوره محدودا تافها.

إن هذه الدبلوماسية التى دشنتها الشعوب المستقلة حديثا لا تعرف اللف والدوران حول الفروق الطفيفة ،ولاتعرف المكر الذى يعلن غير ما يبطن. ذلك أن هؤلاء الناطقين ، باسم شعوبهم قد كلفتهم شعوبهم أن يدافعوا فى آن واحد عن وحدة الأمة، وعن تقدم الجماهير نحو الرخاء ،وعن حق الشعوب فى الحرية وفى الخبز.

فهى إذن دبلوماسية متحركة، دبلوماسية حانقة ، تتعارض تعارضا قويا مع ذلك العالم الساكن ، الجامد ، عالم الاستعمار ، حين يلوح السيد خروشوف بحذائه فى هيئة الأمم المتحدة ، ويضرب به المنضدة فما من ممثل من ممثلى البلاد المتخلفة يضحك . ذلك أن ما يبنيه السيد خروشوف للبلاد المستعمرة ، هو أنه ، هو فلاح يملك من جهة أخرى صواريخ ، يعامل هؤلاء الرأسماليين الأشقياء المعاملة التى يستحقونها .وكذلك فان كاسترو الذى يتحدث فى منظمة الأمم المتحدة وهو بلباسه العسكرى ، لا يثير استغراب البلاد المتخلفة. ذلك أن ما يبينه كاسترو هو أنه يدرك أن عهد العنف ما يزال قائما . وإنما المستغرب انه لا يدخل هيئة الأمم المتحدة وفى يده رشاشه ، ولكن ربما كانوا يعارضون فى ذلك . أن الثورات ،والأفعال اليائسة ، والجموع المسلحة بالخناجر أو الفئوس ، تجد وطنيتها فى هذا الصراع

الفائر الذى يقوم بين الرأسمالية والاشتراكية.

لقد أمكن ، فى عام ١٩٤٥ ، أن لا يلاحظ الناس مقتل ٤٥٠٠٠ جزائرى فى صطيف ، وفى عام ١٩٤٧ أمكن أن يقتل ٩٠٠٠٠ شخص فى مدغشقر دون أن يكون هذا الحادث إلا خبرا صغيرا فى زوايا مهملة من زوايا الصحف ، وفى عام ١٩٥٢ أمكن أن يموت ٢٠٠٠٠ شخص فى كينيا دون أن يكترث أحد بالأمر كبير اكتراث . ذلك أن التناقضات الدولية لم تكن فى تلك الأيام الحاسمة قاطعة إلى درجة كافية . صحيح أن حرب كوريا وحرب الهند الصينية كانتا قد دشنتا مرحلة جديدة . ولكن بودابست والسويس هما اللحظتان الحاسمتان فى هذه المرحلة الجديدة.

إن المستعمرين ، وقد قواهم الدعم غير المشروط الذى ينالونه من البلدان الاشتراكية ، يهجمون بالأسلحة التى معهم على هذه القلعة التى لا تقهر ، قلعة الاستعمار ، ولئن كانت هذه القلعة لا تخدشها السكاكين والأيدى العارية ،فإنها لا تظل كذلك حين يحزم المقاتلون أمرهم على أن يحسبوا حساب حالة الحرب الباردة.

إن الأمريكيين ، فى هذا الظرف الجديد ، يعدون أنفسهم فى كثير من الجد، أوصياء على الرأسمالية الدولية ورعاة لها. لذلك نراهم فى مرحلة أولى يَنصحون البلاد الأوربية بأن تحرر المستعمرات وديا ،ونراهم فى مرحلة ثانية لا يترددون فى أن ينادوا باحترام مبدأ افريقيا للأفريقيين أولا ، وفى أن يدعموا هذا المبدأ بعد ذلك . إن الولايات المتحدة لا تخشى اليوم أن تعلن رسميا أنها تدافع عن حق الشعوب فى تقرير مصيرها . إن الرحلة الأخيرة التى قام بها السيد منين وليامز ليس مثالا على شعور الأمريكيين بأن العالم الثالث يجب ألا يضحى به. وهنا نفهم لماذا لا يعد عنف المستعمر عنفا لا أمل فيه إلا إذا قورن مقارنة مجردة بالآلة العسكرية التى يملكها المضطهدون إما اذا وضعنا هذا العنف فى موضعه من الحركية الدولية أدركنا أنه يهدد المضطهد تهديدا رهيبا . إن استمرار الثورات والاضطرابات يحدث خللا فى الحياة الاقتصادية للمستعمرة ولكنه لا يجعل البلاد المستعمرة فى خطر. والأمر الأهم فى نظر الاستعمار هو أن تتسرب الدعاية الاشتراكية إلى صفوف الجماهير ، هى أن تسرى هذه الدعاية الاشتراكية إلى الجماهير . وهذا أمر له خطورته فى فترة الحرب الباردة من هذا الصراع فما بالك حين تصبح الحرب حارة: ما عسى أن تصير إليه هذه المستعمرة التى تعج بالمحاربين «السفاكين» حين تصبح الحرب حارة؟.

فالرأسمالية تدرك عندئذ أن استراتيجيتها العسكرية ستخسر من نمو الحروب الوطنية كل شئ . لذلك تضطر الرأسمالية ، فى إطار التعايش السلمى ، إلى أن تسلم بتحرر جميع المستعمرات ، وبحياد جميع المستعمرات عند الاقتضاء . فإنما المهم عندها قبل كل شئ هو أن تتحاشى ما يهدد سلامة استراتيجيتها ، هو أن تتحاشى انفتاح الجماهير لعقيدة عدوة ، هو أن تتحاشى أن يكرهها عشرات الملايين من الناس كرها جذريا .والشعوب المستعمرة تدرك ادراكا كاملا هذه الضرورات التى تسيطر على الحياة السياسية الدولية فحتى الذين تلعلع أصواتهم فى استنكار العنف يتخذون قراراتهم ويقومون بأعمالهم على أساس هذا العنف الذى يسود الكرة الأرضية كلها . أن التعايش السلمى بين الكتلتين يغذى العنف فى المستعمرات ، ويحرض عليه فى أيامنا هذه . ربما رأينا هذا العنف ينتقل غدا إلى ميدان آخر بعد تحرر المستعمرات تحررا كاملا . لعله يطرح غدا مشكلة الأقليات . ألسنا نرى بعض الأقليات منذ الآن لا تتردد عن المناداة باستعمال أساليب العنف لحل مشكلاتها ؟ ليس من قبيل المصادفة أن نرى المتطرفين من الزنوج فى الولايات المتحدة يشكلون فرق ميليشيا و يتسلحون . وليس من قبيل المصادفة أن نرى فى

العالم الذى يسمى نفسه حرا ، قيام لجان الدفاع عن الأقليات اليهودية فى الاتحاد السوفيتى ، وأن نرى الجنرال دى جول يذرف بعض الدموع فى إحدى خطبه ، حزنا على المسلمين الذين تضطدهم الديكتاتورية الشيوعية . إن الرأسمالية والاستعمار مقتنعان بأن النضال ضد التفرقة العنصرية ،وحركات التحرر الوطنى ليست الا اضطرابات يوعز بها من بعيد ، ليست الا اضطرابات يحرض عليها «من الخارج» ، لذلك يقرران أن يستعملا هذا التكتيك المجدى: «راديو أوروبا الحرة» ، لجنة تأييد الأقليات المغلوبة، فيقومان بمحاربة الاستعمار ، كما كان القادة الفرنسيون فى الجزائر يقومون بتلك الحرب التخريبية مع الSAS والدوائر السيكولوجية . إنهم «يستخدمون الشعب ضد الشعب» ،ونحن نعلم ما الذى يؤدى إليه هذا.

إن هذا الجو من العنف والتهديد والتلويح بالصواريخ لا يخيف المستعمرين ولا يحيرهم .لقد رأينا أن تاريخهم الأخير كله يهيئهم «لفهم» هذا الظرف . إن بين العنف الاستعمارى والعنف السلمى الذى يعيش فى جوه العالم المعاصر نوعا من التقابل والتجانس ،وقد تلاءم المستعمرون مع هذا الجو . إنهم من هذه الناحية ، أبناء عصرهم. قد يستغرب الناس فى بعض الأحيان أن المستعمر بدلا من أن يشترى فستانا لزوجته، يشترى جهاز راديو ترانزستور . ولكن يجب أن لا يستغرب هذا . إن المستعمرين مقتنعون بأن مصيرهم يتقرر الآن. انهم يعيشون فى جو نهاية العالم، ويرون أنه ما ينبغى أن يفوتهم شئ . وهم لذلك يفهمون كل الفهم فوما وفومى ،ولومومبا وتشومبى ، وآهيجو وموميه ، وكيناتا ، وأولئك الذين يقذفون من حين إلى حين ليحلوا محلهم . إنهم يفهمون هؤلاء الأشخاص كل الفهم ،لأنهم يعرون القوى الكامنة وراءهم . إن المستعمر ، إن الإنسان المتخلف ،هو اليوم إنسان يستحق أن يوصف بأنه حيوان سياسى بأكمل معانى هذه الكلمة.

صحيح أن الاستقلال قد رد إلى المستعمرين شعورهم بذاتهم وعزز كرامتهم ولكن الوقت لم يتسع لهم بعد من أجل إنشاء مجتمع ، ومن أجل بناء وتأكيد قيم، إن البؤرة المشعة التى فيها ينمو المواطن والإنسان ويغتنيان فى ميادين ما تنفك تتسع غير موجودة بعد . وإذا أن هؤلاء الناس يعيشون فى نوع من عدم التحديد ، تراهم يقتنعون فى سهولة بأن كل شئ سيتقرر فى مكان آخر ، بالنسبة إليهم وبالنسبة إلى سائر العالم فى آن واحد . أما القادة فانهم إزاء هذا الوضع يترددون وينتخبون الحياد.

هناك أمور كثيرة يجب أن نقولها عن الحياة. إن بعض الناس يشبهون هذا الحياد بنوع من النفعية الموبوءة التى تريد أن تأخذ من اليمين واليسار، ولكن الحقيقة هى أن هذا الحياد الذى هو من ثمرات الحرب الباردة ، إذا كان يتيح للبلدان المتخلفة أن تتلقى معونة اقتصادية من الطرفين، فإنه لا يتيح لكل من هذين الطرفين أن يساعد المناطق المتخلفة المساعدة التى ينبغى أن تقدم لها. إن هذه المبالغ الطائلة «الفلكية» التى تخصص للبحوث الحربية ، مع هؤلاء المهندسين الذين يقبلون إلى اختصاصيين فى الحرب النووية ، وفى وسعها ، خلال خمسة عشر عاما ، أن ترفع مستوى المعيشة فى البلاد المتخلفة بنسبة ٦٠٪ . وواضح إذن أن مصلحة البلاد المتخلفة ليست لا فى إطالة هذه الحرب الباردة ولا فى تفاقم حدتها ، لذلك تتحلل من اتخاذ موقف إذا هى استطاعت إلى ذلك سبيلا . ولكن هل تستطيع حقا ، لنتذكر مثلا أن فرنسا تجرب قنابلها الذرية فى أفريقيا . وباستثناء الاقتراحات والاجتماعات والقطيعات الدبلوماسية الصاخبة ، لا نستطيع أن نقول أن الشعوب الأفريقية كان لها ، فى هذا القطاع الخاص ، تأثير كبير على موقف فرنسا.

إن الحياد يولد لدى المواطن فى العالم الثالث اتجاها نفسيا يعبر عن نفسه فى الحياة الجارية بعناد وكبرياء يشبهان التحدى شبها كبيرا . إن هذا الرفض القوى للتسوية ، وهذا الاصرار الصلب على عدم الارتباط يشبهان سلوك أولئك المراهقين المزهوين المحرومين المستعدين دائما لأن يضحوا بأنفسهم فى سبيل كلمة . وهذا كله يحير المراقبين الغربيين ويرتج عليهم . ذلك أن هناك تناقضا فاضحا بين ما يدعيه هؤلاء الناس وما يوجد وراءهم . إن هذا البلد الذى يعيش بلاترامواى «ولاجيوش» ، ولا مال ، لا يملك ما يبرر هذه الفخفخة التى يظهر بها ، فليس سلوكه هذا الا ادعاء فارغا وتظاهرا كاذبا . إن هذا العالم الثالث يشعر المرء بأنه يبتهج فى المأساة ، وأنه فى حاجة إلى نصيبه الأسبوعى من النوبات . إن زعماء هذه البلاد الخاوية الذين يتكلمون بصوت عال يثيرون الحنق فى النفس . إن المرء ليود أن يسكتهم . ولكنهم يغازلون ، وتقدم لهم الازهار ، ويدعون ، بل قل بصراحة إنهم يتنازع عليهم . إن هذا كله لهو من الحياد . إنهم «وهم أميون فى أكثريتهم الساحقة ، ٩٨٪» ،قد كتبت من أجلهم مجلدات ضخمة «وهم يسافرون كثيرا ، إن قادة البلاد المتخلفة ، وطلاب البلاد المتخلفة ،هم من أحسن زبائن شركات الطيران . إن المسئولين الافريقيين والآسيويين يستطيعون فى شهر واحد أن يحضروا مؤتمرا عن التخطيط الاشتراكى فى موسكو ، وعن محاسن الاقتصاد الحر فى لندن أو فى جامعة كولومبيا . والنقابيون الافريقيون ، من جهتهم ، يتقدمون بسرعة متزايدة «وما أن يعهد إليهم بوظائف فى أجهزة التوجيه حتى يقرروا أن يكونوا اتحادات مستقلة . إنهم لا يملكون خمسين عاما من العمل النقابى فى إطار بلد مصنع ، ولكنهم يعرفون منذ الآن أن العمل النقابى الذى لا شأن له بالسياسة سخف لا معنى له . إنهم لا يجابهوا الآلة البرجوازية ، ولا نموا لوعيهم فى صراع الطبقات ، ولكن ربما كان هذا غير ضرورى . ربما.

ولكن فلنعد إلى المعركة الخاصة القائمة بين المستعمر والمعمر . ها هنا كفاح مسلح صريح كما ترون . وأمثلته التاريخية : الهند الصينية ، أندونيسيا . وأفريقيا الشمالية طبعا . ولكن الشئ الذى يجب أن لا يغيب عن البال ، هو إن هذا الكفاح المسلح كان يمكن أن ينطلق فى أى مكان ، كان يمكن أن ينطلق فى غينيا ،كما كان يمكن أن ينطلق فى الصومال ، ولا يزال من الممكن أن ينطلق فى كل مكان ، فى أنجولا مثلا . ووجود الكفاح المسلح يشير إلى أن الشعب قد قرر أن لا يثق إلا بالوسائل العنيفة . إن الشعب الذى ظلوا يقولون له إنه لا يمكن أن يفهم غير لغة القوة ، يعزم أمره الآن على أن يعبر عن نفسه بلغة القوة والحق أن المعمر قد دله منذ زمان طويل على الطريق التى يجب أن تكون طريقه إذا هو أراد أن يتحرر . والحجة التى يختارها المستعمر إنما دله عليها المعمر «فإذا بالمستعمسر هو الذى يؤكد اليوم أن الاستعمار لا يفهم إلا لغة القوة. إن النظام الاستعمارى يستمد مشروعيته من القوة ، وهو لم يحاول فى أية لحظة من اللحظات أن يراوغ فى هذا الأمر الذى يتفق وطبيعة الأشياء . إن كل تمثال من التماثيل، كتمثال فيدرب أو ليوتى أو بوجو أو بلاندان ، أن كل تمثال من هذه التماثيل المغروسة فى الأرض المستعمرة لايفتأ يعبر عن شئ واحد بعينيه «نحن هنا بقوة الحراب..» وإتمام هذه العبارة أمر سهل . إن كل معمر يفكر ، أثناء فترة التمرد والعصيان ، على أساس حساب واضح دقيق. ومنطقه هذا لا يستغربه المعمرون الآخرون ، ولكن يجب أن نذكر أيضا إن هذا المنطق لا يستغربه المستعمرون أيضا . ونلاحظ أولا أن المبدأ القائل « أما هم واما نحن» ليس فى نظر المستعمرين أمرا مفارقا مستغربا ، لأن الاستعمار، كما رأينا ، إنما هو تنظيم عالم ينقسم انقساما ثنائيا . وحين يشرع المعمر فى استعمال أساليب معفنة ، فيطلب إلى كل ممثل من ممثلى الأقلية المضطهدة أن يهلك ثلاثين

واحدا من السكان الأصليين أو مائة أو مائتين ، فإنه يلاحظ أنه ما من أحد يستنكر ذلك، حتى أن المشكلة كلها يلخصها عندئذ هذا السؤال : هل يمكن اتمام ذلك دفعة واحدة ، أم يجب اتمامه على فهذا التفكير الذى يتصور ، على أساس حسابى جدا ، زوال الشعب المستعمر لا يجعل المستعمر يستاء استياء أخلاقيا ، فلقد عرف دائما أن منازلاته مع المعمر ستدور فى ساحة مغلقة ، وهو لذلك لا يضيع وقته فى الشكوى والانتخاب ، ولا يكاد أبدا أن ينصف فى الإطار الاستعمارى ،والحق أنه إذا كانت حجج المعمر لا تهز المستعمر ، فلأن هذا المستعمر قد طرح مشكلة تحرره طرحا مماثلا:« لننظم أنفسنا فى فئات تتألف كل منها من مائتى شخص أو من خمسمائة ، ولتتول كل فئة من هذه الفئات أمر معمر واحد» . إن كلا من الخصمين المتصارعين انما يبدأ القتال وهو على تلك الحالة النفسية المشتركة بينهما.

وهذا العنف يمثل ، فى نظر المستعمر ، العمل المطلق . ولذلك فالمناضل هو الذى يعمل . إن الأسئلة التى تطرحها المنظمة على المناضل تحمل طابع هذه النظرة إلى الأمور : «أين عملت؟ مع من عملت؟ ماذا عملت؟» . إن الجماعة تطلب من كل فرد أن يحقق عملا لا يتراجع إلى وراء ففى الجزائر مثلا، حيث نرى أن الرجال الذين دعوا الشعب إلى الكفاح الوطنى كانوا جميعا على وجه التقريب محكومين بالاعدام أو ملاحقين من قبل الشرطة ، نلاحظ أن الثقة تتناسب مع مقدار ما فى كل حالة من يأس . إن المناضل الجديد يكون مضمونا إذا كان لا يستطيع أن يرتد إلى النظام الاستعمارى . ويظهر أن هذه الطريقة قد وجدت فى كينيا لدى الماو ماو الذين كانوا يطلبون من كل عضو من أعضاء الجماعة أن يضرب الضحية ، فكان كل عضو من هؤلاء الأعضاء مسئولا مسئولية شخصية عن موت الضحية . إن العمل يعنى العمل على اماتة المعمر . وهذا العنف يتيح للضالين والمطرودين من أفراد الجماعة أن يعودوا وأن يرجعوا إلى أمكنتهم وأن يرتدوا إلى الجماعة . إن العنف هو الطريقة المثلى . إن الإنسان المستعمر يتحرر فى العنف وبالعنف. إن هذا العمل يشئ طريق العامل ،لأنه يدله على الوسائل ويدله على الهدف . إن شعر سيزار ليكتسب من هذه الطريقة فى فهم العنف ، دلالة تجعله كالنبوءة ، ويحسن هنا أن ننقل صفحة حاسمة من صفحات مأساته ، صفحة يتحدث فيها «الثائر» عن نفسه:الثائر

اسمى : مذل ، اسم عائلتى :مهان ، حالتى : ثائر ،والسن :عصر الحجر.

الأم\جنسى : الجنس الإنسانى ، ديانتى :الأخوة

الثائر

جنسى الجنس المعذب ، وديانتى .. ولكن ما أنت من يهيئها بخلو يده من السلاح .وإنما أهيئها أنا ، بثورتى بقبضتى المشدودتين ورأسى الأشعث .

«بهدوء كبير»

ما زلت أذكر يوما من أيام تشرين الثانى ،كان عمره أقل من ستة أشهر ، ودخل المولى الغرفة المسودة بالشحار دخول قمر أحمر وجس أعضاءه المعروقة الصغيرة ،انه مولى طيب جدا . وطاف بيديه الضخمتين على وجهه المحفر يداعبه .كانت عيناه الزرقاوان تضحكان ،وكان فمه يتحداه بأشياء مسكرة .قال وهو ينظر إلى: ستكون حجرة جيدة ،وقال أيضا أشياء أخرى لطيفة ، هذا السيد ، قال إن عليه أن يتدبر الأمر ، وأن عشرين عاما ليست كثيرة من أجل خلق مسيحى طيب ،عبد طيب ، تابع مخلص ، خادم طيع ، حاد النظرة، قوى الذراع ،وتصور هذا الرجل مهد ابنى

مهد خادم.

وزحفنا والخناجر فى قبضة اليد.

الأم

ستموت ،واحسرتاه

الثائر

قتلته ..قتلته بيدى

نعم : قتلا خصبا متدفق الخيرات

كان الوقت ليلا .زحفنا بين شجرات قضب السكر

وكانت الخناجر تضحك للنجوم ، ولكننا كنا لا نبالى بالنجوم

وكانت شجرات قصب السكر تخدنّ وجوهنا بجداول من دموع خضر.

الأم

لقد حلمت بابن يغمض عينى أمه.

الثائر:

أثرت أن أفتح عينى على شمس أخرى.

الأم

واحسرتا عليك يا بنى ، ستموت شرميتة

الثائر

أماه ،بل خير ميتة.

الأم

لأنك كرهت فأسرفت

الثائر

بل لأننى أحببت فأسرفت

الأم

ارحمنى ، أغلالك تخنقنى ، جروحك تدمينى .

الثائر

العالم لا يرحمنى ... ليس فى العالم إنسان بائس يعدم ، ولا إنسان شقى يعذب ، إلا وأقتل فيه وأذل.

الأم

خلصه يا رب

الثائر

لن تخلصنى يا قلب من ذكرياتى

كان ذلك فى ذات مساء من شهر تشرين الثانى

وفجأة ومضت فى الصمت صيحات

كنا قد وثبنا ، نحن العبد ، نحن الأوغاد ، نحن البهائم الصابرة .

وأخذنا نركض كالمجانين .. ودوت طلقات الرصاص .. وأخذنا نضرب .العرق والدم يرطباننا . ضربنا بين الصرخات ، وازدادت أصوات الصرخات .وعلت صيحة فى جهة الشرق ، إنها المنازل الفخمة تحترق ، وتدفق اللهب هنيا عذبا على خدودنا.

وجاء دور الهجوم على منزل المولى

شددنا النوافذ

حطمنا الأبواب

انفتحت غرفة المولى كبيرة واسعة .الضوء فى غرفة المولى يسطع متلألئا .والمولى فى الغرفة ..إنه هادئ جدا .وتوقف رجالنا .. إنه المولى .. ودخلت أنا قال لى بهدوء كبير : أهذا أنت؟ فأجبته : نعم أنا، أنا نفسى : العبد الطيع ،العبد الأمين ، العبد العبيد، وفجأة أصبحت عيناه خنفسيتين مروعتين فى أيام المطر .وضربت ،فانبجس الدم: هذا هو التعميد الوحيد الذى أتذكره اليوم.

ان عنف النظام الاستعمارى .وعنف المستعمر ، يتوازنان ويتجاوبان فى تجانس مشترك .وسيطرة العنف هذه لابد أن تصبح أشد هولا كلما زاد عدد المستوطنين . إن اشتداد العنف لدى الشعب المستعمر سيكون متناسيا مع العنف الذى يمارسه النظام الاستعمارى المرفوض . إن حكومات البلاد المستعمرة هى فى المرحلة الأولى من فترة الثورة، مستعبدة للمعمرين ، فهؤلاء المعمرون يهددون المستعمرون ويهددون فى الوقت نفسه حكوماتهم .وسوف يستعملون فى محاربة هذه وأولئك طرائق واحدة بعينها .ان اغتيال عمدة ايفيان لا يختلف فى دوافعه عن اغتيال على بومنجل .إن المشكلة فى نظر المعمرين ليست الاختيار بين جزائر جزائرية وجزائر فرنسية ، بل بين جزائر مستقلة وجزائرة مستعمرة .وكل ما عدا ذلك كلام أو خيانة. إن منطق المعمر منطق حانق، ولست تستغرب المنطق المعاكس الذى يعبر عنه سلوك المستعمر إلا اذا كنت تدرك بوضوح آليات التفكير لدى المعمر . متى أختار المستعمر أن يواجه العنف بالعنف ، رأيت أعمال الانتقام البوليسية تستدعى على نحو آلى أعمال انتقام تقوم بها القوى الوطنية .ومع ذلك ليس هنالك تعادل فى النتائج . ذلك أن القصف بالرشاشات من الطائرات أو القصف بالمدافع من الأسطول ، يفوقان ردود المستعمر هولا ورهبة . ومن شأن تكرر الارهاب هذا أن يبدد الأوهام من رؤوس أكثر المستعمرين ضلالا وضياعا .فإنهم يلاحظون ملاحظة مباشرة أن جميع الخطب التى تلقى عن المساواة بين أفراد البشر .ويتكدس بعضها فوق بعض ، لا تخفى هذه الحقيقة المبذولة وهى أن الرجال السبعة الذين قتلوا أو جرحوا فى مضيق ساكامودى قد أثاروا استياء الضمائر المتحضرة ، على حين أن أحدا لم يعبأ بتدمير قرى جرجور وجرة ، ولا بذبح السكان الذين كانوا كانوا سبب الكمين . ارهاب وارهاب مقابل ،عنف وعنف مقابل ..ذلك ما يسجله المراقبون فى مرارة حين يصفون دائرة الحقد .الواضحة العنيدة فى الجزائر.

إن فى الكفاح المسلح شيئا يصح أن نسميه «النقطة التى لا عودة بعدها» .ونستطيع أن نقول أن الأمر الذى يحقق الوصول إلى هذه النقطة إنما هو أعمال القمع الضخمة التى تشمل جميع قطاعات الشعب المستعمر وهذه النقطة قد تم الوصول إليها فى الجزائر عام ١٩٥٥ حين وقعت الأحداث التى أودت باثنى عشر ألف ضحية فى

فيليبفيل ، وكذلك عام ١٩٥٦ حين أنشأ لاكوست ميليشيا المدن والأرياف.فعندئذ أدرك جميع الناس ، وأدرك المعمرون أنفسهم «أن الأمر لن يرجع بعد الآن إلى ما كان عليه» .على أن الشعب المستعمر لا «يفتح» حسابا بضحاياه . إنه يسجل الفراغ الضخم الذى حدث فى صفوفه من حيث أنه شرلابد منه ، لكنه ،وقد قرر أن يرد على العنف بالعنف ، يقبل جميع النتائج التى تترتب على ذلك .وكل ما يطلبه عندئذ هو أن لا يطالب «بفتح حساب» بضحايا الآخرين . إن المستعمر يرد على العبارة القائلة بأن «جميع السكان الأصليين سواء» بعبارة تقول: «إن جميع المعمرين سواء» .إن المستعمر لا يشكو أمره إلى أحد حين يعذبونه ، أو حين يقتلون امرأته أو يغتصبونها . إن للحكومة التى تمارس الاضطهاد أن تعين فى كل يوم لجان تحقيق . ولكن لجان التحقيق هذه لا وجود لها فى نظر المستعمر . هذه سبع سنين تقريبا تنقضى فى جرائم ترتكب بالجزائر ، دون أن يمثل فرنسى واحد أمام القضاء لأنه قتل جزائريا ، إن المستعمر ، سواء فى الهند الصينية أو فى مدغشقر ، أو سائر المستعمرات قد أدرك دائما أن عليه أن لا ينتظر شيئا من الضفة الأخرى ، إن العمل الذى يقوم به المعمر هو أن يجعل حتى أحلام المستعمر فى الحرية مستحيلة .والعمل الذى يقوم به المستعمر هو أن يتصور جميع الوسائل الممكنة لابادة المعمر . إن الانقسام الثنائى الذى أوجده المعمر قد ولد على مستوى التفكير انقساما ثنائيا فى ذهن المستعمر.

إن ظهور المعمر كان معناه لدى المستعمر موت المجتمع الأصلى ، وفناء أن الحياة لا يمكن أن تعود إلى الانبثاق إلا من جثة المعمر حين يصبح المعمر الثقافة القديمة ، وتجمد الحياة فى الأفراد ، فى آن معا .فالمستعمر يرى الآن جثة متفسخة .ذلكم هو التقابل الكامل بين تفكير المعمر وتفكير المستعمر.

غير أن هذا العنف ،لأنه العمل الوحيد الذى يقوم به الشعب المستعمر ، يكتسى طابعا ايجابيا انشائيا .فإن هذا الكفاح العنيف يجمع الأفراد ، إذ أن كل واحد منهم يصبح حلقة عنيفة فى السلسلة الكبرى ،فى الجسم الكبير العنيف الذى انبجس ردا على عنف الاستعمار ،فإذا الفئات المتخلفة يعرف بعضا بعضا ويلتقى بعضها ببعض ، وإذا الأمة المقبلة تكون منذ الآن كتلة غير منقسمة . إن الكفاح المسلح يعبئ الشعب ، أى يقذفه فى إتجاه وحيد ليس له ثان.

إن تعبئة الجماهير ، حين تتحقق بمناسبة حرب التحرير ، تبث فى ضمير كل فرد فكرة القضية المشتركة ،والمصير الوطنى والتاريخ القومى ،لذلك نرى المرحلة الثانية ، أى مرحلة بناء الأمة ، يسهلها وجود هذا الاندماج الذى عجن بالدم والحقد . وهنا نفهم أصالة الألفاظ المستعملة فى البلاد المتخلفة. لقد كان الشعب يدعى فى عهد الاستعمار إلى الكفاح ضد المستعمر الغاشم . حتى إذا تحقق التحرر الوطنى ،أصبح يدعى إلى الكفاح ضد الفقر ، ضد الأمية ، ضد التخلف الاقتصادى .فالكفاح يظل مستمرا ، ويتحقق الشعب من أن الحياة معركة دائما لا تنتهى.

قلنا إن العنف الذى يعمد إليه المستعمر يوحد الشعب .والواقع ان الاستعمار هو بحكم تركيبه يفرق صفوف يفرق صفوف الشعب ويغذى النزعة الاقليمية إن الاستعمار لا يكتفى بأن يعلم أن هناك قبائل ، وإنما هو يعزز وجود هذه القبائل ، ويفصل بعضها عن بعض ، ويميز بعضها عن بعض . إن النظام الاستعمارى يغذى الزعامات المحلية وينشط الانقسامات الدينية . ولكن العنف يوحد بين الأفراد على الصعيد القومى . وهو ذلك يحمل فى أرحامه بذور القضاء على الاقليمية والقبلية .ومن أجل هذا نرى الأحزاب الوطنية تقسو قسوة خاصة على الزعماء التقليديين ، أن تصفية هؤلاء الزعماء تمهيد لتوحيد الشعب.

والعنف يطهر الافراد من السموم .انه يخلص المستعمر من مركب النقص الذى يعيث فى نفسه فسادا ، ويحرره من موقف المشاهد أو اليائس انه يرد إليه شجاعته ، ويرد إليه اعتباره فى نظر نفسه .وحتى حين يكون الكفاح المسلح رمزيا .وحتى حين ينتهى بتصفية الاستعمار تصفية سريعة ، فإن الشعب يتسع وقته لأن يدرك أن هذا التحرير قد قام به جميع الأفراد وقام به كل فرد ، وأن القائد لا يمتاز بفضل خاص . إن العنف يرفع الشعب إلى مستوى القائد .ومن هنا كان ذلك النوع من الهجوم على الأداة البروتوكولية التى تبادر بعض الحكومات الفتية إلى استعمالها . إن الجماهير التى شاركت بالعنف فى التحرير الوطنى لا تسمح لأحد أن يعد نفسه« محرزا» . إنها حريصة أشد الحرص على ثمرة نضالها .وهى تحاذر أن تعهد بمستقبلها وقدرها ومصير شعبها إلى اله معبود . لقد كانت بالأمس غير مسئولة .ولكنها تريد اليوم أن تفهم كل شئ وأن تقرر كل شئ. إن الضمير الذى أضاءه العنف بنوره ، يستعصى على كل محاولة لتهدئة الخواطر . ولذلك فإن مهمة الدجالين والانتهازيين والسحرة ستكون مهمة شاقة . إن النضال الذى قذف بالجماهير إلى مهركة حامية يكسبها ميلا قويا إلى الأمور المحسوسة الملموسة ويصبح من المستحيل على أحد أن يضللها ويفتنها عن أمرها.

فرانز فانون فى سطور

* ولد فرانز فانون سنة ١٩٢٥ بـ« فور دى فرانس» فى جزر المارتينيك ، وتوفى بمرض سرطان الدم فى أحد مستشفيات واشنطن سنة ١٩٦١ ، وحملت طائرة ما جثمانه إلى تونس ، ومن هناك اخترق المجاهدون بنعشه الحدود مكفناً بالعلم الجزائرى ، ليدفنوه فى تراب الجزائر عند مرابض المقاتلين كما أراد.

* عانى فى بلده شعور المذلة والهوان من وجود الاستعمار الفرنسى ، درس الفلسفة والطب النفسى بمدينة ليون بفرنسا ، وكان أثناء دراسته يقوم بنشاط سياسى : يشارك فى أعمال طلبة المستعمرات ، ويتصل بالمناضلين السياسيين ، حتى إذا تخرج متخصصا فى الطب العقلى عين طبيبا للأمراض العقلية بمدينة بليدة بالجزائر.

* التحق بجبهة التحرير سنة ١٩٥٧ بعد أن قدم استقالته من منصبه كرئيس لمستشفى الأمراض العقلية فى رسالة رائعة تصف جريمة الاستعمار الغربى الذى يضيع الإنسان ويقتل إنسانيته.

* شارك الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فى بعض المهام: الإعلام والتمثيل الدبلوماسى.

* من آثاره : معذبو الأرض ، بشرات سوداء وأقنعة بيضاء ، والعام الخامس للثورة الجزائرية.

تحديث العقل العربى
دعوة مفتوحة لحوار نظرى

د. عاطف أحمد

لا أبالغ إذا قلت إن من أهم المسائل الفكرية التى شغلت تفكيرى لسنوات طويلة، مسألة تحديث العقل العربى وما يرتبط بها من إشكاليات وقضايا ذات مستويات وأنواع مختلفة.

وأعنى بالعقل العربى هنا: طريقتنا فى التفكير والانفعال والسلوك.

وأعنى بالحداثة: تبنى الفهم الحديث للفرد الإنسانى بوصفه كيانا مستقلا بذاته ومتساويا مع الآخرين جميعا، والتفكير المنطقى فى كل أمور الحياة، والانشغال بالتعامل الفعال مع الواقع من أجل فهمه وتفسيره وتغييره إلى الأفضل.

وأتصور أن عملية تحديث العقل العربى تتكون من ثلاثة عناصر على الأقل:

أولا: الاستيعاب النقدى للموروث الثقافى الدينى: ويمكن لتيار «الإسلام النقدى»، أن يلعب دورا فاعلا ومؤثرا فى المجال.

وثانيا: تبنى وتأصيل الموقف العلمانى: وأعنى بالعلمانية هنا، وكما أشرت في أكثر من مكان، موقفا من المعرفة يتسم بمعالجة المسائل التى يطرحها الواقع وفقا للمعطيات ومن خلال المفاهيم المستمدة من الخبرة الإنسانية العقلانية والعلمية والموضوعية، بذلك الواقع، وباستقلال تام عن أية سلطة معرفية تنسب لنفسها مرجعية فوق بشرية. والعلمانية ، بذلك المفهوم، ليست ضد الدين بحال من الأحوال، وإنما هى ضد الدينوية: أى محاولة إضفاء طابع دينى علي ما هو خارج

نطاق الدين، أي خارج نطاق المعتقد الايماني الشخصي والممارسة العبادية الشخصية المترتبة عليه.

وثالثا: التوصل من خلال الحوار المفتوح والخلاق إلى منظومة فكرية ما ، تتكون من فرضيات تفسيرية عريضة تتسم بقدرتها على تحليل وتعليل ظواهر الواقع بحيث تمكننا من السيطرة عليه وإعادة تشكيله بصورة أكثر إنسانية.

وهذا العنصر الأخير ه ما أود طرحه للحوار المفتوح لكافة المهتمين بالفكر النظرى من كتاب ومفكرين وباحثين ومثقفين وقراء علي السوء، وعلى تباين مواقفهم الفكرية وتوجهاتهم الأيديولوجية.

ولعل أكثرتلك المنظومات الفكرية شيوعا هى: المنظومة الليبرالية، والمنظومة الدينية، والمنظومة الماركسية.

فأما المنظومة الليبرالية، فقد أصبحت مهيمنة على مختلف المستويات. بل وامتد تأثيرها إلى المنظومات الأخرى. لكنها رغم ذلك، ومن بعض جوانبها علي الأقل، تلقى معارضة واسعة من جانب كثير من شعوب العالم الثالث على الأخص، حيث إن آثارها الاقتصادية بالذات تتعارض مع مصالح الغالبية العظمى من أفراد تلك الشعوب ومع العدالة الاجتماعية في الوقت نفسه وربما بسبب ذلك.

وأما المنظومة الدينية، فقد شهدت اهتماما واسعا لدى شعوب العالم الثالث. ربما كنوع من محاولة الدفا ع عن الهوية الثقافية المهددة بالاختراق، إن لم تكن بالضياع، أمام تدفقات القيم و المعلومات وأنماط الحياة الوافدة من الخارج. وربما كنوع من العزاء لما تعانيه تلك المجتمعات من إحباطات متزايدة دون حلول تلوح فى الأفق القريب أو حتى البعيد. وربما أيضا، بالنسبة للحكومات، كنوع من محاولة إضفاء الشرعية السياسية على نظم الحكم التى تفتقد إلى شرعية لدى شعوبها. وربما لتلك الأسباب مجتمعة، وهو الأرجح علي أنها تتسم بأنها ذات بيعة منغلقة تحول بينها وبين الانفتاح على مشكلات الواقع الحي، من ناحية وتحول من ناحية أخرى بين الباحث الموضوعي وبين الاقتراب منها بالقدر الكافى لفهمها وتحليلها.

أما المنظومة الماركسية والتى أتصور أنها ذات جدارة وذات إمكانات تفسيرية عالية، فقد عانت طويلا من هيمنة الصياغة السوفيتية، ثم لما تفكك الاتحاد السوفيتى ذاته، عانت أيضا – بسبب ذلك – من فقدان المصداقية علي المستوى العام، وإن كانت ، فى الوقت نفسه، تحررت من أحادية الصياغة وكشفت عن إمكانات نظرية خصبة وعن قدرات تفسيرية واسعة المدى.

وربما يكفي هنا، للتدليل على أهمية وجدارة النظرية الماركسية، أن أشير إلى تقييم أحد أشهر فلاسفة العلم المعاصرين والذى هو، فى الوقت نفسه، من أشد نقاد الماركسية، وهو كارل بوبر.

يقول بوبر: كان فكر ماركس فى كثير من مضمونه، ذا تأثير بالغ وواسع النطاق في جميع

مجالات العلوم الإنسانية بحيث إن التفكير في هذه العلوم قبل ماركس غيره بعده من وجوه كثيرة. وهذه الحقيقة تنطبق على من يتفقون ومن لا يتفقون معه من المشتغلين بهذه العلوم.

وقد كانت مواهب ماركس نظرية أساسا، وقد كرس حياته للدفاع عن التقدم الإنسانى مستخدما ما اعتقد أنه رؤية علمية.

وقد بنى ماركس على هذه الرؤية نبوءات عن مسار التاريخ لم تتحقق. لكن المسألة الأهم هنا هى أنه تعامل مع الرؤية التاريخية على أنها الطريقة العلمية للتعامل مع المشكلات بل إنه يذهب إلى أن : الأمر الجدير بالملاحظة هنا، هو أن المسار الذى اتخذه التطور التاريخى للرأسمالية جاء مخالفا، من بعض الزوايا على الأقل، لنبوءات ماركس. بل يمكن القول إن الثورة الاشتراكية السوفيتية كانت فى حد ذاتها تحديا لمسار الثورة الاجتماعية/ السياسية كما تصوره ماركس فى بعض كتاباته.

رغم ذلك، لا يملك إلا أن يعترف: بأن تبصرات ماركس وتحليلاته للظواهر الاجتماعية تظل قادرة على إلهام المشتغلين بالعلوم الإنسانية في كافة فروعها (راجع K.R Popper; The Open Society and its Enemies, Vol.2 Routlege)

فهذا إذن تقييم بوبر،وهو ليس متفردا فى إقراره بجدارة الماركسية فى العلوم الإنسانية. فكثير من الكتابات المعاصرة فى ذلك المجال لا تخلو من التأثيرات النظرية لتبصرات ماركس وتحليلاته. كذلك فثمة مناقشات ومراجعات تجرى على مختلف المستويات لقراءة ماركس فى ضوء جديد، خاصة فى أوربا وأمريكا اللاتينية.

وعلى الرغم من تلك المناقشات والمراجعات المتعددة والمتعمقة التى تشهدها قراءة الماركسية، فإننا فى عالمنا العربي، ظللنا محجسنين ضدها، متمسكين بتصوراتنا ومفاهيمنا القديمة أو تابعين لاتجاه أو أخر من الاتجاهات الغربية، دون أن تفتح الباب لمناقشات واسعة و راديكالية تطرح كل المسائل للبحث دون أية حساسيات أو تحزبات قديمة أو حديثة.

وسوف أحاول فيما يلى من أعداد، أن أعرض لواحدة على الأقل من تلك المحاولات، التى أرى أنها تتسم بالجدية والعمق، لطرح بعض الإشكاليات النظرية التى تنطوى عليها النظرية الماركسية. أعنى هذا، كتاب المفكر الماركسى البريطانى جورج لارين «المادية التاريخية: إعادة البناء» والذى صدر فى لندن عام ١٩٨٦ عن دارAllen& Unwin و المتوقع صدوره قريبا باللغه العربية.

ولست أهدف من ذلك إلى الدعوة لتبنى ما وصل إليه من نتائج، بقدر ما أهدف إلى التبصر بما عرض من إشكاليات وما طرح من تساؤلات، والتعرف على الطرق التى حاول من خلالها أن يعالج التناقضات والتوترات التى تكشف له فى كتابات ماركس.

ذلك أنى أتصور أن مثل ذلك التبصر من شأنه أن يسهم أولا فى استثارة قدرتنا على الوعى



والتحليل النظرى، وثانيا فى تغيير موقفنا من الماركسية بمعنى تحويلها لدينا من المستوى العقيدى شبه التقديسى الفرضيات التفسيرية التى هى - بحكم طبيعتها - قابلة

للصواب والخطأ. وهو المستوى الذى يسمح بالتالى بالاختلاف أو الاتفاق معه دون إدانة أخلاقية أو تجريم وطنى.

ولعل مصدر الإشكالية الرئيسية فى الماركسية هو طموحها إلى أن تكون تحليلا علميا صرفا (وفقا لمفهوم العلم فى القرن التاسع عشر) ومشروعا عمليا لتحرير البشرية فى وقت واحد، وربما دون أن تميز بوضوح بين هذين المستويين من التنظير.

فذلك التناقض بين الطبيعة العلمية والمشروع التحريرى،ربما كان هو المسئول عن بعض التوترات فى النظرية الماركسية. مثل تأسيس جدل الحياة الاجتماعية على جدل الطبيعة، وأولوية الوجود المادى على الوعى، وتحديد آلية التغير الاجتماعى فى قوى الانتاج، وحتمية التطور التاريخى وفق قوانين طبيعية.

ومثل تلك التوترات، وأصولها لدى ماركس وإنجلز، وكيفية تجاوزها من خلال المفهوم الماركسى للممارسة الاجتماعية التاريخية ، هى ما يعالجه لارين فى كتابه، وهى ما سأعرضها على التوالى فى أعداد قادمة

لاتصالح

أمل دنقل

لا تصالح!
.. ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقأ عينيك،
ثم أثبت جوهرتين مكانهما..
هل ترى..؟
هى أشياء لا تشترى..
ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،
حسكما – فجأة – بالرجولة،
هذا الحـيـاء الذى يكبت الشـوق.. حين تعانقه،
الصمت – مبتسمين – لتأنيب أمكما
وكأنكما
ما تزالان طفلين!
تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:
أن سيفان سيفك..
صوتان صوتك
أنك إن مت:
للبيت رب
وللطفل رب
هل يصير دمى – بين عينيك – دماء؟
أتنسى ردائي الملطخ..
تلبس فوق دمائى – ثيابا مطرزة بالقصب؟
إنها الحرب!
قد تثقل القلب..
لكن خلفك عار العرب..
لا تصالح..
ولا تتوخ الهرب!
ولا تصالح على الدم.. حتى بدم!
لا تصالح ! ولو قيل رأس برأس.
أكل الرؤوس سواء؟!
أقلب الغريب كقلب أخيك؟!
أعيناه عينا أخيك؟!
وهل تساوى يد.. سيفها كان لك [بيد سيفها أثكلك

سيقولون:
جئناك كى تحض الدم
جئناك كن – يا أمير – الحكم
سيقولون:
ها نحن أبناء عم
قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك
واغرس السيف فى جبهة الصحراء ..
إلى أن يجيب العدم..
إننى كنت لك..
فارسا..
وأخا..
وأبا.. وملك!
لا تصالح.. ولو حرمتك الرقاد
صرخات الندامة..
وتذكر..
(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السواد
ولأطفالهن الذين تخاصموا الابتسامة)
أن بنت أخيك «اليمامة»..
زهرة تتسربل – فى سنوات الصبا –
بثياب الحداد
كنت ، إن عدتُ:
تعدو على درج القصر.
تمسك ساقى عند نزولى..
فارفعهما – وهى ضاحكة
فوق ظهر الجواد
ها هى الآن .. صامتة–
حرمتها يد الغدر:
من كلمات أبيها،
ارتداء الثياب الجديدة.
من أن يكون لها – ذات يوم – أخ!
من أب يبسم فى عرسها..
وتعود إليه إذا الزوج أغضبها..
وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو أحضانه.
لينالوا الهدايا..
ويلهوا بلحيته (وهو مستسلم)
ويشدوا العمامة..
لا تصالح
فما ذنب تلك اليمامة
لترى العش محترقا.. فجأة.
وهى تجلس فوق الرماد؟!
لا تصالح..
ولو توجوك بتاج الإمارة..
كيف تخطو على جثة ابن أبيك..؟
وكيف تصير المليك..
علٰى أوجه البهجة المستعارة؟
كيف تنظر فى يد من صالحوك..
فلا تبصر إلا الدم..
في كل كف؟
إن سهما أتانى من الخلف..
سوف يجيئك من ألف خلف..
فالدم – الآن – صار وساما وشارة..
لا تصالح،
ولو توجوك بتاج الامارة..
إن عرشك : سيف
وسيفك: زيف
إذا لم تزن – بذؤابته – لحظات الشرف
واستطبت – الترف
لا تصالح
ولو قال من مال عند الصدام

«.. ما بنا طاقة لا متشاق الحسام»
عندما يملأ الحق قلبك:
تندلع النار إن تتنفس
ولسان الخيانة بخرس
لا تصالح.
ولو قيل ما قيل من كلمات السلام..
كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنس؟
كيف تنظر فى عينى امرأة..
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟
كيف تصبح فارسها فى الغرام؟
كيف ترجو غدا.. لوليد ينام.. .
- كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام..
وهو يكبر - بين يديك - بقلب منكس؟
لا تصالح..
ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام..
وأرو قلبك بالدم..
وارو التراب المقدس
وارو أسلافك الراقدين..
إلى أن ترد عليك العظام!
لا تصالح
ولو ناشدتك القبيلة..
باسم حزن «الجليلة»
أن تسوق الدهاء..
وتبدى - لمن قصدوك - القبول..
سيقولون:
ها أنت تطلب ثأرا يطول
فخذ - الان - ما تستطيع:
قليلا من الحب.
فى هذه السنوات القليلة
إنه ليس ثأرك وحدك
لكنه ثأر جيل فجيل
وغدا..
سوف يولد من يلبس الدرع كاملة،
يوقد النار شاملة،
يطلب الثأر،
يستولد الحق،
من أضلع المستحيل.
لا تصالح..
ولو قيل أن التصالح حيلة..
إنه الثأر ..
تبهت شعلته فى الضلوع..
وإذا ما توالت عليها الفصول..
ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الحياة الذليلة!
لا تصالح، ولو حذرتك النجوم..
ورمى لك كهانها بالنبأ..
كنت أغفر لو إننى مت..
ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ..
لم أكن غازيا،
لم أكن أتسلل قرب مضاربهم..
أو أحوم وراء النجوم..
لم أمد يدا لثمار الكروم..
أرض بستانهم لم أطأ..
لم يصح قاتلى بى:«أنتبه»!
كان يمشى معى..
ثم صافحنى ..
ثم سار قليلا..
ولكنه فى الغصون اختبأ!
فجأة:

ثقبتنى قشعريرة بين ضلعين..
واهتز قلبى – كفقاعة – وانفثأ!
وتحاملت، حتى احتملت على ساعدى..
فرأيت: ابن عمى الزنيم..
واقفاً يتشفى بوجه لئيم..
لم يكن فى يدى حربة..
أو سلاح قديم..
لم يكن غير غيظى الذى يتشكى الظمأ..
لا تصالح..
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة:
النجوم.. لميقاتها..
والطيور لأصواتها..
والرمال .. لذراتها..
والقتيل لطفلته الناظرة..
كل شئ تحطم فى لحظة عابرة:
الصبا – بهجة الأهل – صوت الحصان – التعرف بالضيف – همهمة القلب حين يرى برعما فى الحديقة يذوى – الصلاة لكى ينظر المطر الموسمى – مراوغة القلب حين يرى طائر الموت..
وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسدة
كل شئ تحطم فى نزوة فاجرة..
والذى اغتالنى: ليس ربا..
ليقتلنى .. بمشيئته..
ليس أنبل منى.. ليقتلنى بسكينته..
ليس أمهر منى .. ليقتلنى باستدارته الماكرة..
لا تصالح..
فما الصلح إلا معاهدة بين ندين..
(فى شرف القلب)
لا تنتقص [والذى اغتالنى محض لص..
سرق الأرض من بين يدى..
والصمت يطلق ضحكته الساخرة!
لا تصالح..
ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ..
والرجال التي ملأتها الشروخ..
هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد
وامتطاء العبيد..
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم،
وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ..
لا تصالح..
فليس سوى أن تريد..
أنت فارس هذا الزمان الوحيد..
وسواك.. المسوخ!
لا تصالح..
لا تصالح؟



قوس قزح

جماهيرية أمل دنقل

حلمى سالم

علاقة شعر أمل دنقل بالجماهير العريضة هى واحدة من أعمق العلاقات التى كوّنها الشعراء العرب بجماهيرهم عبر تاريخنا الأدبى الشعرى الحديث، بحيث يمكن أن نضعه إلى جانب بيرم التونسى وأحمد شوقى، فى دائرة الشعراء ذوى «الجماهيرية» الواسعة.

وإذا كان بيرم التونسى قد ساعدتْه فى تكوين هذه «الجماهيرية العريضة» اللغة العامية التى كانت أداته فى الإنشاء الشعرى، وقاطعةً له خطوات عديده فى شوط الاتصال الجماهيرى، فضلاً عن «وسيط» الغناء (أم كلثوم وغيرها) الذى حمل شعره على بساط الريح إلى كل أذن عربية.

وإذا كان أحمد شوقى قد ساعدته صلته بالقصر وبالنظام السياسى الاجتماعى والإعلامى والتعليمى (كان «الأهرام» ينشر قصيدته فى الصفحة الأولى صبيحة كتابتها، وكان شعره مقرّراً فى سائر مراحل التعليم)، فضلاً هن «وسيط الغناء» (أم كلثوم وغيرها) الذى حمل شعره على بساط الريح إلى كل أذن عربية.

فإن أمل دنقل قد كون «جماهيريته العريضة وهوخالى الوفاض من هذه العوامل المساعدة أو المؤثرات الخارجية التى عاونت بيرم وشوقى بل كان على الضد من بعض هذه العوامل:

لم يكتب بالعامية، إنما كتب بالعربية الفصحى بل والفصحى المكينة المتينة. ولم يكن متوائماً مع النظام السياسي والاجتماعى والإعلامى والتعليمي، بل كان معارضاً له متمرداً عليه، محجوباً وممنوعاً من الإعلام والتليفزيون والتعليم.

ذلك يعنى أن دنقل كوّن «جماهيريته العريضة بدون عوامل مساعدة، أى بمحض القدرة الذاتية لشعره.

يستطيع النقاد المتخصصون (ولستُ منهم) أن يرصدوا خصائص عديدة شكلت هذه الجماهيرية العريضة، لكننى - كشاعر - سأكتفى بوضع اليد على ثلاث خصائص أراها لعبت الدور الأساسى في تكوين جماهيرية دنقل العريضة.

أولى هذه الخصائص: اتكاء دنقل على التراث القديم (لاسيما العربى الإسلامى) مما وفّر أرضية عمومية أولية مشتركة بينه وبين القارئ وعلى هذه الأرضية المشتركة يستطيع أن ينوّع الشاعر المتمرد أشكال اتكائه على التراث:

استلهاماً أو نقداً، تناصّاً أو تعارضاً، قطعاً أو وصلاً، معاكسةً أو عصرية وكلها أشكال من الاتكاء توفر - على الحديث، الذى لن تخفى على القارئ الحصيف مقامرتُه الجريئةُ: الانطلاق من ماضيين (هما اللغة المكينة والتراث القديم) لصنع قصيدة معاصرة مشتبكة مع اللحظة الراهنة اشتباكاً مشتعلاً.

ثانية هذه الخصائص: اتصالُ دنقل بهموم وطنه ومواطنيه، الماسّة المباشرة، وتعبيره الصادق الصادم عن أشواق شعبه: فى الحرية التى تخلصه من ربقة المستعمر الخارجي ومن ربقة المستبد الداخلى على السواء، وفى العدل الذى يقيه ذل لقمة العيش ويمنح الإنسان كرامة الإنسان.

وقد وصل ذلك التماس الحار بهموم الوطن وأشواق المواطن إلى لحظات ذروة عديدة بلغ فيها مبلغ «التنبؤ» الذي ينتج عن نفاذ البصيرة وصدقية الرؤية، على النحو الذى جعله يحذر من الجيوش الغازية، بلسان (وعيون) زرقاء اليمامة، وجعله ينبّه شعبه مرارا إلى أن الطوابير التى تصطف فى عيد الجلاء لا تصنع انتصاراء وأن الرصاصة التى ندفع فيها ثمن الكسرة والدواء لا تقتل الأعداء، إنما تقتلنا نحن إن رفعنا صوتنا جهارا، وجعله يحذر قادته السياسيين ومواطنيه العاديين من أن«يصالحوا» العدو، لأن فى مصالحته الموت والهوان والخراب. وكل ما حذر منه الشاعر قد حدث، وشواهدنا على ذلك أكبر من الإحصاء.

ثالثة هذه الخصائص: التضفيرة الموفقة التى نسجها الشاعر بين «الموقف السياسى الاجتماعى الناصع» و «التشكيل الفنى الجمالى القيّم»، متفادياً بذلك الوقوعَ فى أحد المزلقين الشهيرين: مزلق إعلاء المضمون الثورى المضئ على حساب التشكيل الفنى الرفيع، أومزلق إعلاء التشكيل الفنى الرفيع على المضمون الثورى المضئ لقدنجح الشاعر فى تلك الموازنة الرهيفة بين الموقف الناصع والتقنية العالية، النجاح الذى يعزُّ على الكثيرين.

نحن، إذن، فى حاجة دائمة إلى أمل دنقل.

شهادة



ويقتل أبناءه الشعر

عبد المنعم عواد يوسف

لا أعتقد أن هناك شاعراً آخر من شعراء مرحلة ما بعد جيل الرواد قد بلغ ما بلغه الشاعر الكبير الراحل أمل دنقل من قوة التأثير فى مجرى شعرنا المصرى الحديث.

لقد ارتفع هذا الشاعر المتفرد إلى مستوى رفيع من الإبداع الشعرى لم يبلغه غيره ، من حيث المضمون الفكرى والصياغة الفنية.

ولا أحسب أن فى شعرنا المصرى -خاصة- والعربى- بشكل عام- قصائد كثيرة تصل إلى عمق التأثير الذى بلغته مجموعة متميزة من قصائدس شاعرنا الكبير مثل :البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ، ولا تصالح ، ويا أبانا الذى فى المباحث ، والكعكة الحجرية وغيرها.

لقد حقق أمل دنقل فى أمثال هذه القصائد ما يصبو إلى تحقيقه الشعراء الحقيقيون من وصول إلى حل المعادلة الصعبة والتى تتبلور فى تقديم أدب تحريضى يتبنى القضايا القومية والوطنية دون التفريط فى الآليات الفنية التى تجعل من الشعر إبداعا حقيقيا يتضمن كل عناصر الفن الجميل.

ملأ أمل دنقل الساحة الشعرية منذ أوائل الستينيات بحضوره القوى فى كل تجمعات الأدباء والمثقفين والتى لا تخلو منهم أماكن معينة فى وسط البلد وميدان التحرير وشارع قصر العينى مثل: إيزافتش وريش وأتيليه القاهرة، والجوريون ودار الأدباء ولاباس وغيرها.

كان أمل دنقل يتنقل بين هذه الأماكن ومعه قصائده التى يقبل على الاستماع إليها رواد هذه الأماكن



بحماس شديد.

وكان التجاوب بينه وبين المتلقى عميقا لأنه وجد فى شعره ما يتوق إليه من أدب يحقق المتعة والالتزام بالقضية الوطنية فى الوقت ذاته.

بدأ ظهور أمل دنقل على الساحة الثقافية منذ أوائل الستينيات -كما ذكرت- وبدأ بقصائد عمودية ذات مذاق خاص، ثم تحول إلى القصيدة التفعيلية مفجرا كل طاقات الإبداع فى هذا الشكل الجديد.

وربطتنى به منذ ظهر على الساحة الثقافية صداقة أعتز بها وكثيرا ما كان يطلب منى سماع قصائد بعينها من شعرى، ولعل هذا يفسر تضمينه لجزء من قصيدتى «وكما يموت الناس مات» فى مقطع من قصيدته «مقتل القمر» وهو الأمر الذى أشار إليه ناقد سورى فى مجلة «الأسبوع الأدبى» التى يصدرها اتحاد الكتاب قائلا: إن أمل دنقل تأثر فى هذه القصيدة بشعر عبد المنعم عواد يوسف، وأنا لا أرى فى الأمر تأثرا بقدر ما هو عناق فنى بين شاعرين صديقين.

وأمل دنقل لم يكن يكتب الشعر، وإنما كان يعيشه، وهو يستهلك حياته فى الوقت ذاته، وهذا ما عبرت عنه فى إحدى القصيدتين اللتين كتبتهما فى رثاء الشاعر الصديق:

ويقتل أبناءه الشعر
يقتل أبناء
من سوى الشعر يقتل أبناءه
يتغذى على جثث من بنيه
من غيره الشعر يطرح عبر دروب الردى عاشقيه
ومن غيره الشعر يغرز مدينة فى قلوب المحبين،
يشربهم قطرة قطرة.
آه هذى دماؤهمو ملء فيه
ضحاياه، نحن أحباؤه، لعنة تلك
نبنيه، يهدمنا
همّنا الشعر، لسنا وإن ننزلق فى مهاوى الردى طارحيه

محاولة للرؤية
سينما " داود عبد السيد "

محمد رجاء

فى إطار برنامجه " المخرج المؤلف" قام المركز الفرنسى للثقافة والتعاون بالمنيرة باختيار اثنين من المخرجين الذين يكتبون أعمالهم السينمائية وهما :- من فرنسا " أريك دومير " ، ومن مصر " داود عبد السيد " ، وقدم المركز المخرج المصرى على النحو التالى :

" داود عبد السيد " السيناريست والمخرج المصرى ولد فى القاهرة عام ١٩٤٦ ، وحصل على بكالوريوس المعهد العالى للسينما عام ١٩٦٧، بدأ مشواره السينمائى باخراج العديد من الأفلام القصيرة قبل أن يقوم بكتابة وإخراج أول فيلم روائى طويل عام ١٩٨٥ وهو " الصعاليك " والذى يعد من أفضل ما أنتجه جيل السينما المصرية الجديد) ولكن بالرغم من ذلك فلم يقوم المركز بعرض أول أفلامه " الصعاليك " وثانى أفلامه " البحث عن سيد مرزوق " وتم عرض المركز خمسة أفلام لداود وهى على التوالى – كما عرضها المركز – (الكيت كات ، سارق الفرح ، أرض الأحلام ، أرض الخوف ، مواطن ومخبر وحرامى) والتى تعتبر بالإضافة إلى العملين السالف ذكرهما حصيلة أعمال " داود " الروائية الطويلة خلال ثمانية عشر عاماً. وهذه محاولة للإمساك برؤية داود عبد السيد فى أفلامه الروائية السبعة.

شهد العالم تغيرات جذرية طرأت على النواحى كافة فى العقدين السالفين ، كان من شأن هذه التغيرات أن تصيب قوالب التعبير السينمائى فى مصر عقد الثمانينيات ، حيث ظهر إتجاه سينمائى جديد بعيد النظرة عميق التجربة ، اتفق النقاد على تسميته الواقعية الجديدة (امتداداً لواقعية الثلاثينيات " كمال سليم ، كامل التلمسانى " ، وواقعية الخمسينيات والستينيات " توفيق صالح ، صلاح أبو سيف ") ، ظهر ذلك الإتجاه الواقعى كرد فعل طبيعى لتلك التغيرات التى هى فى الأساس إنعكاس لسياسة الانفتاح الإقتصادى ، وظهور أشباح الرأسمالية ، ومن أبرز مخرجى هذا الإتجاه " داود عبد السيد " الذى عبر عن سياسة الانفتاح تلك بشكل مباشر من خلال فيلمه الأول (الصعاليك) ١٩٨٥ ، والمتابع لإنتاج " داود " يكتشف أن الصعاليك هو الفيلم الوحيد الذى يمكن الخروج منه بقراءة واحدة وهى الرغبة فى كشف مجتمع الإنفتاح ، وتعرية سادة اليوم / صعاليك الأمس ، وبخلاف هذه التجربة تأتى جميع أعمال " داود " متعددة المستويات عند التلقى ، مختلفة التفسيرات عند التحليل ، وهى على التوالى (البحث عن سيد مرزوق ، الكيت كات ، أرض الأحلام ، سارق الفرح ، أرض الخوف ، مواطن ومخبر وحرامى).

ويمكن القول بأن " نقد الواقع الإجتماعى من خلال النظام الرأسمالى السائد " خيط واحد يربط جميع أعمال " داود " حيث يتناول ذلك فى كل فيلم من زاوية مختلفة :- فنجده يظهر مدى تحقير الرأسمالية للإنسان ودورها فى اختفاء قيمة الصداقة ، والعلاقات الحميمة فى (الصعاليك) ، فى حين يرصد واقع المهمشين فى ظلها من خلال (الكيت كات ، سارق الفرح) حيث صرح على لسان " الشيخ حسنى"(الكيت كات) إنها مشكلة الناس اللى عايشه ولازم تعيش " ، وعلى صعيد آخر يكشف مدى قدرة الرأسمالية على أن تخلق عالماً غامضاً يعيش فيه الإنسان غريباً أو غافلاً فى فيلم (البحث عن سيد مرزوق) ، ومن جهة أخرى يؤكد على دور تلك الرأسمالية فى اتساع نطاق التجارة المحرمة (المخدرات) التى كانت موضوع فيلمه (أرض الخوف) ، وأخيراً يرصد تطورات الجوانب الثقافية ، والإنسانية التى اتسمت بالفوضى والعشوائية فى الأونة الأخيرة عن طريق ظهور قيم جديدة مثل الرغبة فى الهجرة أو الهروب من الواقع ، وارتفاع قيمة كل ماهو مادى (أرض الأحلام ، مواطن ومخبر وحرامى) ، وقد ظهر فى (مواطن ومخبر وحرامى) قدرة النظام السائد فى التسلل لحياة الإنسان شاء أم أبى ، وبالرغم من هذه النظرة السريعة فان التسليم بها فحسب يجعلها نظرة مخلة ، حيث تمتد رؤية " داود " إلى ماهو أبعد من ذلك ، فهو يعبر عن إنسان فقد إنسانيته ، وتنازل عن أحلامه ، وأصبح سجين نفسه قبل أى شئ آخر ، بصرف النظر عن تجديد نظام بعينه أو زمان أو مكان ، وقد ظهر ذلك فى أكمل صورة من خلال شخصية " ركبة " فيلم (سارق الفرح) الذى يريد أن يطير ويتخلص من القيود المادية كامه، والأرض التى يضربها بعصاه كلما مشى ، ولكن قانون الجاذبية يحول دون تحقيق رغبته ، بل ويكون سبباً فى وفاته عندما يحاول الطيران للمرة الأولى فى حياته ، ويظهر أيضاً تعبير " داود" عن الإنسان المتردد الذى تنازل عن أحلامه ورغباته وإنسانيته فى سبيل أشياء مادية " البسبور وتذكرة السفر إلى أمريكا " فيلم (أرض الأحلام) ، كذلك " التقارير" فيلم (أرض الخوف) ، ففى هذين الفيلمين أخذت الشخصيات الرئيسية تبحث عن أشياء مادية قريبة منها دون أن تبحث عن شئ أهم من ذلك المادى هو أن تبحث عن ذاتها .. ويمكن إرجاع هذا التشابه الواضح فى التعبير عن الإنسان إلى أن " داود " يعتمد على " تيمات " محددة مثل (الغربة ، الوحدة ، القدر ، الحنين إلى أمجاد الماضى ، التحرر من القيود ، الرغبة فى تحقيق المستحيل ، .. إلخ) ويوظف هذه التيمات فى كل فيلم حسب مضمون الفيلم وطبيعته.

ومن خلال الربط بين هذه " التيمات " نخلص إلى أمرين :-

الأول :- أن " داود " شاهد على العالم وليس حاكماً عليه لأنه صاحب رؤية كلية ، لايتبنى موقفاً بعينه بدافع

عنه ، ويظهر ذلك من خلال عدم تعمقه فى دراما الحدث بقدر إصراره على تعرية دوافعه وأسبابه (كما جاء فى فيلم " الكيت كات " حيث خلق عالماً محدود المساحة ، يزخر بالعديد من الحواديت والمتناقضات ، وبالرغم من ذلك لم يخض فى دراما إحدى هذه الحواديت ، بل ركز فى المستوى الأول على الروابط التى تجمع شخوصها) وتظهر رؤيته الكلية تلك من خلال استخدامه لزوايا مرتفعة فى التصوير بين الحين والآخر ، وموسيقى قد لاتتفق مع اعتمالات الشخصية بقدر ماتخلق الحالة العامة الناقدة للموقف ، مما يجعل المشاهد يتوحد مع التجربة ككل وليس مع إحدى الشخصيات فحسب ، ولعل فكرة (الراوى) التى استخدمها فى فيلميه الأخيرين خير دليل على أنه شاهد فقط ولايحاول أن يفرض وجهة نظرة على مشاهدى سينماه . أما الأمر الثانى:- فيتمثل فى قدرته على خلط الحلم بالواقع سواء بطريقة مباشرة (البحث عن سيد مرزوق) أو بطريقة رمزية (أرض الأحلام ، أرض الخوف) ولهذا لايستطيع المشاهد - أيضاً - أن يحكم على الأشياء حيث يصبح الواقع فى الفيلم لديه حلماً لايحكمه منطق محدد، وإنما تتتابع فيه الصور والأحداث والخبرات بشكل عفوى دون اللجوء إلى معيار يمكن القياس عليه ، تماماً كما يحدث فى الأحلام.

وبما أنه قد قام بكتابة سيناريو جميع أعماله - عدا فيلم " أرض الأحلام " الذى كتبه هانى فوزى - نجد أنه اتبع بناءً خاصاً ظهر فى هذه الأعمال ، حيث يهتم أولاً بالشخصيات ، ينفذ إلى مناطقها المعتمة ، ثم يفرد لهذه المناطق الإطار العام الذى تتحرك فيه الشخصيات ، لذا يلجأ " داود " فى بعض الأحيان إلى التغريب ، واللامعقول ، وتسطيح بعض القيم حتى يبدو عالم هذه الشخصيات معتماً غامضاً ، فتقوم بدورها بطرح بعض الأسئلة - أغلبها يتمثل فى " ليه ؟" وقد تأتى بشكل ملفوظ فى كثير فى الأحيان ومع تصاعد الخط الدرامى تتحد جميع الأسئلة لتقوم بصياغة التساؤل العام للعمل الفنى ، ولهذا تأتى شخصيات " داود" فى البداية مشتتة ، مترددة لاتتحدد لنفسها هدفاً ، سلبية لاتتخذ أية مواقف - وقد عبر عن ذلك بصورة مباشرة فى (أرض الأحلام) حيث تصطدم " نرجس" (الشخصية الرئيسية فى الفيلم) بسيارتها فى كل مرة تحاول فيها القيادة - وبعد التجربة التى تعيشها الشخصيات نجد فارقاً كبيراً بين بناء الشخصية قبل وبعد التجربة ، وعلى سبيل المثال نجد " يوسف كمال " (الشخصية الرئيسية فى فيلم " البحث عن سيد مرزوق ") يتساءل قرب نهاية الأحداث كيف يستطيع الرجوع إلى حياته الأولى بعد تجربة ليلة طويلة قاسية غيرت لديه العديد من المفاهيم ؟ ، ولا أدل على ذلك إلا التغير الذى يطرأ على شخصيات " داود " من خلال فيلميه الأخيرين (أرض الخوف ، مواطن ومخبر وحرامى) خاصة أن الأحداث فى كليهما تقع فى فترة زمنية طويلة إلى حد ما .

إن التشكيل المرئى فى سينما " داود عبد السيد " يعتبر من أبرع ماقدم على شاشة السينما المصرية خلال تاريخها الطويل . وأعتقد أنه توصل إلى هذه الصيغة المرئية شديدة الحساسية من خلال إحساسه العميق بأدق تفاصيل المضمون إذ لاتوجد لديه زوائد فيلمية، ولاعشوائية فى اختيار زوايا التصوير ، أو توزيع الإضاءة ، أو طريقة الانتقال بين المشاهد أو اللقطات (قطع ، مزج ، إختفاء ، ظهور) ... إلى آخر هذه العناصر الفنية . بل نرى أن كلا منها موظف حسب أهميته فى إثراء السياق الدرامى للأحداث ، وإبراز البعد النفسى للشخصيات. ويحاول " داود عبد السيد " من خلال أفلامه أن يخلق صورة سينمائية تشبه الصورة الضبابية التى عانى منها (" يحيى" الشخصية الرئيسية فى فيلم أرض الخوف) حيث تكونت هذه الصورة الضبابية من جراء اختلاط :- الأحلام والأوهام بالحقائق . إن التصوير الحالم - خاصة فى فيلم " الكيت كات" يرصد أبعاد المكان ، ويقوى الروابط بين الشخصيات وكل مايقع فى إطار شاشة العرض من جهة ، وبين الحالة النفسية المسيطرة من جهة أخرى . قد تكون الحركة الهادئة للشخصيات وكاميرا التصوير ، والتدفق الحالم للأحداث فى أفلام " داود" لرد فعل للإيقاع السريع الذى خلقه مجتمع رأسمالى ديناميكى على أعلى مستوى . كما ساهم فى خلق هذه اللغة



السينمائية الهادئة طول المدة الزمنية للقطة الواحدة – التى قد تتجاوز الدقيقة والنصف – حيث يعتمد مخرجنا على التأمل الدقيق فى تشكيل الصورة بحيث يتمكن المشاهد من مشاركة الشخصيات لتجاربها . جاءت هذه النزعة التشكيلية فى أبرع صورها فى فيلم (سارق الفرح) حيث استغل اتساع الأفق فى الخلفية كنوع من الترجمة الرمزية لمضمون الفيلم ، حيث تكونت الخلفية من :- ١- سماء صافية يريد " ركبة" الانطلاق إليها ، ٢- " سلويت " لبعض المبانى الضخمة قد تكون رمزاً لمظهر معمارى أنتجته الرأسمالية ، ٣- " سلويت " مبنى الاذاعة والتليفزيون حيث وصف المبنى وكأنه أداة للحصار المفروض على شخصيات الفيلم وذلك عندما زاوج ظهور المبنى إحدى أغانى الفيلم التى عبرت عن هذا الحصار ، ٤- إظهار بعض السيارات التى تسير بسرعة كبيرة فى طرقات طويلة على وجه مناقض لإيقاع حياة الشخصيات الهامشية التى تأتى فى مقدمة الصورة والتى تعيش رغم توقف الحياة ، وعبر عن هذا (التوقف) أيضاً من خلال إحدى أغانى الفيلم (اليوم يجر اليوم ، وإحنا لسه زى ما إحنا) ، وعلى صعيد آخر نجد قدرته على توظيف زوايا التصوير والعدسات المختلفة لإبراز المعنى والتأكيد عليه ، وعلى سبيل المثال :- فى فيلم (أرض الخوف) استخدم أسلوبا فى التصوير خلق بطئاً نسبياً فى حركة الشخصيات التى تأتى من عمق الصورة إلى مقدمتها فيما يعرف " بضغط المسافات فى عمق الصورة " هذا ليخلق بعداً زمنياً بين المشاهد ، وبين الأحداث التى يريد " داود " من خلالها إعادة تشكيل العالم ، فعن طريق العميل " آدم " الذى أكد على هويته بتناوله للتفاحة ، وعن طريق " موسى" الذى كرر أكثر من مرة أنه (رسول) مكلف بتوصيل الرسائل من وإلى الجهات المختصة حاول " داود " أن يعيد تشكيل عالمه ، ولعل من أهم العناصر الفنية فى أعمال " داود"هى موسيقى " راجح داود" التى يمكن اعتبارها – بثقة – المدخل الأول لعالم " داود عبد السيد " السينمائى ، حيث تأتى الموسيقى دائماً للتمهيد لإيقاع الفيلم ، وتعبر بالدرجة الأولى عن وجهة نظر المخرج ، وتجعل المشاهد يتعرف عليها بعمق ، كذلك فان الموسيقى تساعد المشاهد فى التوصل إلى صياغة التساؤل العام لكل أفلام " داود عبد السيد " الذى يأخذ دائماً صيغة لماذا ؟ هذا التساؤل هو غاية " داود " التى يصنع من أجلها أفلاماً.

يحاول " داود عبد السيد " أن يصل بأفلامه إلى صياغة عالم مختلف ، لخصه بشكل صريح فى مشهد من مشاهد فيلمه الرابع (أرض الأحلام) على لسان أحد الدجالين الذى قال :- " عالم آخر ، عالم يقترب أكثر إلى المعرفة الكلية ، عالم تتحرر فيه الأرواح ، ولايشبه العالم المادى المحدود " الذى أصبح يعيشه الإنسان فى مجتمع بلا إنسانية.

من السويس إلى بغداد

فتحى زين العابدين .. سلام عليك

اشرف السركى

العجيب فى الأمر هو أن معرفتى بالعراق .. بدأت فى تشيكوسلوفاكيا على بعد آلاف الأميال من بغداد والقاهرة .. فقد كان الخروج الأول لى .. والعتبة الأولى لاكتشاف العالم .. وذلك عندما أرسلت فى منحة دراسية لدراسة آلة الكمان من أوركسترا القاهرة السيمفونى إلى أكاديمية الفنون ببراغ. لم يمض على وجودى شهر حتى قامت حرب أكتوبر المجيدة ووجدتنى فى نفس اللحظة تجمعنى غرفة صغيرة فى المدينة الجامعية مع " فتحى زين العابدين " دارس المسرح والعراقى الجنسية وكأننا على موعد-حيث مهدت أحداث الحرب علاقتنا وتركت فى نفسى حتى اليوم أبلغ التأثير . كان لقاءً حميماً بين النيل والفرات حيث أخذنى زين العابدين إلى عوالم موسيقية وغنائية عراقية لم أكن أحلم بها .. فما حملته معى من القاهرة عن الثقافة الأسيوية قليلا جداً .. وفجأة وجدت نفسى أمام تجربة موسيقية وغنائية ذات مواصفات خاصة جداً من جميع الأوجه.آليا ومقامياً واداءً وقالبياً ومستوى تذوق رفيع فالعراق كبوابة شرقية للثقافة العربية يبدأ عندها فقط استلهام الموروث الموسيقى والغنائى الأسيوى وهو موروث يعتمد على الآلة والقالب والكونسير والغناء الذى يمثله مغنى شعبى يتميز بامكانات مهولة فى الأداء والاقتدار اللغوى إضافة إلى الاعتماد المطلق على المقامات .. نستمع الموسيقى الآلية العراقية من نفس نوعية المستمع الأوروبى من أبسط لأرقى الناس يجلسون ساعات يستمعون باستمتاع لسماع حفلة كونسير للعود مثلاً مثلماً يجلس ليستمع لمغنى محبوب لديه بلا ملل .. ولقد أفلت الوجدان العراقى من أسر الثقافة التركية وصنع موسيقاه وغناءه الخاص من وقت بعيد عكس التجربة المصرية التى تأثرت بالغناء التركى والموسيقى التركية ولا نقول جديداً إذا قلنا إن غناء سيد درويش

والاجتهادات الموسيقية لعبد الوهاب هى التى خلصت التجربة المصرية من الأسر التركى فى الغناء والموسيقى.

فلأول مرة استمعت لموسيقى آلية عربية من اسطوانات فتحى زين العابدين وحفلات الجالية العراقية التى كان يحييها مشاهير العازفين أمثال منير بشير وجميل بشير .. واكتشفت شيئا غريبا وهو أن هناك مقطعاً شهيراً يحييها من مقام الحجاز نستمع إليه فى الاذاعة والتليفزيون المصرى يطالعنا خمس مرات يومياً فى التحضير للأذان يعزفه على العود منير بشير ومعظمنا لايعرف ذلك ، وقد جربت حالات أخرى وآلات أخرى إلا أن عزف منير بشير كان أكثر أثراً وأبلغ تعبيراً لتهيئة المستمع للأذان..

ولاتقل الآلات العراقية الأخرى مثل الصاص والبزق والناى والمزمار وغيرها أهمية فى التعبير موسيقيا عن الشخصية العراقية . .

وعلى جانب الغناء جسد المغنى الشعبى المثل الأعلى عند المتلقى العراقى وتجسد ذلك فى أعلى صوره فى المغنى الفذ " ناظم الغزالى " وهناك كثيرون سبقوه وعاصروه ، إلا أن ناظم الغزالى تخطى حدود بلده وأصبح بلا منازع علما من أعلام الغناء العربى.

فاعتمد ناظم على الموال والارتجال والموروث الشعبى واللغة المحلية والتاريخ الشعرى العراقى وفى الشام حقق هذه الحالة "صباح فخرى" إلا أننا فى مصر افتقدنا هذه الحالة فآخر المغنين الشعبيين الكبار هو محمد أفندى العربى الذى عاصر ثورة ١٩١٩ التى كرست لمثل أعلى مغاير وقد عاصرت آخر ماتبقى من المغنين الشعبيين العظام وهو " على أبو حجى " الذى مات منذ سنوات قليلة فى السويس عن عمر يناهز الخامسة والثمانين والذى يمثل فى رأيى أعلى درجات الاقتدار فى الغناء المصرى وله شريطان مسجلان فى صوت القاهرة يمكن الرجوع إليهما .. ونعلم أن ملايين المصريين عاشوا لسنوات فى العراق ورغم اختلاف اللهجة الا أنهم عادوا جميعا بشرائط لناظم الغزالى ومايعنينى فى هذه الحالة أن بسطاء المصريين من مزارعين وحرفيين وجدوا فى ناظم الغزالى ضالتهم .. وهذا مايفسر حالة القبول الشعبى التى حققها كل من نصير شمة وكاظم الساهر فى مصر .. فرغم أن نصير شمه دخل مصر بشكل فوقى وفرضته الأجهزة (الأوبرا) إلا أننى أعتبر أنها الحسنة الوحيدة التى فعلتها وقد استمعت بنفسى لعبارات الندم من المسئولين الذين أتوا به لأنهم كانوا يريدون الاتجار به لحسابهم إلا أن الشعب المصرى التهمه التهاماً هو وعوده وأصبح نصير شمه عطرا مصرياً أصيلا تشمه فى الصباح والمساء ويكفى أنه أصبح الدموع التى يذرفها التلفزيون المصرى فى الظروف التى نعيشها الآن وبطبيعة الحال سبب نصير هزة عنيفة للموسيقيين المصريين مما جعلهم يعادونه بعنف وللأسف لا أجد منهم من يستطيع أن يعلن عن رأيه صراحة والسؤال الآن لماذا نجح نصير؟ ..

والاجابة سهلة ذلك أن المصريين طال شوقهم إلى الاستماع للعزف الفردى وخصوصاً العود فمنذ فريد لم يشبع هذا الشوق إلا هذا النصير، ومنذ فريد وللآن ارتقى الذوق المصرى فى تذوق الموسيقى والسؤال المنطقى الآن هو أين الموسيقيون المصريون البارعون طيلة هذه السنوات الطوال .. للأسف كانوا مشغولين بأموال النفط فقد احتكرت الأغنية الخليجية العازف المصرى وفصلته عن المصريين

تماماً فلم يهتم هذا العازف بموسيقى بلده أو غناء بلده إلا فى النادر فلم نسمع منسى جديد أو عبده صالح جديد أو حفناوى جديد أو عفت جديد أو أو (باستثناء عبده داغر الذى حوصر حتى الاختناق ولم يجد متنفسا لعبقريته الفردية على الكمان إلا فى أوروبا التى قدرته)

ذلك أن حجم إنتاج الأغنية الخليجية فى مصر يفوق الطاقة الآلية عند العازفين بل وصلت الدرجة أن معظم العازفين الماهرين فتحوا استوديوهات لتنفيذ هذه الأعمال الخليجية بأعلى الأسعار وقد احتكر صفوة العازفين المهرة الغالبية من الأعمال الخليجية لدرجة أن المغنى الخليجي يحجز دوره عند هذه المجاميع ولايرضى بغيرها لتسجيل أعماله مقابل أرقام فلكية .. ولانجد هؤلاء العازفين إلا فى المهرجانات والحفلات الكلاسيكية يعزفون أغاني شهيرة وذلك ذراً للرماد فى الأعين .. فى هذا الجو الآشن هبط على مصر هذا الملاك الأشورى ليغسل أرواحنا ويطهرها من الأصوات الكهربية التى كرس لها كبار ملحنينا للأسف ويعيد للمقام العربى هيبته ومكانته التى فقدها على يد جرائم ملحنينا فى استخدامهم للآلات الكهربية وفى الجانب الآخر التدمير للمقامات التى أحدثته فرق الأوبرا ..

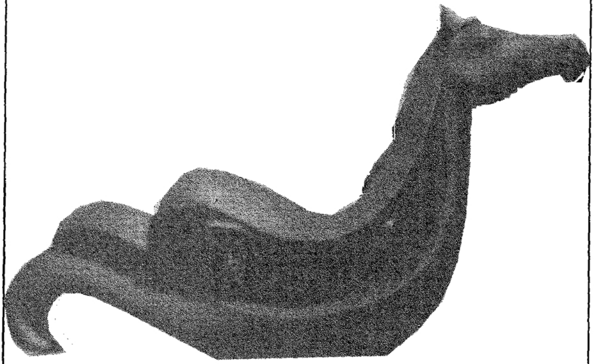
هذا عن القبول الطوعى الشعبى لعود نصير شمه الذى ورث الموسيقى العراقية وتمثل كل رموزها الكبار ..

فماذا عن كاظم الساهر .. فنعود مرة أخرى لفريد الأطرش فمنذ فريد لم يستطع ملحن غير مصرى أن يحقق ماحققه كاظم وهذا مايهمنى فى تجربته إضافة إلى أدائه .. صحيح أن المصريين استقبلوا بترحاب ملحنين عرب كبار من الخليج الى المحيط ولكن لم يحظ منهم بهذه المكانة التى حققها فريد الأطرش إلا كاظم الساهر .. ونطرح السؤال مرة أخرى لماذا نجح كاظم الساهر؟؟

والاجابة هذه المرة أيضا بسيطة وهو افتقاد الشعب المصرى للمغنى الأصيل والذى تتحقق فيه المواصفات التى افتقدها أثناء عصر الغناء التافه (الموجة المسماة بالشبابية)

أكثر مايميز كاظم اهتمامه بالقصيدة والأعمال الطويلة التى عزف عنها الملحنون من وقت طويل وثانيا أداؤه الرائع المتمثل فى حرصه الشديد على إبراز الروح والتقنية العراقية فى الغناء (ناظم الغزالى) ثالثا اعتناؤه بالمقامات الشرقية ولولا الآلات الكهربية والأعداد الهائلة من الموسيقيين التى تصاحبه لكانت تجربته أكثر نقاءً .. واعتبر أن نجاح كاظم نجاحاً حقيقياً وأتنبأ بتداعيات ايجابية له فى مستقبل الغناء المصرى.

عفواً يافتحى .. أخذتنى عنك لبرهة هموم غنائنا وموسيقانا المصرية فاعذرنى وبرغم السنوات الطوال التى باعدت بيننا فلم ولن أنسى كل ماقلناه وغنيناه وأكلناه معاً فى هذه الغرفة من أكلات مصرية وعراقية وكم أتمنى أن تحقق أمنياتنا فى أن أتعشى معك على ضفاف الفرات الأكلات البحرية التى طالما شوقتنى لها وهى المسجوف وكم أتمنى أن تتعشى معى على شاطئ القناة الأكلة التى طالما حدثتك عنها وهى الصيادية السويسى على هذه القناة يافتحى رأيت فى ١٩٩١ حاملات الطائرات الأمريكية والبوارج البريطانية والغربية وهى ذاهبة إليك لتقتلك وتخرجنى من أحلام عشت أنتظر تحقيقها .. وفى بيتى الصغير على ضفاف القناة وجدت ضالتى فى قصيدة سلام على بغداد للشاعر الكبير محمود



توفيق فلحنتها وقد امتلأت بكل مانفذ إلى روحى من العبقرية العراقية فى الغناء والمقامات وأردت أن يكون العمل تعبيرا خالصاً عن كل جميل مصرى وعراقى جمعنا فان اللحن على ايقاغ ٦/٨ وهو ايقاع عراقى أصيل لانستخدمه فى مصر والمقامات المستخدمة لقاء حميم بين الروح العراقية والمصرية وقمت بتسجيل اللحن عزفاً وغناءً .. وقمت باهدائه لك يافتحى وكأن روحك الأصيلة قد شاركتنى فى الجناين بالسويس ومنزلى بالقاهرة كل مراحل تنفيذ هذا اللحن وقام مغنو السويس من كل الأجيال بغناء سلام على بغداد منذ يومين فى مؤتمر لناصرة العراق بدون آلات وبدونى

سلام عليك يافتحى وسلام على محمود توفيق وسلام على شهدائنا على القناة وسلام على أبطالنا على كل شبر على أرض العراق الطاهرة وسلام على بغداد ..

ولن تنتهى أحاديثنا يافتحى عن بغداد والسويس والموسيقى وعن الحرية والمستقبل ..

ومعا سنواصل الغناء والمقاومة

ومعا سننتصر يافتحى

دراسة

الغموض فى نصوص النقد العربى الجديد

د. سمير حجازى

فى ثمانينات القرن العشرين تجلت فى نصوص النقد العربى مظاهر اتجاهات جديدة كانت تعكس بطريقة ما اتجاهات النقد الغربى فى ستينيات نفس القرن . وأغلب هذه النصوص كانت تتسم بالغموض فى مناهجها ، وفى مصطلحاتها ، وتعابيرها ، سواء كانت نصوصا فى مضمار الترجمة، أو فى مضمار التاليف النظرى ، أو التطبيقى ، لمفاهيم وقواعد البنيوية الشكلية أو التوليدية (١) أو التفكيكية الانطباعية .

هذه المشاهدة تنطبق على نصوص الباحثين الناشئين ،كما تنطبق على أغلب نصوص كبار ممثلى تيار الحداثة وما بعدها ،فالنظرة الدقيقة لبعض النصوص الشهيرة تؤكد أن هذا العيب قائم فى مختلف عناصرها اللغوية والفكرية . وأن أصحابها عتموا هذه الاتجاهات أمام (القارئ)(٢) تحت اسم تحديث الفكر النقدى العربى ،وكانت المحصلة الطبيعية لذلك وضع الثقافة العربية فى موضع العاجز عن استيعاب بعض عناصر الثقافة الحديثة كما ينبغى أن يكون . ومعنى ذلك أن هذه النصوص قد أساءت بمعنى ما من المعانى إلى ثقافة الذات وثقافة الآخر فى وقت واحد ، وعزلت القارئ عن معرفة الخصائص الجوهرية لهذه الاتجاهات.

وعلى هذا الأساس نفهم لماذا لم يتفاعل معها ولم يستفد منها الا فى حدود ضيقة ، لأنه لم يعثر- إلا فى حالات نادرة- على نص فى كتاب أو فى دراسة استوعب صاحبه هذه الخصائص ، وقدمها إليه فى إطار يتفق مع ثقافته العربية ، دون الإخلال بمعانيها الأصلية- ذلك مثل النص الرائع الذى قدمه المرحوم الدكتور زكريا إبراهيم فى كتابه المسمى« مشكلة البنية» (٣) الذى ألقى فيه الضوء على الاتجاه البنيوى فى مجال اللسانيات ، والأنثروبولوجيا ،والمعرفة ، والتحليل النفسى ،والماركسى ، بأسلوب سهل ومفردات واضحة يدلان على فهم واستيعاب عميقين لخصائص هذا الاتجاه دون الادعاء الكاذب بارتداء ثياب

العلم أو الادعاء بأن صاحب النص علم من أعلام الفلسفة والنقد البارزين لكن بتواضع العالم الذى يعمل فى صمت غاص فى باطن هذا الاتجاه بوساطة منهج يتميز بالحرص الشديد على الالتزام بحدود الموضوعية والجمع بين معرفة أصول الثقافة الغربية والعربية دون الوقوع فى شرك استخدام اصطلاحات دون أن يحدد مدلولها أو مضمونها فى النص، فالاصطلاحات التى وردت فى نص الكتاب كان يضعها فى البداية بلغتها الأجنبية ثم يضع مقابلها الكلمات العربية ، ثم يحدد فى النهاية مضمونها.

وعلى هذا الأساس نعتبر نص هذا الكتاب من النصوص النادرة فى المكتبة العربية بخصوص فهم واستيعاب الخصائص الجوهرية لواحد من الاتجاهات التى برزت فى الثقافة الحديثة . ويمكن اعتبار قدرة صاحبه على تطويع المعرفة وتطبيعها وفق معايير الثقافتين العربية والغربية دون الإخلال بواحدة على حساب الأخرى مظهرا من بين المظاهر.

لم يكن هذا التصور قائما فى أذهان أغلب النقاد أو الباحثين لأن الغاية الأساسية من وراء وضع نصوصهم أو محاكاة اتجاه معين واستخدام اصطلاحاته ليس فهم واستيعاب خصائصه الجوهرية لتطبيعها وتطويعها وتقديمها للقارئ وانما سعيا وراء إبراز قدرة أصحابها على ركوب موجات الحداثة، أو اعتبارهم روادا لها داخل حدود ثقافتهم المحلية ، دون ان يمتلكوا فى كثير من الأحيان الشروط الموضوعية التى تؤهلهم لأداء هذه المهمة فى تاريخنا الفكرى المعاصر. إذ لو كان بوسع هؤلاء الرواد- أو من يعتبرون أنفسهم كذلك- إن يحققوا شرطى الفهم والاستيعاب لخصائص الفكر النقدى الغربى لتحقق بغير شك التفاعل الذى يعد المحصلة الطبيعية لتحقيق الشرطين الأولين.

وأبرز مظاهر التفاعل مع بعض عناصر الثقافة الحديثة هى القدرة على تطويع وتطبيع فكرها ولغتها وفق معاييرها ووفق معايير الثقافة المنقول إليها ،ومن أهم مظاهر التطويع والتطبيع وضع اللغة والفكر فى إطار مفهوم للقارئ العام وتحديد مدلولات اصطلاحات ذلك الفكر فى نصوص البحث أو الدراسة ذلك الشئ كان وما زال غائبا عن أغلب النصوص التى يقف أصحابها فى صفوف النقد الحداثى وما بعد الحداثى .

إن شرطى الفهم والاستيعاب لاتجاهات النقد الغربى الحديث لم يتحققا بمعنى ما من المعانى ،والدليل على ذلك أن التفاعل مع هذه الاتجاهات لم يتحقق فى النص ،نظرا لأن ذهن الناقد أو الباحث لم يسمح بالتعمق فى جوهر المبادئ الأساسية للنظرية ومنهجها واصطلاحاتها المختلفة. أو بعبارة أخرى أن عدم فهم واستيعاب النظرية بصورة طبية أدى إلى سيطرة الغموض على نص الناقد أو الباحث ،والعجز عن تحديد مدلول الاصطلاحات التى وردت فيه ،وهذا كان من شأنه أن يعزل القارئ عن جوهر مضمون النظرية ،ومن ثم عدم إتاحة الفرصة له لدمج بعض عناصر المعرفة النقدية الجديدة فى إطاره الثقافى.

إن لغة النصوص النقدية بعامة واصطلاحاتها بخاصة بدت للقارئ فى كثير من الأحيان غريبة عن مفرداته ووسيلته اللغوية، وغير قابلة للاندماج مع مجمل عناصرها ، لا لأن طبيعة اللغة والثقافة العربية عاجزة عن استيعاب بعض رموز الثقافة الحديثة ،فقد استوعبت اللغة والثقافة العربية بعض جوانب من الثقافة الأوروبية الحديثة فى شكل بعثات أرسلت إلى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين وما زالت ترسل إلى يومنا بعثات أخرى سواء إلى فرنسا ، أو إنجلترا ، أو إيطاليا ، أو ألمانيا أو أسبانيا أو غيرها من البلدان الأوربية الشهيرة وقد تفاعل أفراد هذه البعثات مع ثقافة هذه البلدان نتيجة فهمهم لها واستيعابهم لبعض عناصرها ، ويمكن اعتبار تطبيق هؤلاء الأفراد لمناهجها فى الأطروحات أو الرسائل العلمية المقدمة إلى جامعة السربون أو كيمبردج. أو غيرهما من جامعات أوروبا الشهيرة مظهرا من بين هذه المظاهر . وهذا يعنى أن السبب لا يرجع إلى طبيعة الثقافة العربية ، وإنما يرجع إلى عيب فى منهج الناقد أو الباحث حين يعالج نقل الفكر النقدى الغربى ، فهو ينقل نظرياته واصطلاحاته دون مراعاة شروط التفاعل والتكيف معها لغويا وثقافيا ، فهذه الشروط يجب أن تتوافر لدى الناقد أو الباحث عند نقل أو عند تبنى بعض الاتجاهات النقدية الحديثة لأن توافر هذه الشروط يتيح له فرصة الوصول إلى خصائصها الجوهرية من داخل منطقها الثقافى الخاص ،فضلا عن ضرورة معرفة الخصائص الجوهرية للأدب العربى وإطاره

الثقافى والحضارى نظراً لأن اتجاهات النقد الغربى الحديث ومناهجه واصطلاحاته ظهرت لتطبيق على الأدب الغربى لا العربى ، وهذا يعنى أن الناقد أو الباحث مضطر ألا يطبق هذه الاتجاهات ومناهجها على أدبنا تطبيقا حرفيا أو آليا. نظرا لوجود فوارق موضوعية بين عالم الأدب الغربى وعالم الأدب العربى . أضف إلى ذلك وجود مساحة تاريخية بين ثقافة كل أدب هذا امر بديهى لايحتاج منا إلى كثير من البحث والتنقيب ، بل يحتاج فقط إلى أن يكون الناقد أو الباحث على درجة عالية من الوعى به كى يعالج أدبنا على ضوء واقعة هو وليس على ضوء واقع أدب الثقافة الغربية.

فبوساطة هذا الوعى يستطيع أن يطوع ويطبع مبادئ النقد الغربى واصطلاحاته وفق مبادئ وخصائص أدبنا العربى ، وأهم مميزات هذا التطبيع وذاك التطويع هو صبغ المادة الادبية والنقدية بصبغة المرونة واليسر والوضوح ، وهذا من شأنه أن يجعل معالجة الباحث أو الناقد قريبة بمعنى ما من المعالجة الموضوعية التى تجعل نصه قائما على أساس نظام فكرى ولغوى متماسك ينأى بصاحبه عن الغموض أو عدم الوضوح، الذى يجعل القارئ يجد نفسه أمام نص منغلق على ذاته أو على صاحبه نتيجة عدم تحديد مضمون المصطلح ، وعدم وضوح المبادئ النظرية فى ذهن الناقد أو الباحث ونزوعه نحو المفاهيم والأساليب الشكلية فضلا عن تجاهله وظيفة نصه النقدى فى الحياة الثقافية العامة . لقد كان النص النقدى فى الستينيات والسبعينيات على صلة وثيقة بالحياة الثقافية ، وكان أبرز سماته الوضوح. وكان محمد مندور ، وغنيمى هلال ، ولويس عوض ، وعبد القادر القط ، وشكرى عياد يتيحون أكبر فرصة ممكنة للقارئ العادى لفهم نصوصهم . وكان ذلك له أبعد الأثر فى إعلاء شأن النقد والنقاد وفى التربية الثقافية بعامة والأدبية بخاصة(٤).

للنص النقدى دور فى الحياة الثقافية ، وهذا الدور لا يقتصر على الكشف عن دلالات العمل الأدبى ، أو تربية الذوق الفنى لدى جمهور القراء بل يمتد إلى الكشف عن طبيعة التوافق بين الأدب وبين المعايير والمصطلحات النقدية من جهة وبين طبيعة المضمون الثقافى والحضارى للوسط الذى ظهر فيه أما كيفية الربط بين مختلف هذه الجوانب فى وقت واحد(٥) فليس موضوعنا الآن . لأن حديثنا هنا يدور حول البحث عن إجابة للسؤال: ما سبب الغموض فى نصوص نقدنا ؟ والجواب كما نستخلصه من عرضنا السابق يتمثل فى عدم تأهيل الناقد أو الباحث لاستيعاب المبادئ النظرية النقدية الحديثة والتعامل مع مصطلحاتها بأسلوب حديث . فهو لم يتفاعل عقله مع جوهر المعرفة النقدية الغربية ، ومن ثم لم يكن فى مقدوره القيام بدمجها فى بنائه الثقافى العام أو الخاص.

إن دمج أحد مبادئ الفكر الحديث فى إطار الناقد أو الباحث الثقافى يلزمه بغير شك بعدة شروط موضوعية أهمها الوعى بالفوارق الثقافية بين الحضارة الغربية والحضارة العربية من حيث اللغة والفكر ،ومن حيث المسافة التاريخية، ومن حيث نمط الثقافتين ، أضف إلى ذلك ضرورة مرونة فكر الناقد أو الباحث ، ومرونة إطاره الثقافى فى نفس الوقت ، فبوساطة هذه المرونة يستطيع تجنب النقل الحرفى والتطبيق الآلى للمناهج والمصطلحات الحديثة، هذا فضلا عن تحرره من قيود النزعة الشكلية التى تجعله يستخدم المصطلح دون أن يكون له مدلول محدد فى بنائه الذهنى أو الثقافى.

إن المصطلح النقدى الحديث يبدو فى نصوص النقد الجديد- فى أغلب الأحيان-مفرغا من الدلالة ، ومن العادة الثقافية والحضارية ، فهو مجرد لفظ أو تعبير وزنه الأول والأخير يتمثل فى قيمته من زاوية اللفظ لا من زاوية المعنى أو المضمون ، فينزع الناقد بذلك عنه طابعه العقلانى والعلمى ومشخصاته اللغوية والزمانية والمكانية.

إن هذه العملية التى يقوم بها الناقد أو الباحث فى تعامله مع المصطلح تعتبر عملية تجريدية تغرب المصطلح عن سياقه من ناحية وعن النظرية التى أفرزته من ناحية أخرى ، لأن الناقد أو الباحث قد تخلى عن الاهتمام بمعناه أو مضمونه الذى يبدو فيه مظاهر الحياة اللغوية، والمعرفية ، واهتم بالكلمة واستعمالاتها أو بصورة العلاقات بين الألفاظ وبعضها واستعمالاتها أو بصورة العلاقات بين الألفاظ وبعضها دون النظر إلى مضمون تلك العلاقات باعتبار أن النزعة الشكلية هى النزعة التى تسيطر على

نصه أو عمله . وهذه النزعة لا تبدو فى التعامل مع المصطلح النقدى فحسب ، بل تبدو أيضا فى تبنى الناقد أو الباحث الاتجاه البنيوى الشكلى ، والاتجاه الانطباعى التفكيكى(٥) وترك جانبا الاتجاهات الأخرى مثل الاتجاه البنيوى الدينامى ، والاتجاه النفسى ، والاتجاه الفلسفى ، ولعل ذلك يرجع إلى أن ثقافتنا العربية ثقافة كانت وما زالت متأثرة ببلاغة القول ، وبلاغة العبارة لا مدلول القول أو مضمون العبارة. وقد يكون الاهتمام ببلاغة القول أمرا ليس ذا شأن فى نصوص الثقافة الحديثة حيث يسيطر على أغلب عناصرها العقلانية والنزعة العلمية .فى حين أن العقلانية والنزعة العلمية تحتلان فى ثقافتنا مساحة محدودة.

هناك بلا شك فوارق بين الثقافة الغربية والعربية ، وهذه الفوارق مسألة بديهية لا تحتاج منا إلى كثير من البحث والتنقيب ، وما على الناقد أو الباحث سوى الاعتراف والوعى بها حتى يستطيع الإفادة من بعض عناصر هذه الثقافة .وأبسط مظاهر هذا الوعى ، هو أن ينقل الباحث أو الناقد المصطلح ويستخدمه فى نصوص بحثه أو دراسته وفق معايير علمية ودلالية تجعله يهجر التعامل الشكلى مع المصطلح ومع النظرية التى أفرزته.

ويدرك أن تحديث الفكر أو مواكبة اتجاهات الثقافة الحديثة ليس مجموعة شعارات أدبية براقة أو نمط من بلاغة القول ، أو اللغو، أو محاكاة رديئة لاتجاهات النقد الغربى ، وإنما هو فعل خلاق ينبض على أساس الفكر العلمى ، وعلى أساس ابتكار المفاهيم والأساليب التى تتفق مع روح أدبنا ، وروح عصرنا ، وروح ثقافتنا العربية ، وهذا الفعل من شأنه أن يرتقى بالفكر النقدى ارتقاء كيفيا لا شكليا ، وبخطواته نحو آفاق جديدة ، من حيث المعالجة ومن حيث المفهوم . شريطة أن تكون هذه المعالجة قائمة على موضوعية الملاحظة ، وموضوعية النتائج ، وبعيدة عن الأساليب الانشائية الوصفية ، أو الإنشاء الأدبى .

وبوساطة هذه الموضوعية يستطيع الناقد أو الباحث أن يرفض فكرة عالمية النقد الغربى واصطلاحاته ، وفكرة اعتباره كالعلم لا يعرف جنسية أو حدودا جغرافية أو حضارية معينة(٦) هذه الفكرة زائفة لأن مناهج النقد الغربى واصطلاحاته ليس لها صفة العمومية والشمول اللتين يتصف بهما العلم. فهذه المناهج وتلك الاصطلاحات مرتبطة بظروف حضارية وتاريخية معينة عرفها المجتمع والثقافة الفرنسية فى ستينيات القرن الماضى.

وعلى هذا الأساس لا نستطيع القول بانهما صالحان للتطبيق على كل أنماط الأدب فى أى زمان أو مكان ، ولا نستطيع القول أيضا إننا لا نستطيع الإفادة منهما ، بمعنى ما من المعانى ، كل ما يمكن قوله فى هذا الخصوص هو إننا نرفض تطبيقهما على أدبنا بطريقة حرفية وآلية ، كما نرفض استخدام الاصطلاحات بدون تحديد مدلولها فى بنية اللغة والثقافة العربية ، لأن هذا الاستخدام كان أحد الأسباب التى أدت إلى شيوع الغموض فى أغلب نصوص النقد الجديد.

إن استخدام المصطلح دون تحديد مدلوله ، يدل على عدم تهيؤ ذهن الناقد أو الباحث لتطبيق قواعد التفكير العلمى ، ويدل فى الوقت نفسه على أن وظيفة المصطلح فى نص البحث أو الدراسة وظيفة شكلية لاجوهرية- والدليل على ذلك إن المصطلح البنيوى أو التفكيكى حين ظهر. فى عقد الثمانينيات لم يحرك ساكنا فى حياتنا الثقافية ، لماذا؟ لأنه كان يخلو من شروط التفاعل اللغوى والمعرفى مع مفردات الثقافة العربية.

إذ لا يمكن لمصطلحات أو مفردات حديثة منقولة عن الثقافة الأوربية أن تتفاعل مع مفردات ومضمون الثقافة العربية ، طالما أن مدلولاتها غائبة عن بنائنا الذهنى والثقافى . إن استخدام الناقد أو الباحث للمصطلحات الحديثة فى نصوص بحثه أو دراسته لا يعنى أنه يعرف بشكل مباشر أو غير مباشر معانيها أو مضمونها اللغوى والمعرفى فى أصولها الأوربية ، لأن القارئ لا يعثر فى ثنايا هذه النصوص أو فى هامشها أو فى نهايتها على تعريف لها أو على محاولة لوضع مضمون لها .فانصار الحداثة وما بعدها من النقاد والباحثين يستخدمون المصطلحات الحديثة- فى أغلب الأحيان- لا لضرورة علمية تفرضها طبيعة الموضوعس المتناول ، وإنما لنزعة شكلية أساسها الرغبة فى إضفاء لغة ذات بريق خاص على النصوص تلفت انتباه القارئ ، وتوهمه إن صاحبها يجب أن ينضم إلى صفوف المحدثين ، أو الداعين إلى الحداثة باعتبار أن مفهوم الحداثة- كما نستخلصه

من واقع نصوص النقد الشهيرة –مفهوم بلا مضمون بلا مضمون أوله مضمون غامض أساسه منطق شكلي ، لا منطق مدلولي ومن ثم فإن وظيفة المصطلح في النص ، وطريقة التعامل معه تنبئ القارئ بوجود تقهقر في خطوات النقد ، واجتيازه أزمة من أزمات الفكر تبدو مظاهرها في عجزه عن تحديد مدلول المصطلح أو التعامل معه وفق قواعد التفكير العلمى ، الذى يزعم أنصار النقد الجديد أن أعمالهم تنهض على أساس قواعده(٧).

فى حين أن أبسط مظاهر تطبيق هذه القواعد يتمثل فى ضرورة أن يحدد الناقد أو الباحث كل جزئية أو عبارة غير محددة أو غامضة فى نص بحثه أو درسه . هذه القاعدة الأولية لم يعمل بها أغلب الداعين للحداثة تلك الظاهرة شملت نصوص المؤلفات والمقالات المنشورة فى المجلات الأدبية الواسعة الانتشار. فقد استقبلت الاصطلاحات الحديثة والاتجاهات التى أفرزتها بترحاب بالغ و أفسحت لها مكانا بارزا (٨) على صفحاتها المختلفة ، دون أن يقوم أصحابها بتحديد مضمون الاصطلاحات الواردة فى ثناياها.

والمشاهد أن جمهور القراء أقبل على الاطلاع على أعدادها الخاصة بالبنيوية وما بعدها، دون أن يعرف مضمون هذا الاصطلاح أو ذاك، أو معنى هذه الكلمة أو تلك العبارة أو معنى هذه الفقرة ، أو هذه الفقرات ، وكان من بين هؤلاء القراء جمهور من المثقفين ، والكاتب الكبير نجيب محفوظ الذى انتهى إلى نفس النتيجة التى انتهى إليها أغلب القراء ، ألا وهى عدم الفهم(٩).

إن إشكالية الاصطلاح ، أو إشكالية النص الذى ورد فيه كانت من بين الظواهر البارزة فى حياتنا الثقافية فى عقدى الثمانينيات والتسعينيات ، لكن النقاد والباحثين غضوا عنها النظر ، أو بعبارة دقيقة لم يحاول أحد أن يلقى الضوء عليها بأسلوب علمى محدد.

الهوامش والمراجع

(١) هذه الترجمة الشائعة فى النقد العربى لكلمة Genetique وهى ترجمة غير دقيقة وحرفية وبعيدة عن جوهر نظرية جولدمان ، والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هى الدينامية.

(٢) أنظر نتائج دراستنا فى تحليل منهج أبو ديب ، والغذامى ، وعبد المطلب ، فى الفصل الرابع من كتابنا «مشكلات الحداثة فى النقد العربى» الدار الثقافية القاهرة ، ٢٠٠١ .

(٣) نشر فى مكتبة مصر، القاهرة ، ١٩٧٨ .

(٤) أنظر سمير حجازى ، مشكلات الحداثة فى النقد العربى ص٧٤.

(٥) لمزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع أنظر كتابنا «المناهج المعاصرة لدراسة الأدب ، الكتاب الجامعى ، الكويت ، الطبعة الرابعة ١٩٩٦).

(٦) أنظر د.عبد العزيز حموده ، المرايا المحدبة، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٨ ص٦٦–٦٧.

(٧)انظر سمير حجازى ، مشكلات الحداثة، ص٢١٦.

(٨) انظر د. كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦.

(٩) انظر على سبيل المثال مجلة فصول، القاهرة، عدد يناير ١٩٨١.

دراسة



موقف أمين العالم من الايديولوجية (٣)

سامح الموجى

«هذه الدراسة نشر منها الجزءان الأول والثانى فى أعداد ديسمبر ويناير تحت عنوان العالم بين المصادقة والنقد الجدلى والجزء الثانى تحت عنوان محمود العالم وثنائيات الفكر العربى ونستكمل فى هذا العدد الجزء الثالث والأخير منها عن موقف أمين العالم من الإيديولوجية.

يحدد الأستاذ أمين العالم فى بداية موقفه من الأيديولوجية العربية إطارا تفسيريا لمفهوم الأيديولوجية ذا مجال دلالى أكثر عمومية وشمولية من المفهوم الماركسى الشائع بأنها- أى الأيديولوجية-الوعى الزائف بالواقع بل تتداخل عند أمين العالم كافة«التصورات والقيم والأذواق والحساسيات التى تشكل رؤية عامة موحدة متماسكة أو شبه موحدة شبه متماسكة» (٣٦) .من هذا التصور العام والشامل لمفهوم الأيديولوجية يجوز لنا أن ندخل مع الأستاذ العالم إلى معمله التجريبى لبيان موقفه التحليلى من مفهوم الايديولوجية من واقع الفعل المجتمعى. والتاريخى للفكر العربى الحديث والمعاصر حيث يتساءل مبدئيا ، هل هناك أيديولوجية عربية واحدة ، أم أن هناك أيديولوجيات عربية متعددة ؟ ويجيب علينا الأستاذ العالم بأن هناك «بغير شك أيديولوجية عربية تعبر عما يمكن أن نعتبره أمة عربية فى دور التكوين من حيث الوحدة السياسية، أمة ذات تاريخ جغرافى- سياسى مشترك، ينعكس فى ثقافة مشتركة ولغة مشتركة ، وإن كانت سوقها الاقتصادية المشتركة لم يتحقق لها التكامل والوحدة بسبب عوامل وتداخلات خارجية

-داخلية»(٣٧). إلا أنه يتدارك إجابته محذراً بأن قصر مفهوم الأيديولوجية العربية على هذا البعد وحده «يفضى إلى إغفال حقائق العالم العربى المتنوع الأوضاع سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية»(٣٨).

فالإسلام رغم كونه أحد التكوينات الثقافية البارزة فى الأيديولوجية العربية وأحد الأعمدة الرئيسية المشكلة لبنيتها إلا أن الأستاذ العالم يرفض اعتباره هو وحده الأيديولوجية العربية ولا يتفق مع تفسير الأيديولوجية ويعتبر هذا المنهج -على حد تعبيره- منهجاً وصفياً قاصراً ، والأستاذ العالم يفرق بين الإسلام كنصوص دينية تتمثل فى القرآن الكريم والحديث الشريف، والإسلام من واقع تخفقه الحى ، وممارسة الشعوب العربية له، حيث تختلف وتتباين دلالات الممارسة المجتمعية للإسلام من قطر عربى ، إلى آخر.

..من مقدمات هذا التحليل يخلص الأستاذ العالم إلى الاختلاف مع الطرح الأيديولوجى الذى يعتبر الإسلام وحده هو الايديولوجية العربية، كما يختلف فى نفس الحين مع الطرح الأيديولوجى القومى المرتكز على مفهوم «القومية» التى تتخذ دلالة نضالية وتحريرية لدى الفكر العربى بيد أن أمين العالم يرى ألا يجب نتغافل عن الخصائص المحلية لكل نزعة قومية لذا يجب على الدارس للأيديولوجية أن يستوعب كافة هذا الاختلاف والتمايز إلى جانب استيعابه للمشترك العام. فالمفهوم القومى المثالى لا يرى سوى الوحدة والمفهوم القومى الشوفينى العنصرى لا يرى سوى الاختلاف والتنوع» .لكن هناك بغير شك مفهوماً ثالثاً يرى الاختلاف والتنوع والتمايز فى إطار الوحدة ، ويرى الوحدة عبر هذا التمايز والاختلاف والتنوع (..) وأن الدراسة الصحيحة للأيديولوجية العربية هى تلك التى تحسن إدراك العام والخاص وتحسن تحديد العلاقة بينهما والتى لا تلغى العام باسم الخاص ، ولا تلغى الخاص باسم العام«٣٩».

على هذا الأساس المنهجى وبداخل هذا السياق الجدلى الحى يؤسس الأستاذ أمين العالم موقفه من الأيديولوجية ونقده التحليلى لكافة التيارات الفكرية والدراسات الأوربية والأمريكية التى تفسر نشأة الأيديولوجية وكيفية التعامل النقدى معها فى قضاياها المتفرعة ، ولضيق المجال سوف تتعرض السطور القادمة فى عجالة لملاحظتين أراهما من أهم نماذج تحليل الأستاذ العالم ونقده للدراسات الغربية حول« مفهوم الأيديولوجية».

**أولا:

يتوقف الأستاذ العالم أمام التيار الفكرى الذى يفسر نشأة الأيديولوجية من خلال الإرتكاز على مفهوم التأثير الثقافى للغرب الأوروبى وإعتباره العامل الحاسم فى تشكيل الأيديولوجية العربية وتياراتها الفكرية والثقافية ، والذى تتبناه أغلب الدراسات الاستشراقية ، وبعض تيارات الفكر العربى متمثلا فى الأستاذ عبد الله العروى فى كتابيه «الأيديولوجية العربية المعاصرة» و«العرب والفكر التاريخى» .حيث يذهب العروى إلى تخطيط تجريدى يرى من خلاله الأيديولوجية العربية فى اتجاهات رئيسية ثلاثة: .

الاتجاه الدينى متمثلا فى الشيخ محمد عبده والإتجاه الليبرالى متمثلا فى لطفى السيد ، ويتخذ من سلامه موسى متمثلا للاتجاه التقنى العلمانى كما أن هذه الاتجاهات ليست إلا انعكاسا بنيوياً للأيديولوجية الأوربية والفكر العربى ، والانعكاس هنا يتم من خلال فعل التأثير والتأثر ، وبهذه العلاقة الميكانيكية تتمظهر الأيديولوجية العربية وتتشكل بنيتها هكذا يبسط الأستاذ عبد الله العروى من الجذور الاجتماعية الداخلية الذى يراها «جذوراً سطحية غير مباشرة» (٤٠) ويتبنى منهجاً مثالياً تقريباً لا يعبأ من قريب أو بعيد بالشرط الموضوعى والحراك الاجتماعى كعامل فاعل ومؤثر فى تكوين الأيديولوجية العربية ونشاطها وصراعها على أرض الواقع، من هنا يرى الأستاذ العالم أن «الخطأ الأساسى فى هذا المنهج إنما ينبع من نظريته الفينومونولوجيه الميكانيكية لمفهوم التأثير الثقافى والاجتماعى ، فالحق أن التأثير الثقافى والاجتماعى هو محصلة معقدة لميكانيزمات أو آليات خارجية وداخلية. ولكن العامل الحاسم إنما هو العامل الداخلى للتكوينات الاجتماعية . لاشك أن هناك تأثيراً للحضارة الغربية على الأيديولوجية العربية، ولكن ليس على هذا النحو الميكانيكى ،الأحادى الاتجاه ، هناك بغير شك فى الأيديولوجيات العربية تيارات ومواقف بل أشكال تعبير هى ثمرة تأثيرات أوربية مباشرة ولكن حتى هذه ما كان يمكن أن يتحقق لها نجاحها وإزدهارها الاجتماعى ما لم يتوفر فى المجتمعات العربية نفسها ما يتيح لها ذلك النجاح والازدهار» (٤١) .من هذا الموقع الجدلى ينتقد أمين العالم هذا المنهج الميكانيكى فى فهم الأيديولوجية العربية ويحذر من خطورة هذا المنهج الذى قد يفضى فى استنتاجاته النهائية إلى التأكيد على حتمية التبعية الفكرية ويرسخ من بنية التبعية بشكل عام ويرى العالم إن مفهوم التأثير فى المجال الأيديولوجى «يلتقى مع مفهوم آخر فى المجال الاقتصادى هو مفهوم المركز والمحيط الذى يقول به بعض الباحثين من أمثال سمير أمين إنه مفهوم ميكانيكى جامد يغفل كل عوامل الصراع على المستوى الذاتى والموضوعى على السواء ويجعل من تبعية اقتصاديات البلاد النامية للسوق الامبريالية الرأسمالية ، تبعية شبه قدرية ولافكاك منها«٤٢» .من هذا التحليل النقدى لمفهوم التأثير لا يلغى الأستاذ العالم دور التأثير الاقتصادى والأيديولوجى لكنه لا يراه المصدر الأساسى لتفسير الظواهر الايديولوجية والاجتماعية ولكن الأولوية عنده« فى اكتشاف القوانين الداخلية لهذه الظواهر دون إغفال للملابسات والظروف الخارجية» (٤٣) .فضلا على إن بعض هذه الدراسات تقع فى خطأ منهجى وهو تفسير الأيديولوجية بالايديولوجية وعدم ردها إلى أساسها الاجتماعى ونشأتها الموضوعية ، أو ترجعها إلى أساس اجتماعى خارجى غير أساسها الحقيقى.

ثانياً: الملاحظة حول موقف أمين العالم من الايديولوجية ونقده للدراسات الأوربية والأمريكية أن هذه الدراسات تنطلق فى تحليلها لظواهر الأيديولوجية العربية من خلال مفاهيم ورؤى نقدية معدة سلفاً من سياق اجتماعى وتاريخى آخر هو السياق الأوروبى وتفرضه بشكل آلى على السياق التاريخى العربى ، ويتخذ الأستاذ العالم مفهوم «القومية» كنموذج للتدليل على ذلك حيث

إنه يرى أن مفهوم القومية فى الثقافة الغربية له مجال دلالى يتضمن وصفاً شوفينياً عنصريا نابعا من الحركة القومية ونشأة مفهوم القومية فى أوروبا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، لكن مفهوم القومية فى البلاد العربية تحديداً له مجالا دلاليا مغايرا ومختلفا يتضمن بعداً تحريرياً ونضالياً معادياً للاستعمار والصهيونية إلا أن هذه الدراسات تخلط ما بين الدلالتين المختلفتين لمفهوم القومية ، وتحاول تقييم القومية العربية حسب المفهوم الأوروبى ، وهذا الخطأ فى تقدير الأستاذ العالم يؤدى إلى خلط الأوراق» و«طمس حقائق النضال التحريرى فى البلاد النامية فكثير من الدارسين -على سبيل المثال- يصورون الصراع بين البلاد العربية وإسرائيل على أنه صراع بين قوميتين هما القومية العربية والقومية الإسرائيلية ، بالمفهوم الأوروبى التقليدى للقومية ،وهم بهذا التصوير يجعلون من النضال العربى العربى التحريرى عدواناً قومياً على قومية أخرى ضعيفة ، ساعين بهذا إلى التعمية عن جوهر هذا النضال باعتباره نضالا تحرريا ضد الإمبريالية»(٤٤).

-وينتقل الأستاذ العالم بين ديمقراطيتين من حيث أشكال الممارسة السياسية ، الديمقراطية الليبرالية بالمفهوم الأوروبى ، والديمقراطية (الموجهة)-حسب تعبيره -بمفهوم البلاد النامية عامة والبلاد العربية بشكل خاص ،والديمقراطية الليبرالية بالمفهوم الأوروبى لا تصلح حسب رأى أمين العالم معياراً قياسياً يمكننا الحكم من خلاله على التجربة الديمقراطية فى البلاد النامية ذلك لأنها «جزء من التكوين الاقتصادى والتاريخى العام لمجتمعاتها»(٤٥) .كما يربط الأستاذ العالم تقدم المجتمعات النامية سياسياً» بالقدرة على وضع خطة مركزية للتنمية المعجلة تقوم على المشاركة الواعية المنظمة للجماهير» (٤٦) .وهذه الديمقراطية ، «فى جوهرها ديمقراطية موجهة- كما يقال- وليست ديمقراطية ليبرالية بالمفهوم الأوروبى» (٤٧) .وعلى الرغم من أن هذه الديمقراطية الموجهة قد تفضى إلى« مناهج تعسفية قمعية ، أو إلى بيروقراطية دولة . على أن البديل ليس هو الشكل الليبرالى للديمقراطية الذى هو تعبير عن مضمون رأسمالى ، إن الحل دائما هو دعم هذه الديمقراطية الموجهة من أسفل ، من القاعدة بمزيد من المشاركة الديمقراطية فى اتخاذ القرار العلوى فى مختلف المجالات ، بالارتفاع بالوعى السياسى والثقافى والإنتاجى للجماهير ، حدا للبيروقراطية المركزية وتعميقا للديمقراطية الشعبية. إن أشكال الممارسة الديمقراطية عامة والبلاد العربية بشكل خاص ، والديمقراطية الليبرالية ،بالمفهوم الأوروبى لا تصلح حسب رأى أمين العالم معياراً قياسياً يمكننا الحكم من خلاله على التجربة الديمقراطية فى البلاد النامية ذلك لأنها «جزء من التكوين الاقتصادى والاجتماعى والتاريخى العام لمجتمعاتها»(٤٥) .كما يربط الأستاذ العالم تقدم المجتمعات النامية سياسياً «بالقدرة على وضع خطة مركزية للتنمية المعجلة تقوم على المشاركة الواعية المنظمة للجماهير»(٤٦) . وهذه الديمقراطية «فى جوهرها ديمقراطية موجهة- كما يقال- وليست ديمقراطية ليبرالية بالمفهوم الأوروبى» (٤٧) .وعلى الرغم من أن هذه الديمقراطية الموجهة قد تفضى إلى« مناهج تعسفية قمعية ، أو إلى بيروقراطية دولة. على أن

البديل ليس هو الشكل الليبرالى للديمقراطية الذى هو تعبير عن مضمون رأسمالى إن الحل دائما هو دعم هذه الديمقراطية الموجهة من أسفل ، من القاعدة بمزيد من المشاركة الديمقراطية فى اتخاذ القرار العلوى فى مختلف المجالات ، بالارتفاع بالوعى السياسى والثقافى والإنتاجى للجماهير، حدا للبيروقراطية المركزية وتعميقاً للديمقراطية الشعبية . إن أشكال الممارسة الديمقراطية ،كأشكال الحكم القومى ،هى ظواهر أيديولوجية تطبيقية ينبغى أن ندرسها ونقيمها فى سياقها الاجتماعى والتاريخى الخاص ولا ينبغى أن نفرض عليها أشكالا أو أحكاما من سياق اجتماعى أو تاريخى مختلف»(٤٨)..

وليسمح لى الأستاذ العالم أن أتوقف معه قليلا عند تحليله لمفهوم الديمقراطية وآليات عمله فى الواقع السياسى ودعوته إلى دعم هذه الديمقراطية الموجهة من أسفل ومن القاعدة ،حيث إننى أود أن أوضح أن هذا الأسفل وهذه القاعدة هما القائمان على فرز هذا التشكيل السياسى وعلى تنمية وتعميق المشاركة الديمقراطية والتى تنتعش بدورها فى ظل علاقات الصراع الرأسمالى القائمة بذاتها على التعدد ،والمنافسة كشروط موضوعية لتشكيل بنية رأسمالية ، وكلما كثر هذا التعدد واحتدت المنافسة كلما انتعشت المشاركة الديمقراطية فى عمق العلاقات الاجتماعية فارزة هياكل مؤسسية وتنظيمية تستوعب علاقات الجماهير وقضاياها .

الديمقراطية إذن ظاهرة موضوعية نشأت فى أوروبا كما نشأت فى المجتمعات العربية إنعكاسا جدلياً لنضج عوامل اجتماعية وتاريخية محددة. الإشكال إذن ليس فى كونها ديمقراطية ليبرالية بالمفهوم الأوروبى أو ديمقراطية موجهة بالمفهوم العربى كما يتبناها الأستاذ العالم. لكن جوهر البحث فى كونها ديمقراطية أم لا ، ديمقراطية بالمعنى المادى التاريخى المتحقق داخل سياق رأسمالى محدد ،فليس هناك مجال للشك فى أن مفهوم الديمقراطية هو ابن العلاقات الرأسمالية وأحد المؤشرات الموضوعية الدالة على وجود الرأسمالية اجتماعيا كمرحلة تاريخية، وهذا المفهوم ناتج بلا شك عن إزدهار قيم الليبرالية فى خبرة التجربة الأوربية والأمريكية ونتيجة لسلسلة طويلة من النضالات الطبقية والسياسية لبرجوازيات القرن الثامن عشر والتاسع عشر .أما إشكالية الممارسة الديمقراطية لدى حركات تحرر العالم الثالث عامة والعالم العربى على وجه الخصوص إن هذه الحركات حاولت تخليق الديمقراطية فوقياً من خلال الأنظمة الحاكمة ولم تنشأ من رحم علاقات الصراع التحتية تعبيراً عمليا عنها إلا بشكل نسبى مؤخرا لدى بعض التجارب التى استوعبت فعل التعدد والمنافسة .إلا أنها فى تقييمها النهائى لا تزال ديمقراطية موجهة من أعلى بيد أن الأستاذ العالم يراها أحيانا ديمقراطية أكثر إنسانية من الديمقراطية الليبرالية . وإن كنت أختلف مع نبرة التقييم الأخلاقى لموقف الأستاذ العالم من مفهوم الديمقراطية إلا أننى حاولت فى السطور السابقة أن أرى الديمقراطية كمفهوم موضوعى متحقق مادياً دون الحكم على بنية الصراع التعددى والتنافس بأنه يطرح شكلاً ديمقراطياً لا إنسانيا ،كما أن فكرة السياق الاجتماعى والتاريخى الخاص لا تجيز لنا أن تلغى الملابسات التأثيرية والتفاعل الحضارى العالمى

وتداخل علاقات الصراع على المستوى العالمى وهى عوامل لا تقل تأثيراً عن العوامل الاجتماعية الداخلية الخاصة.

وعلى الرغم من هذا فأنا لا أعتبر الديمقراطية فى البلاد العربية مجرد صدى للديمقراطية الغربية أو إنعكاسا ميكانيكياً جامداً لكننى أعتبرها مفهوماً له شروط مادية وتاريخية محددة لتحققه اجتماعيا ، هذه الشروط قد تختلف وتتمايز مظهريا ونسبيا من بلده إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر حسب نضج علاقات القوى الطبقية فيه إلا أنها فى حسابها النهائى لها تكوين «وبنية تشكيلية واحدة هى التعدد والمنافسة أى الرأسمالية فى النهاية . وأعتقد أن موقف الأستاذ العالم من مفهوم الديمقراطية وأشكال ممارساتها كإحدى الظواهر الأيديولوجية التطبيقية قد تجدد مع المتغيرات التى طرأت على الحضارة العالمية فى الربع قرن الأخير حيث إن حديثه هذا قد مر عليه حوالى سبعة وعشرون عاما إلا أننى أراه ما زال متجدداً فى كثير من مواضعه ومقدماته ، واستنتاجاته التحليلية وكأنه كان يستشرف الكثير من المتغيرات التاريخية .وفى نهاية الموقف من الايديولوجية يوصى الأستاذ العالم« ألا نكتفى بالتحليل الاجتماعى العينى فحسب بل أن ندرس الايديولوجية فى حركتها التطبيقية التاريخية، أن نرتفع فى دراستنا للايديولوجية من مجرد لدراسة التحليلية الخالصة ، من مجرد دراسة المكتبية أو التجريبية الميدانية ، إلى الممارسات النضالية كذلك، إن دراسة الايديولوجية هى فى ذاتها مشاركة فى معركة نضال اجتماعى وتاريخى ، إنها لا تتحقق بالتأمل النظرى العقلانى فحسب، بل الممارسة الثورية كذلك، إن كل الدراسات الايديولوجية فى العالم بل الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة هى جزء أساسى بصورة مباشرة أو غير مباشرة من معارك عصرنا الراهن . إن علم الاجتماع الأمريكى بمدارسة المختلفة هو سلاح من أقوى أسلحة الترسانة الأمبريالية الأمريكية العسكرية والفكرية على السواء . إن النظرى والعملى يتلاقيان تلاقيا حميماً فى الدراسات الإنسانية والاجتماعية خاصة»(٤٩).

هكذا يلتقى النظرى والعملى، الذاتى والموضوعى ،الفكرى والنضالى عند أمين العالم ، إن هذه الرؤية الجدلية والشمولية والكلية فى أن واحد هى ما يميز موقف الأستاذ العالم من الأيديولوجية بل وما يمتاز به فى إنتاجه الفكرى والفلسفى بشكل عام.

الحقيقة أننى لا أود أن يتحول الحديث إلى احتفالية إعلامية أو مجاملة صحفية للأستاذ أمين العالم ، وهذا ما ذكرته منذ البداية حتى أحافظ على القوام الموضوعى لهذه السطور ، فأنا لست على معرفة شخصية مباشرة بالأستاذ العالم- وهذا من سوء حظى- إلا أننى لا أنسى أول لقاء معه ، وكنا فى بداية عقد التسعينيات من القرن العشرين ولم تكن مفاهيم العولمة، وما بعد الحداثة، وثورة التكنولوجيا الاتصالية قد أخذت هكذا فى الانتشار والسيطرة على السياق العالمى كما هى عليه الآن، ولم تكن قد تحددت معالمها بعد، وفى سؤال منى للأستاذ العالم حول طبيعة المتغيرات فى النظام العالمى القادم ، كانت إجابة هذا الرجل تنظر إلى الأفق البعيد القادر على رصد المتغير التاريخى ، والمستوعب نقدياً لكافة التحولات فقد أجابنى يومها بتحليل لم أنسه وذلك لتحقق

الكثير من استنتاجاته فيما بعد ، قائلا فى تنبؤ وتأمل «أعتقد أن هذا العالم يتجه نحو حضارة عالية واحدة تحت مفهوم العولة على اعتبارها الشكل الأخير أو آخر الأشكال التى أفرزها النظام الرأسمالى العالمى، فهى عولة نظام رأسمالى عالمى يسيطر عليها منتجو هذا النظام، ويلعب المهمشون والمستهلكون دوراً فيها فتصبح العولة من هنا مستقطبة لمصلحة أطراف معينة فهى استقطاب للاستقلال حيث تسعى من خلال جهازها الاعلامى والتكنولوجى إلى تنميط العالم سياسياً وأيديولوجيا وثقافيا هادفة إلى إلغاء الحدود الجغرافية والسياسية ، وبالتالى تسعى العولة لإلغاء الخصوصيات الثقافية ،والقومية ، وإلغاء الدور الإنتاجى للدولة، وتحولها إلى دولة بوليسية أمنية، تدافع عن مصالح إنتاج رأسمال المركز الأوروبى الأمريكى.

هكذا رصد الأستاذ الكبير محمود أمين العالم منذ حوالى سبع سنوات المتغيرات التاريخية التى نحيا بنتائجها اليوم بالفعل ، فبالرغم من مضى هذه السنوات على حديثه إلا أنه كما نرى حديثا فى عمق واقعنا المعاصر لرصد آخر التشكيلات الرأسمالية الراهنة.

كم كنت أتمنى أن يمتد هذا المخطوط لملاحقة كافة مواقف الأستاذ العالم، وكم أنا أسف على أنه جاءت سطوره متسرعة، وإنتقالاته الاستنتاجية متعجلة ، راجيا أن أكون قد شكلت بانوراما عامة حول بعض مواقف الأستاذ العالم فى تجربته الفكرية وتجليات رؤيته الكلية حول هذه المواقف ،وكم كنت أود مناقشة هذه المواقف بعمق أكثر ، فهناك العديد والعديد من مواقف الأستاذ العالم كنت أود مناقشتها ،مفهومه عن« الواقع النظرى» وعن «الخصوصية التاريخية» وعن «الثورة» وموقفه من الثقافة ، ومن الحداثة ومن كافة المفاهيم والمتغيرات التى طرأت على الفكر المادى الجدلى، مواقف عديدة وقضايا متعددة وإنتاج علمى جبار يمتلكه هذا الرجل واقفا على ناصية رؤية كلية للإنسان صاغتها تجربته الفكرية والحياتية على مدار ثمانين عاماً ، مهارة تحليلية ، وقدرة استنتاجية بالغة القوة والنفاذ ،وعمق فى رؤيته الاجتماعية ، واستشرافه للتاريخ» تحية إلى هذا العملاق فى يوم ميلاده، أطال الله فى عمره حتى نحتفل بيوم ميلاده المئوى.

الهوامش

١- محمود أمين العالم ، حديثه فى ميلاده السبعين ١٩٩٢ ، عدد ٨٦ من أدب ونقدص١٧.

٢- يعرف عن الأستاذ أمين العالم ممارسته للشطرنج وخبرته الكبيرة فى اللعبة.

٣-محمود أمين العالم،الإنسان موقف ، طبعة الأعمال الفكرية لمكتبة الأسرة ٢٠٠٢ص٢٠١.

٤-محمود أمين العالم ، الإنسان موقف ، طبعة الأعمال الفكرية لمكتبة الأسرة ص٢٠٢.

٥-محمود أمين العالم ، حديثه فى ميلاده السبعون ١٩٩٢ ، عدد ٨٦ من أدب ونقد ص١٢ ،١٣.

٦-محمود أمين العالم ،الإنسان موقف ،مرجع سابق ص٢٠٣.

٧- أدب ونقد ،مرجع سابق ص١٣.

٨-محمود أمين العالم -الوعى والوعى الزائف ، طبعة دار الثقافة الجديدة ١٩٨٦.

٩-نفس المرجع ، ص٢٢٢.

١٠-نفس المرجع، ص٢٢٣.

١١- نفس المرجع ، ص٢٢٣.

١٢-نفس المرجع ، ص٢٢٤.

١٣-نفس المرجع، ص٢٢٥.

١٤-نفس المرجع، ص٢٢٤.

١٥-نفس المرجع، ص٢٢٤.

١٦-نفس المرجع،ص٢٢٥.

١٧-نفس المرجع، ص٢٢٥.

١٨-نفس المرجع، ص٥٥

١٩-نفس المرجع، ص٦٩.

٢٠-نفس المرجع، ص٦٩.

٢١-نفس المرجع،ص١٩.

٢٢-نفس المرجع،ص٣٠٢

٢٣-نفس المرجع، ص٦٦.٦٧.

٢٤-محمود أمين العالم، مفاهيم وقضايا إشكالية ، دار الثقافة الجديدة ١٩٩٠ ص٥٥.

٢٥-الوعي والوعي الزائف، مرجع سابق ، ص٢٩٤.

٢٦-نفس المرجع ، ص٢٩٣.

٢٧-نفس المرجع، ص٢٩٤.

٢٨-نفس المرجع، ص٢٩٤.

٢٩-نفس المرجع ، ص٢٩٩.

٣٠-نفس المرجع ص٢٩٩.

٣١-نفس المرجع، ٣٠١.

٣٢-نفس المرجع،ص٣٠٢.

٣٣-نفس المرجع،ص٣٠٢.

٣٤-نفس المرجع،ص٣٠٣.

٣٥-نفس المرجع، ص٣٠٣.

٣٦-نفس المرجع، ص٣٠٣.

٣٧-نفس المرجع، ص٣٦

٣٨-نفس المرجع، ص٣٦

٣٩-نفس المرجع، ص٣٧

٤٠-نفس المرجع، ص٣٨

٤١-نفس المرجع ص٣٨.

٤٢-نفس المرجع ص٣٩.

٤٣---نفس المرجع ص٤٠.

٤٤---نفس المرجع ص٤٣.

٤٥---نفس المرجع ص٤٣

٤٦-نفس المرجع ص٤٣ .

٤٧-نفس المرجع ص٤٣.

٤٨-نفس المرجع ص٤٤

٤٩ نفس المرجع ص٥٠-

حدائق النساء : فى نقد الأصولية "

صفاء النجـار

مشهد تأسيسى

ذات مساء ، بينما أتطلع إلى أعالى شجر الليمون الذى يملأ حديقتنا سألتنى جدتى عن سبب تحديقى فى الفروع.

فأجبتها بخبرة سنينى السبع : أريد أن أعرف إلى أين ستصل.

ربتت السيدة العجوز ذات الأصابع الخشنة على رأسى وقالت :

– أولى بك النظر إلى جذوعها

* * *

مشهد متكرر

تدق السيدة الثلاثينية التى تمسح سلم العمارة كل أسبوع على باب الشقة أفتح لها ..

تسألنى وهى محنية على " الخيشة" تنظف " البسطة " وجلبابها المبتل يلتف حول وسطها والبنطلون " الكستور " مرفوع حتى الركبتين

– عايزة حاجة ..؟

* * *

مابين المشهد التأسيسى والمشهد المتكرر كانت عشرات المشاهد الصغيرة التى لاتعيشها سوى النساء تتوالى لعينى وأنا أتابع ندوة الكتاب الموجع " حدائق النساء فى نقد الأصولية " الذى قسمته الكاتبة فريدة النقاش إلى ثمانية عشر فصلا قدمت من خلال صفحاته المائة وأربع وستين عرضاً وتحليلاً لأوضاع المرأة المصرية والعربية تاريخياً وواقعياً من خلال مناقشة الأطر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفقهية التى تسور حدائق النساء ويمنع أشجارها الوصول إلى الشمس أو الهواء . هبة الله لكل مخلوقاته دون امتياز أو تمييز لأحد.

قدمت الندوة الشاعرة « غادة نبيل » التى استوقفتها اللهجة الموضوعية التى كتبت بها « فريدة النقاش» صفحات الكتاب رغم الألم الكبير الذى يطغى على واقع النساء والذى توليه الكاتبة اهتماماً كبيراً . ففى الواقع يتم تفريغ الحقوق التى تحظى بها المرأة من محتواها ويتم إبطال نصوص وتفعيل نصوص أخرى لصالح قهر المرأة وتكون المحصلة هى الأخذ بما يقيد المرأة ويكبلها.

اللهجة : الموضوعية لم تكن وحدها التى استوقفت مقدمة الندوة بل كانت هناك أيضا لهجة النقد الذاتى للعديد من التيارات الفكرية منها " نقد نظرة تيار الاسلام السياسى للمرأة " ونقد نظرة التيار الليبرالى للمرأة"

وفى ختام تقديمها للندوة تساءلت غادة " هل المفاهيم الإجتماعية لاتتغير إلا بالقوانين الفوقية أم أن التغير لابد وأن يكون له تمهيد عند القاعدة العريضة من البسطاء " وذلك فى إشارة إلى ماقدمه الكتاب عن موقف الرئيس التونسى السابق الحبيب بورقيبه من قضية المرأة ، واستنارة وتفرد التجربة التونسية ، ومن التساؤل الى الاستمتاع بقراءة الكتاب انتقلت دفة الندوة للحديث عن كتاب مفعم بالحرارة كما وصفه د. على مبروك فى قراءته النقدية التى ركزت على النقاط التى تقاطع فيها مع الكتاب وهى

* تجاوز الكتاب المقولة السطحية التى تقول إن تحرر النساء مرتبط بتحسن شروط البنية الاقتصادية .

* إن الكتاب ربط شروط تحرير المرأة بشروط التحرر الإنسانى

ولكن الكتاب به " توتر" وهذا التوتر من قبيل مايثرى ومايغنى فالكتاب استطاع أن يصل إلى أن قهر المرأة هو بمثابة قناع للقهر الإنسانى.

وأوضح د. مبروك فى نظرة بانورامية إلى معضلة الاستبداد العربى الذى يهيمن على القضاء العام للممارسة العربية ويجد دعماً له مما يمارس من قهر فى القضاء الخاص ، فالقهر السياسى يخفى نفسه من خلال القهر الموجه ضد المرأة ، فالمقهور فى القضاء العام يتحرر تحرراً زائفاً من خلال ممارسة القهر أو إعادة انتاج القهر فهناك تدوير لانتاج القهر وعندما أتحول إلى قاهر صغير أقدم للقاهر الأكبر شروط قهره.

فنحن نحتاج إلى تفسيرات وتحليلات علم النفس السياسى لهذه الظاهرة كما نحتاج إلى اكتشاف منطقة تلاقى مشتركة حتى لاتتحول المسألة إلى صراع بين المرأة والرجل . كما نحتاج إلى تحرير الدينى من قبضة القهر نفسه ، فالبنية الفقهية الدينية التى يستند إليها القانونى والتشريعى فى القهر الذى يمارس ضد المرأة هى نفسها نتاج وضع قاهر ، فرضه القهر السياسى.

وفى ختام قراءته نبه د/ على مبروك أن الأصولية ليست مضموناً معرفياً فقط ولكنها نظام تفكير أيضا.

أما د. إيناس طه فقد لفتت الانتباه إلى عنوان الكتاب " حدائق النساء" فهى ترى أنه عنوان لافت يومى بمعانى الخصوبة والإثمار والازدهار

وطرحت عدة تساؤلات عن

١) الحركة النسائية الجديدة فهل هى حركة متحققة أم أننا إزاء ارهاصات حركة نسائية جديدة تسعى للتشكل

٢) عدم انجذاب الجماهير العادية للحركة النسائية حالياً

٣) الخلط بين العداء للرجل والصراع مع الرجل.

وأوضحت أن الصراع لايعنى العداء فالتيارات الغربية هى التى أحدثت مصطلح العدو الحميم وأطلقته على الرجل ، والصراع من شأنه أن يجعل العلاقة أكثر إنسانية

٤) المرجعية المثلى التى ننشد الاستناد إليها

فهى ترى أن اختيار المرجعية العالمية لحقوق الانسان يبدو أسهل وأصوب ولكنه سيقابل بمعوقات عند التنفيذ.

وكالفجر الذى أطل كالحريق كانت مداخلة الروائى سعد القرش التى بدأها بتحية الكاتبة فريدة النقاش التى يقف وراء كتابتها فكر على عكس العديد من الكتابات الأخرى التى تمتلأ بالعويل.

وبعد هذه الطريقة البطريركية لمنح البركات والحرمان من الغفران تساءل القرش لماذا التمسك بالأدب النسائى -؟ وذكرنا بأن الرجل يتعرض مثله مثل المرأة بل وأكثر لقهر مضاعف وهددنا بأن التمسك بالحديث عن قهر المرأة سوف يحصر هذه القضية فى النخبة.

ولما كانت مديرة الندوة امرأة فقد أطلعت الحاضرين على سر ربما لاتشعر به سوى النساء تعقيبا على مداخلة " القرش" بأن المرأة لاتستطيع أن تجلس فى مكان عام دون أن تتعرض لمضايقات الآخرين وحينما يصل الأمر لذلك فانه من الصعب أن نتقبل مقولة معظم الزملاء لانتكلم عن القهر لأننا مقهورون أكثر " لأنه يوجد

قهر ويوجد قهر مركب تتعرض له المرأة العاملة والمرأة السوداء لا لسبب سوى أنهن نساء فهناك مستويات للقهر تقع على النساء لايمكن للرجال تخيلها. والتقطت السيدة مديحة أبو زيد الخيط من غادة لتتحدث عن قهر المرأة لنفسها وقهر الفقر للمرأة.

ويبدو أن طول الحديث فى هذا الجزء من الندوة عن القهر قد أجبرد/ على مبروك على التدخل والدعوة لتبنى مشروع بحث يتصدى للقهر العام وأن نوجه عملنا نحو المستقبل أما . (الأستاذ مصطفى محمود مترجم كتاب نساء يركضن مع الذئاب.

توجه بسؤال للدكتورة إيناس طه " كيف نجد المرجعية الدينية المستنيرة "

ويسؤال للكاتبة فريدة النقاش " كيف تصبح الحركة العالمية لحقوق الإنسان هى المرجعية "

أما الكاتب حسين عبد الرازق فقد أوضح فى مداخلته أن النخب الحالية معزولة عن الجماهير بسبب الوضع السياسى الحالى الذى يرفض أى علاقة فاعلة بين النخب والجماهير.

وأكد أن القهر ليس عاماً فهناك فئات يقع عليها قهر مزدوج ومنها المرأة ولابد من التنبه لذلك.

ولأنه شريك حياة السيدة فريدة فقد أضاء لنا منطقة فى التركيبة النفسية للكاتبة وهى تعاطفها وشعورها بالهم الحقيقى لأوضاع المرأة والحساسية العالية ضد كل أشكال الظلم أى كان رغم أنها متحققة ككاتبة وسياسية وإنسانة .

وفى ختام الندوة أجابت الكاتبة فريدة النقاش عن التساؤلات التى طرحها المشاركون فى الحوار

وأكدت أن الأصوليات لايمكن أن تتساوى ، فلا يمكن أن نساوى الأصولية الماركسية بالأصولية الدينية فالأصولية تنطبق على الدين ولاتنطبق على العلم.

وقالت " أظن أن كتابى بدرجة أو أخرى يدخل فى إطار التحليل الموضوعى العلمى وأرجعت كون الحركة النسائية حركة نخبوية إلى أزمة الديمقراطية التى يعيشها المجتمع المصرى والعربى.

كما تمسكت بالمرجعية العالمية لحقوق الانسان كأساس لتحرير المرأة والمجتمع فالحركة العالمية لحقوق الإنسان هى محصلة القيم الإنسانية وقد كان لنا مشاركتنا فى صياغة بنود ميثاق حقوق الانسان حيث شارك كل من محمود عزمى المسلم من مصر ، وشارل مالك المسيحى من لبنان فى صياغة الميثاق وشاركت عزيزة حسين من مصر فى وضع نصوص الاتفاقية الدولية لإلغاء التمييز ضد المرأة فهذه المرجعية لاتبتعد عن روح الاسلام ، أما فيما يتعلق بالتأويل المستنير للدين فهى مع الدفع للتنوير الدينى لكن الواقع يقول إنه توجد دائماً محاولات قطع وتكسير لأى اجتهادات مستنيرة.

وقالت" نحن فى حاجة لبلورة هذا الموضوع فى المستقبل ومناقشته "

موضوع آخر طرحته الكاتبة فريدة النقاش هو رفض النظام الناصرى الاعتراف بالمرأة ككائن مستقل رغم أنها حصلت فى ظل ثورة يوليو على حق التعليم والعمل والمشاركة السياسية إلا هذه الحقوق ظلت مرهونة بعلاقاتها الزوجية ورفض النظام تغيير أى بند فى قانون الأحوال الشخصية ولم تكن لديه نظرة متكاملة لقضية تحرر المرأة باعتبارها مواطنا كاملا فمثلا عندما تعرضت الوزيرة د. حكمت أبو زيد إلى احتمال إعتراض زوجها على سفرها استنادا إلى قانون الأحوال الشخصية صدر قرار وزارى يقضى بأنه طالما وافق الزوج على إصدار جواز سفر للزوجة فان هذا يعتبر موافقة على سفرها ولكنه لم يساوى بين الرجل والمرأة فى حق استخراج جواز السفر دون موافقة من أحد واعتمد ذلك كله على مفهوم القوامة.

مشهد ختامى:

بعد انتهاء الندوة ، سألنى أحد المشاركين باستنكار " أنتوا مقهورين ؟!

وأردف بسرعة " ربنا ياخدكم"

لم أعقب . لكن روحى امتلأت بالإشفاق على محاولته المستميتة للتشبث بحصن الامتيازات الذى يحتمى به. ودعاءً بدعاء وجدت نفسى أردد" اللهم إمنحنا القدرة على دق الأبواب ونحن على ثقة أنك ستفتحها".

قصـــة

مشهـــد ليلـى

رنا حايك

كان قصيراً ، لكن قصر قامته لم يكن يمنعه من الوصول إلى فوهة صندوق القمامة الذى كان يقذف على مدار الساعة روائح فضلات أهل المدينة.

كان الصندوق بمثابة معرض للفن التشكيلى بألوانه المركبة وأشكال محتوياته المشوهة.

عندما يقئ النظام والبلد والمجتمع المنغلق فتظهر أنت وسط سائل أصفر تكاد تختنق.

هذا ماكان يشعر به . فكيف يقرف من بحر الزبالة الذى يسبح فيه فى المستوعب الأخضر المنسى على جانب شارع المتخمين.

شاركته هرة فى المواء المقلوب شاركها ليله المظلم والجوع.

مر على جنب الطريق عاشقان يمشيان على وقع همساتهما الساحرة وقبلة مسروقة ضاعت بين ثنايا اللحظة . نظر إلى الهرة فماءت.

نظر إلى السماء ، ثم انكسرت جفونه وتحركت عيناه فعادت إلى المستوعب أمامه . بطانية موردة مزخرفة أهملت بسبب مزق بسيط لحق طرفها . ترى الست لاتعرف فى الرتق ؟ أم أنها تخشى على أصابعها من وخز الإبر؟

حمل البطانية زاد ليله ومشى يقيس الدرب فى تعاريج المدينة الملتوية المنحنية كتقاطيع المرأة جسداً ونفساً.

يقطع الصمت بنوبة سعال من حين لآخر ويقتل الوحشة بصفير خافت ترقص أضواء الشارع على أنغامه الناعسة .

– يا أولاد الملاعين !

صرخ من قلبه ، فقد أنسته الوحدة حنجرته وأوتاره الصوتية.

صرخ داخله منزعجاً من هذا الجيل الذى يهوى سباق الدراجات النارية على أوتوسترادات الليل المقفرة . وبدأ انزعاجه يتصاعد كلما اقترب الصوت.

إلى أن مرت الآلة بسرعة البرق واجتازته بلمح البصر فوقف مذهولاً بيدين فارغتين.

– لاحول ولاقوة إلا بالله . قالها وضحك لأول مرة منذ أسابيع.

كتابان جديدان صدرا معاً للكاتب الكبير إدوار الخراط (المشهد القصصى) ويقول فيه إن الإبداع القصصى المصرى ما زال يتدفق صادراً عن ينابيع التراث التقليدى أو الشعبى على السواء ومغامراً نحو التجريب والحداثية. والكتاب الثانى (القصة والحداثة) ،والحداثة كذلك فى القصة المصرية تنطوى على قلق لا يريم وعلى نوع من الهدم المستمر فى الزمن دون أن يتحول إلى بنية ثابتة ،وتنطوى على سؤال مفتوح لا تأتى السنوات باجابة عنه.

الجدير بالذكر أن صدور الكتابين تزامن مع بلوغ الكاتب الكبير العام السابع والسبعين وقد أقام له مركز الحضارة العربية –مكان صدور الكتابين–احتفالا بمكتبة القاهرة وتضمن الاحتفال ندوة وحفل استقبال وتوقيعاً.

السودان أهوال الحرب ..وطموحات السلام

عن دار تراث ، صدر للدكتور ،منصور خالد كتاب« السودان» ، أهوال الحرب، وطموحات السلام، قصة بلدين .فى هذا الكتاب يرى منصور خالد أن السياسة السودانية منذ الاستقلال وعبر نصف قرن مضى دأبت على أن تجعل السودان بلدين شمال يدور حول نفسه ،وجنوب مكلوم، تسأل الكاتب وماذا بعد كل هذا التاريخ المثقل بأوضار الماضى؟ وهل يمكن للسودان أن يصبح أمة واحدة ، ولاسيما فى ظل وعى جمعى مرهق بحمل ثقيل من تلك الأوضار ؟ إن المؤلف ودرأ للشبهات يرى ضرورة أن لا نرى فى عنوانه الفرعى« قصة بلدين» حكماً استباقياً ، إذ أنه بروح لا يعوزها التفاؤل يفتح نصه على احتمالات شتى ، يعضد الواقع المر من ضرورة الانفتاح عليها أما الاحتمال العزيز فهو بلاشك يرتبط فعليا برغبة الأخيار من أبناء السودان فى وحدة طوعية حقيقية ،تكفل لجميع الأطراف حياة جديرة بأن تعاش.

نفاج

نفاج تعنى : باب صغير فى البيوت السودانية القديمة يصل بين الجيران .وتعنى أيضا اسم المجموعة الشعرية الجديدة للشاعر السودانى «محجوب شريف» صدرت عن «تراث» يمكن القول إن مساهمة محجوب شريف الشعرية تحمل قيمة معيارية فى سياق الحداثة الشعرية السودانية أى أنه يمكن أن تقاس من خلالها درجة تطور ما سبقها وما أتى لاحقا عليها من منجز شعرى باللغة العربية الشعبية (المحكية) لشمال السودان.

والشاعر محجوب شريف ، غنى له محمد منير وسمى ألبوم شهير له باسم شطر من قصيدة للشاعر:

بناضل وبتعلم
تلميذ فى مدرسة الشعب
المدرسة فاتحة على الشارع
والشارع فاتح فى القلب
والقلب مساكن شعبية.

الشاعر محجوب شريف بلغ درجة أحال البراعة الشعرية نفسها إلى هبة الوطن والناس

،فالسنبلاية بعض أنفاسه إلى الشعب والأصدقاء والذين لولاهم كما قال «لما كانت وكنت» ،وكل شعره سعى إلى وجه الوطن ، مهما بهظت الأثمان وله فى ذلك فعل مشهود.

حكايات أصلان وخلوة الغلبان

حكايات من فضل الله عثمان ، قصص لكاتبنا البارز ابراهيم أصلان ، الكتاب صدر عن دار ميريت ، أما «خلوة الغلبان» الكتاب الثانى لأصلان فقد صدر عن دار الشروق هذا الكتاب الأخير وكما جاء فى كلمة الناشر:

يقدم جانبا بديعا من إبراهيم قد لا يعرفه الكثيرون إلى جانب معرفتهم به كقاص وروائى كبير، وهو إبراهيم «الناشر» صاحب اللقطة البالغة الذكاء والإحكام والانضباط ، والقائمة أساسا على الاستبعاد من أجل استخلاص الجوهر وتخليصه، إنه يرى غير العادى فى العادى ،ويحول الواقع المألوف إلى شعر خالص.

أصلان فى أحد وجوهه التى لا يعرفها الكثيرون «ناشر» وهذا الكتاب ، ضم عدداً من لوحاته ولقطاته وصوره تحت عنوان أكثر منْ دال «خلوة الغلبان».

كائن خرافى غايته الثرثرة

اسم المجموعة الشعرية الجديدة للزميلة نجاة على ، صدرت المجموعة عن سلسلة الكتاب الأول ، المجلس الأعلى للثقافة ، تقول نجاة فى إحدى قصائدها:

وأحب أيضا هذه الطرقات المظلمة والتى لا يمر بها سوى المشوهين ، ربما أستطيع أن أكلمهم فيصيروا أصحابا لى، أو ربما لأكلم نفسى عن المجانين الذين يحتلون رأس هذه الأيام وأفكر فيهم بسذاجة ، وصورهم التى تسكن سقف الحجرة وأصواتهم التى تبدو مخيفة بهذا الشكل ، وأثرثر بالكلمات التى صارت ميتة مثلى.

رقص أفريقى

رقص أفريقى ، الرواية الثانية للكاتب عصام راسم فهمى بعد روايته الأولى «الحكروب» فى هذه الرواية- صدرت عن سلسلة كتابات جديدة ، هيئة الكتاب- ينتقى الكاتب زاوية مختلفة ووعالما مختلفا عن روايته السابقة ،فالرواية تغوص فى قلب الأسطورة والحكاية الخرافية بلغة حكاء متمكن ، قادر على دمج الحكاية الخرافية بالواقع المعيش ،والأسئلة الكبيرة عن الموت والوجود ، بالبحث عن ظل تحت شجرة اتقاء للشمس المحرقة، الراوى يجد نفسه دائما يعود إلى جواب واحد مختصر بعد كثرة أسئلته ، ذلك الجواب هو الكون والوجود بأسراره وعلاقاته العجيبة المتداخلة ، وعلينا قبوله والاشتباك معه .

رأس إسماعيل

رأس إسماعيل- من حكايات الفراشة واللهب- رواية صدرت للدكتور مأمون البسيونى ، عن دار ميريت، هذه الرواية وكما يشير العنوان الفرعى لها ،من حكايات الفراشة واللهب ، الكتاب السابق الذى صدر للكاتب وكان يحوى مذكراته الاجتماعية والسياسية مندمجة مع هموم الوطن . لكن فى هذه الرواية يركز الكاتب عدسته على أشخاص وأماكن وأحداث بعينها مستندا إلى خبرته الطويلة وحكاياته شديدة التشويق ،والمأساوية فى آن.

الكوميديا الشيطانية

رواية للكاتب هانى الرفاعى ، صدرت عن دار ميريت ، نجتزئ منها هذه الفقرة ، حبيبة تخرج من بين الضباب الأرجوانى تغتسل بالدم، تشرب الصديد ، تلبس عقود العاج وتلقى بالبخور المقدس داخل مبخرة سحرية ، نتارس طقوسا شيطانية أمام أحد السحرة ، أشارك حبيبة فيما تفعله نقدم الأطفال قرابينا للنيران ، نقرأ الأوراد والطلاسم نرسم بالطين على أجسادنا ، ندق الوشم على ظهورنا ، على أنغام الطبول الأفريقية نرقص كقرود بدائية.

النور قارب على الزوال

الفرق أجساد
حين تقلق دونها الأبواب والنوافذ
تتعفن أعضاؤها
وتمحى الحواس

فقرة من الديوان الجديدة «النور قارب على الزوال» للشاعر والصحفى محمد الحمامصى ، صدر الكتاب عن سلسلة كتابات جديدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سيف الجلالة

شعر بالعامية المصرية لأحمد الصعيدى عن سلسلة أصوات أدبية ، هيئة قصور الثقافة ، يحاول الشاعر فى مجموعته دمج همومه ومشاكله الشخصية بهموم وقضايا الوطن ، من حى سيدنا الحسين إلى رفح إلى فلسطين ومن الواد اللى يسرح بالمناديل إلى محمد الدرة ومن بغداد والبصرة إلى القاهرة.

ليل

مجموعة قصصية جديدة للكاتب، إبراهيم الحسينى صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة يقول الناقد إبراهيم فتحى عن المجموعة : تجسد القصص مرأى وملمس وطعم ورائحة أيام وليال لقطاع واسع من الناس ، يستمد شعريته غير التقليدية من انقلاب الوضع والكشف عن تجل ولا توجد فكرة مجردة تحدد البناء الذى ينبع من منطق التفاصيل بعيداً عن أن يكون قالباً مفروضاً.

الإغارة على الحدود

دراسة فى أدب إدوار الخراط ، صدر عن مركز الحضارة العربية للكاتب والمترجم المعروف ماهر شفيق فريد . نتاج إدوار الخراط –كما يراه مؤلف هذا الكتاب– إغارة مستمرة على الحدود: حدود فاصلة بين الواقع والحلم ، الجسد والروح ، الفصحى والعامية ، وذلك فى محاولة دائبة لدأب الصدع بين هذه الأقطاب المتقابلة ، وتحقيق التكامل الجسدي والروحى والعقلى للإنسان.

فى النهاية أيضا ستكون الكلمات

على عوض الله كرار

كان ياما كان ، واحد صايع صغير وحويط ، نط فى المحيط هرباً من ناس أصيع منه ، وعام وعام وعام ، لغاية ماعبر المحيط ووصل بعد نحو عام إلى أرض كبيرة جداً ، تساع قارته القديمة بناسها كلهم . وكان للأرض دى أصحاب عددهم قليل ، وعايشين متنتورين ومنورين مكانهم بثقافة وفن وشعر .. والصايع الصغير لما التقى صيع آخرين من ملته ، إتشجع وحارب الأصليين ، وقتل منهم أعداداً كثيرة ، وشتت شمل ماتبقى .. وبهكذا صارت القارة الجديدة قارته.

طبعاً ، الصايع الصغير دا كان كبر ، وتزوج ، وخلف بنين وبنات تزوجوا هم كذلك من أولاد وبنات الصيع الآخرين .. وعاشت العائلات دى ، هيه وأحفادها ، وأحفاد أحفادها ، على تراث الصياعة المتد مئات السنين لورا .. وكان لازم (والتراث دافع للغرائز نحو إعادة مجد أجدادهم) يعيدوا إنتاج ماعمله هؤلاء الأجداد .. ولكن كان خلاص ، كل قارات الكرة الأرضية كان تم اكتشافها ، ومعرفة مجاهيلها ، فيعملوا إيه ؟.. يعملوا إيه ؟ .. آه .. لقيوها .. وكانت طبعا أسهل مما حدث أيام أجدادهم وبدل ماينطوا فى سائل المحيط المائى وبس .. نطوا أيضا فى غازات المحيط السماوى ، وقعدوا يكنسوا الدول من شعوبها . دولة ورا دولة ، وبعد ماتحقق غرضهم وانبسطوا على الآخر ، التقوا مصانعهم الجبارة الشغالة وحدها ، دونما شغيل واحد عمالة ترمى على الأرض إنتاج ورا إنتاج .. وكأن حنفية مياه مفتوحة عن آخرها .. وكل صندوق ينزل يزيح الصندوق اللى قدامه ، واللى قدامه يزيح اللى قدامه ، وهكذا لغاية مازاح الصندوق اللى قرب الساحل ، الصندوق اللى أصبح على حافة مياه المحيط ، فوقع وغطس وراح ، ووراءه الصندوق الثانى فالثالث فالرابع ، ورغم كده اللى فضل من الإنتاج ما التقوش العدد الكافى من السكان يشتريه ، وحتى هذا العدد ماعدش معاه فلوس ، إلا على قد العيش والغموس ، فوقفت الصناعات الجبارة ، وماعدش هناك لزوم لوجود العلماء ، ولوجود الكليات ، ولوجود معاهد ومراكز البحوث العلمية وغيرها ، والخدمات اللى زى المستشفيات ومدارس التعليم وغيرها ، ماالتقتش تبرعات تكفل استمرارها ودوامها ، فارتفعت المصاريف والتكاليف فوق ارتفاعاتها السابقة ، فى الوقت ذاته أجور أهل القارة الجديدة كانت قلت ، وبالكاد تكفى العيش والغموس ، فقعدوا عيالهم فى البيوت على لمبة جاز ، وتحت منهم حصيرة صنعها لهم واحد من أحفاد سكان قارتهم الأصليين بالتعاون مع واحد من أحفاد سكان القارات القديمة .. كان الأجداد (وفى العلن المرئى ، وتحت بند الحفاظ على التراث الشعبى تعلم أولادها صناعة الحصر واللمض الجاز وعمل الكوانين) كانوا بالغريزة يعلمون أنه ماطار طير وارتفع إلا وعلى عنقه وقع ، لتبدأ الحياة دورة جديدة يعى فيها الناس أن المعدة محدودة الاتساع ، والجسم محدود الحجم ، وكلاهما لايحتاج إلا أقل القليل ، بينما الدماغ لاحدود لها ، لحظتها سيعرف العالم أن الإنسان أثمن رأسمال ، وستتبارى الدول جميعها فى الصرف على تنمية أدمغة شعوبها ، أدمغة قد يشط بعضها ويعمل على تحويل البحر إلى طحينة ، والصحارى إلى عسل ، والأقمار إلى أرغفة خبز ، مما يتسبب فى حروب من نوع جديد ومغاير .. حروب بين ثوريين جدد ، هم الشعراء والأدباء والفنانون .. ورجعيين جدد ، هم العلماء والتكنوقراط .. ولهؤلاء وطن هو القلب .. وللآخرين وطن هو الدماغ .. والقنابل هى الكلمات صانعة كل بدء جديد.

يعلن مجلس أمناء

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

فتـح بـاب الترشيح لجوائز المؤسسة في دورتها التاسعة

دورة «ابن زيـــدون»

قرطبة - إسبانيا / أكتوبر ٢٠٠٤

فروع الجائزة وشروطها :

١ - جائزة الإبداع في نقد الشعر : وقيمتها (أربعون ألف دولار)

- تمنح لأحد نقاد الشعر أو دارسيه المتميزين ممن قدموا في دراساتهم إضافة مهمة في تحليل النصوص الشعرية ، أو رؤية جديدة لظاهرة شعرية محددة قائمة على أسس علمية .

- يحدد المتقدم المؤلف أو المؤلفات التي يرشحها لنيل الجائزة وله أن يرسل باقي مؤلفاته للاستئناس .

- يشترط في المؤلفات المرشحة ألا تكون من رسائل الماجستير أو الدكتوراه ، وألا يكون قد مضى على صدور أحدثها أكثر من عشر سنوات تنتهي في ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣م .

٢ - جائزة أفضل ديوان شعر : وقيمتها (عشرون ألف دولار)

- تمنح لصاحب أفضل ديوان شعر صدر خلال خمس سنوات تنتهي في ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣ .

- للمتسابق أن يتقدم بديوان واحد فقط على أن يكون الديوان منشوراً .

٣ - جائزة أفضل قصيدة : وقيمتها (عشرة آلاف دولار)

- تمنح لصاحب أفضل قصيدة منشورة في إحدى المجلات الأدبية أو الصحف أو الدواوين الشعرية أو في كتاب مستقل خلال عامين ينتهيان في ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣ .

- يحق للمتسابق أن يتقدم بقصيدة واحدة فقط على أن يرفق بها الأصل المنشور ، ولا تقبل القصائد المنشورة في نشرات إعلانية أو دعائية .

الجائزة التكريمية للإبداع الشعري: وقيمتها (خمسون ألف دولار)

تمنح لشاعر عربي كبير، أسهم في إثراء حركة الشعر العربي، وهي جائزة لا تخضع للتحكيم بل لآلية خاصة يضعها ويشرف على تنفيذها رئيس مجلس الأمناء، والجهة المخولة بالترشيح هي مجلس أمناء المؤسسة فقط .

شروط عامة

١ - يقبل النتاج المقدم باللغة العربية الفصحى فقط .

٢ - للمتقدم أن يتقدم إلى فرع واحد من فروع الجائزة فقط .

٣ - على المتقدم أن يرسل ثماني نسخ من النتاج المتقدم به لنيل الجائزة .

٤ - لا يقبل النتاج الذي يشترك فيه أكثر من شخص واحد .

٥ - يرسل المتقدم خطاباً مباشراً إلى المؤسسة يذكر فيه رغبته في الترشيح لأحد فروع الجائزة ويحدد فيه النتاج الذي يتقدم به للمسابقة ، ويمكن للجامعات والمؤسسات الثقافية الحكومية والأهلية أن تتقدم بترشيح من ترغب ، مع ضرورة إرفاق موافقة المرشح خطياً على ذلك .

٦ - يرسل المتقدم سيرة ذاتية وعلمية له مستقلة عن خطاب الترشيح تشتمل على : اسم الشهرة ، الاسم الكامل الوارد في وثيقة السفر ، تاريخ الميلاد ومكانه ، العنوان البريدي ، رقم الهاتف ، إنتاجه الإبداعي ، ثلاث صور فوتوغرافية حديثة (١٠سم ×١٥سم) .

٧ - لا يجوز لمن سبق له الفوز بأي جائزة عربية أن يتقدم إلى الفرع الفائز به قبل مضي خمس سنوات على فوزه ، على أن يتقدم بعمل آخر غير الذي فاز به ، وعلى المتقدم أن ينصّ في خطاب الترشيح على أن العمل المتقدّم به لم يسبق له الفوز بأي جائزة عربية ، وفي حال ثبوت العكس فللمؤسسة الحق في إلغاء نتيجة المتقدم .

٨ - لا يحق لمن أسهم في تحكيم جوائز المؤسسة التقدم إلى المسابقة في أي فرع قبل مرور دورتين من تاريخ مشاركته في التحكيم .

٩ - المؤسسة غير ملزمة بإعادة الأعمال المقدمة إلى المسابقة ، ويحق للمؤسسة إعادة نشر القصائد الفائزة ، ومختارات من أعمال الفائزين .

١٠ - آخر موعد للتقدم إلى فروع الجوائز هو نهاية يوم ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣ .

١١ - تعلن النتائج في النصف الثاني من عام ٢٠٠٤ ، وتوزع الجوائز في حفل عام يقام في شهر أكتوبر من العام نفسه .

التحكيم

يعرض النتاج المقدم على لجان تحكيم من المتخصصين في فروع الجائزة ، بعد التأكد من مطابقته للشروط المعلنة ، وقرارات اللجنة نهائية بعد اعتمادها من مجلس الأمناء .

المراسلات

ترسل طلبات التقدم والترشيح لجوائز المؤسسة باسم السيد الأمين العام للمؤسسة إلى أحد العناوين الآتية :

القاهرة: ص.ب ٥٠٩ الدقي ١٢٣١١ الجيزة- ج.م.ع، هاتف: ٣٠٣٠٧٨٨ فاكس: ٣٠٢٧٣٣٥ ، **عمان:** ص.ب ١٨٢٥٧٢ عمان الوسط - الأردن - هاتف: ٥٥٣٥٧٣٦، فاكس: ٥٥٣٢٢٩٦ ، **تونس:** ص.ب ١٠٧ تونس ١٠٠٠ - هاتف: ٣٢٨٩٠٣، فاكس: ٥٦٠٧٠٧ ، **الكويت:** ص.ب ٥٩٩ الصفاة ١٣٠٠٦ الكويت - هاتف: ٢٤٣٠٥١٤، فاكس: ٢٤٥٠٠٣٩ (٠٠٩٦٥)

E-mail:babtainprize@hotmail.com

الأمل للطباعة والنشر

رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢

«الثمن: جنيهان»